الجمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامى

الدُّرَر في اختصار المغازى والسِّير

تأليف
ابن عبد البر
الحافظ يوسف بن عبد البر النمرى
(٣٦٨-٤٦٣ هـ)

بتحقيق
الدكتور شوقى ضيف

يشرف على إصدارها :
محمد توفيق عويضة

الكتاب الحادى عشر

القاهرة
١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم
رئيس لجنة احياء التراث

يعتبر علم التاريخ ، من أهم العلوم التى زخرت بها كتب علماء الإسلام ومصنّفاتهم ، وجالت فيها أقلامهم ، وتنوّعت طرائقهم ومباحثهم ، ومناهجهم ؛ ممّا تناولوه من أحْداث فى الجاهلية والإسلام ، وما وقع للعرب من أيّام وحروب ، وما رُوِى حولها من أشعار ، وما كان عندهم من معارف وعلوم ؛ إلى ذكر أخبار الرسل والأنبياءِ والملوك ؛ وتاريخ الدّول والشعوب ، وأخبار البلدان ، وتراجم الرّجال ، ونشأة المذاهب والآراءِ ؛ وغير هذا مما لم يقع لغير المسلمين من الأُمم .

وكان من أعظم هذه المصنفات شأْنا ، وأعظمها خطَرًا ، وأعلاها منزلة ، وأكرمها موضوعًا ، وأحلاها أخبارا ، وأنداها على القلوب رَوْحا وذكْرا ؛ تلك الكتب التى تناولت السّيرة النبوية العطرة ، وتحدّثت عن حياة محمد عليه السلام ؛ من يوم مولدِه الشريف ، إلى أن أكمل الله به دينَه ، وأتمّ برسالته للبشر نعمتَه ، وترك المسلمين على الجليّة الواضحة ، والشريعة السّمحة المطهّرة .

وقد افتنّ المؤرخون حول هذه السيرة الكريمة افتنانا كبيرا ؛ فمنهم من ألّف فى أعلام نبوّته ، كالبيهقىّ وأبى نُعيم والقاضى عبد الجبار وابن ظَفر ، ومنهم من ألّف فى شمائله وأحواله ، كالترمذىّ والسّيوطىّ والزّرقانىّ ، ومنهم من أرّخ له عليه السلام فى أطوار حياته ومراحل عمره ، كابن اسحاق وابن هشام وابن سيّد الناس والصالحىّ وصاحب السيرة الحلبية ؛ ومنهم من أدار كتابه على معجزاته كابن دحية ، ومنهم من ألّف فى صحابته ، كابن عبد البرّ وابن الأثير وابن حَجَر ، وغيرهم كثير .

وتختلفُ هذه الكتب صحّةً وأصالة ، وتتباين شِرْعةً ومنهاجا ، باختلاف المصنِّفين ؛ وما أُتيح لهم من دراسات ، وما تهيّأَ لهم من ثقافات . ويعدّ العلماءُ أن أحسن مؤلفات السّيرة وأصدقَها ، وأبعثَها على الطمأْنينة ، وأجنَحها إلى الصحة وإتقان الأَداءِ ؛ هى المؤلفات التى صدَرت عن المحدّثين وأصحاب المسانيد ، دون الأخباريِّين وأصحاب الملاحم ؛ إذ كانوا لشرف الموضوع وتعلّقِه بصاحب الشريعة ؛ لا ينقلون إلّا عن الأثبات من الرّواة ، ولا يضعون فى كتبهم إلّا ما صحّ عندهم من الأَخبار ؛ متجافين عن الضعيف والفاسد ، متنكبين رواياتِ الكذّابين والوضّاعين .

ومن أعيان المحدّثين الذين شاركوا فى هذا الميدان الإمام الحافظ. أبو عمر يوسف بن عبد البر النَّمَرىّ القرطبىّ ؛ وهو ممّن عاشوا فى الأندلس بين القرن الرابع والخامس ؛ وتنقّلوا فى أمصاره للدّرْس والرّواية ، وشغلوا المناصب الدينية ؛ ونبغوا فى الفقه والحديث والتاريخ والأنساب وفنون الآداب ؛ وصدَر عنه أحفل الكتب وأعظمها ؛ كالتّمهيد لما فى الموطأ من الأسانيد ، والاستذكار فى فقه علماء الأمصار ، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، وبهجة المَجالس وأنس المُجالس فى الأدب ؛ وغيرها من المصنفات التى ازدانت بها المكتبة العربية ، وانتفع بها العلماء والطّلاب والدارسون . ومن كتبه كتاب : « الدّرر فى المغازى والسير » ، اختصر فيه مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وابتداء نبوته وأوّل أمره فى رسالته ومغازيه وسيرته فيها ، ممّا أورده موسى بن عُقْبَةَ وابن إسحاق وغيرهما ، مقتصرا فيه على العُيون والزُّبد من الأخبار ؛ ألّفه بطريقه المحدّث الحافظ. ، مبتعدا عمّا لم يصح عنه من الروايات ، مع مناقشة ما رواه غيره من ضعيف الأخبار ، وذلك بميزان الجرح والتعديل ؛ وأداره بروح المؤرّخ الأديب ، والنّاقدِ الصّيرفىّ الخبير ، مقتصرا على المحض اللباب ، دون الحشو والتكرار .

وقد قام العالم المحقق الأستاذ الدكتور شوقى ضيف بتحقيق هذا الكتاب ؛ تحقيقًا علميا ، على مخطوطته الوحيدة المحفوظة بدار الكتب ، وهى نسخة جيّدة تملّكها السيد المرتضى الزَّبيدى ، وقرأها الحافظ. شمس الدين السخاوىّ ، وعمل عليها بعض الاستدراكات ، وقد راجعها الأستاذ الدكتور المحقق على المصادر الأصيلة كابن هشام وابن سعد والواقدى والطبرى ، وقابلها بالكتب التى نقلت عنه ، ككتاب جوامع السّير لابن حزم ، وعيون الأثر لابن سيد الناس ؛ وقدم لها بمقدمة ضافية تحدّث فيها عن ابن عبد البرّ وحياته ، ومنزلة كتاب « الدرر » بين كتب السيرة ، وأبان عن منهجه فى التحقيق ، كلّ ذلك بوضوح وشمول ، واستقراء واستيعاب ؛ مما يطمئن له صدر الباحث المستفيد .

والدكتور شوقى ضيف أحد أعلام النهضة العربية العلمية الحديثة ؛ وصاحب القدم الراسخ فى التحقيق والنّشر ، قام بتحقيق كتاب المغرب فى حُلَى المغرب لابن سعيد ، وخريدة القصر فى شعراء العصر لابن العماد ، والرد على النحاة لابن مضاء ، إلى جانب كتبه القيّمة فى الأدب العربىّ وتاريخه ؛ من العصر الجاهلى إلى العصر الحديث ؛ وهو بقيامه بتحقيق هذا الكتاب ، يكون قد أضاف جهدا إلى جهوده فى سبيل العربية وآدابها وتاريخها .

وبإخراج هذا الكتاب ، تكون لجنة إحياء التراث ، قد ضمت إلى الكتب التى تُوالى نشرها ؛ كتابا من جياد الكتب ؛ فى أشرف موضوع وأسماه . والله سبحانه هو ملهم الخير والموفِّق للصواب .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

(١)

المؤلف

مؤلف هذه السيرة النبويّة هو أبو عمر يوسف[١] بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ بن عاصم النَّمَرى ، وُلد بقرطبة فى يوم الجمعة لخمس بَقين من ربيع الأوّل سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، ونشأ فى بيت علم ، إذ كان أبوه من فقهاء قرطبة ومحدِّثيها ، وقد وجَّهه منذ نعومة أظفاره إلى الدراسات الدينية . وتوفِّى وابنه فى الثالثة عشْرة من عمره ، فدأب على الدَّرْس من بعده، والسماع من جلّة العلماء أمثال أبى عمر المكوى، وابن الفَرَضىّ، وعبد الوارث بن سفيان، وخلف بن قاسم وأبى محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن وسعيد بن نصر ومحمد بن إبراهيم بن سليمان وأحمد ابن قاسم بن عبد الرحمن التّاهرتى وأحمد بن محمد بن أحمد بن الجسور وأبى عمر الباجى وغيرهم من أعلام الفقه والحديث والتاريخ والمغازى والأخبار والأنساب .

وما نكاد نتقدم فى القرن الخامس الهجرى حتى يلمع اسمه بين نابهى العلماء بقرطبة ، وسرعان ما تفسد الحياة فيها، وتشتعل الفتن، ويأخذ صَرْحُ الدولة الأموية بها فى الانقضاض، وتقوم على أنقاضه إمارات ملوك الطوائف المعروفين فى الأندلس ، إذ تستقل كل بلدة كبيرة بإمارة وأمير . وطالت الفتن بقرطبة ، فهجرها كثير من علمائها ، وشجّعهم على الهجرة منها الأمراء الجُدُد ، إذ مضوا يتنافسون فى جمع العلماء والأدباء والشعراء بإماراتهم أو بلدانهم . وارتحل فيمن

(١) انظر فى ابن عبد البر جذوة المقتبس للحميدى (طبع القاهرة) ص ٣٤٤ وابن بشكوال فى الصلة (طبعة القاهرة) ص ٦١٦ والضبى فى بغية الملتمس ص ٤٧٤ والفتح بن خاقان فى المطمح ص ٦١ والمغرب لابن سعيد (طبع دار المعارف) ٤٠٧/٢ ووفيات الأعيان لابن خلكان وابن فرحون فى الديباج المذهب (الطبعة الأولى بالقاهرة) ص ٣٥٧ والعماد فى شذرات الذهب ٣٤٤/٣ وتذكرة الحفاظ للذهبى (طبع حيدراباد) ٣٠٦/٣ ومرآة الجنان ٨٩/٣ والعبر فى خبر من غبر (طبعة الكويت) ٢٥٥/٣

ارتحلوا عن قرطبة أبو عمر بن عبد البر ميممًا بطليوس في غربي الأندلس ، حيث أمراؤها بنو الأفطس ، وما كاد يستقر فى حاضرتهم حتى أكرموه غاية الإكرام وولوه القضاء فى بلدتى أشبونة وشنترين من بلدان إمارتهم . ويتحول إلى شرق الأندلس وينزل بلنسية ودانية ، وربما كان مما حببه فى الأخيرة مجاهد الذى كان يمسك بمقاليد الحكم فيها ، فقد كان مشاركا فى علوم القرآن والحديث كما «كان محبا للعلماء محسنا لهم حتى عُرف بذلك بلده وقُصد من كل مكان» وكان لابن عبد البر ابن أديب وكاتب بليغ ، فوظفه مجاهد فى دواوينه ، حتى إذا توفى اتخذه ابنه على (٤٣٦ - ٤٦٨ هـ) رئيسا لدواوينه وكتابه . وحدث أن صدر عنه برسالة إلى المعتضد صاحب إشبيلية (٤٣٦ - ٤٦١ هـ) وبدلا من أن يتلقاه لقاء حسنا حبسه في سجنه ، مما جعل أباه يقصده مستعطفا بمثل قوله :

قصدتُ إليك من شرقٍ لغَرْبٍ ... لتُبْصر مُقْلتى ما حَلَّ سَمْعى
وتعطفك المكارمُ نحو أَصْلٍ ... دعاكم راغبا فى خيرِ فَرْع
فإن جُدْتُم به من بعد عَفْوٍ ... فليس الفضل عندكُمُ ببدْع

وسرعان ما ردَّ المعتضد إلى ابنه حريته وعاد إلى دانية ، وقد لبيَّ نداء ربه فى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ولعل ذلك هو الذى جعل أباه يتحول عن دانية إلى شاطبة ، وبها يسلم روحه إلى بارئه فى سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمسة وتسعين عاما .

وهذه السِّنُّ العالية جعلت ابن عبد البر كما شهد موت ابنه يشهد ويسمع عن موت كثيرين من تلاميذه مثل ابن حزم وكان يصغره بنحو عشرين عاما ، وتوفى قبله بنحو سبعة أعوام . وكان يجنح فى باكورة حياته إلى مذهب الظاهرية أتباع داود بن على الأصبهانى الذى كان ينكر الرأى فى الفقه والتشريع ويبنى أحكامه على ظاهر الآيات القرآنية والسُّنَّة النبوية . على أنه لم يلبث أن انتظم فيما انتظم فيه جمهور أساتذته وأهل موطنه من اعتناق مذهب مالك بن أنس ، وكان فيه اعتدال جعله يميل إلى بعض آراء الشافعى الفقهية ، وكأنه لم يكن يعرف التعصب والتحيز إنما يعرف الحقَّ ويطلبه ، فإذا استبان له انقاد راضيا .

ويُجْمع من ترجموا له على الإشادة بعلمه وروايته الغزيرة للحديث النبوى ، وفيه يقول الحُمَيْدى تلميذه : « فقيه حافظ مكثر عالم بالقراءات وبالخلاف فى الفقه وبعلوم الحديث

والرجال ، قديم السماع كثير الشيوخ » ويقول أبو الوليد الباجى : « لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البر فى الحديث » ويقول ابن بشكوال : « إمام عصره وواحد دهره .. دأب فى طلب العلم، وافتنَّ فيه، وبرع براعة فاق بها من تقدمه من رجال الأندلس » ويقول ابن سعيد نقلا عن الحِجارى : « إمام الأندلس في علم الشريعة ورواية الحديث ، لا أستثنى من أحد ، وحافظها الذى حاز خَصْل السَّبْق، واستولى على غاية الأمد ، وانظر إلى آثاره ، تُغْنك عن أخباره » .

وقد سمع منه عالَم عظيم حملوا عنه مصنفاته التى طارت شهرتها فى عصره وبعد عصره ، منها فى الفقه والحديث كتاب « التمهيد لما فى الموطَّأ من المعانى والأسانيد » وفيه يقول ابن حزم : « لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه ؟ ! » . وفى دار الكتب المصرية قطعة من هذا الكتاب ، وقد اختصره ابن عبد البر في كتاب سمَّاه « التقصِّى لما فى الموطأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم » . ومن كتبه فى الفقه والحديث أيضا : « الاستذكار فى شرح مذاهب علماء الأمصار، مما رسمه الإمام مالك فى الموطأ من الرأى والآثار » شرح فيه الموطأ على وجهه ونسق أبوابه . وعاد فاختصره فى كتاب دعاه : « الكافى في الفقه على مذهب أهل المدينة » . ومن كتبه فى الفقه : « اختلاف أصحاب مالك بن أنس، واختلاف رواياتهم عنه » . ومن كتبه فى القراءات وعلوم القرآن : « البيان عن تلاوة القرآن » و « التجويد والمدخل إلى العلم بالتحديد » و « الاكتفاء فى قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء بتوجيه ما اختلفا فيه » . ومن كتبه « جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغى فى روايته وحمله » وقد اختصره أحمد بن عمر المحمصانى البيروتى ونُشر في مجلد لطيف . وألف فى السيرة النبوية كتابه الذى ننشره : « الدُّرر فى اختصار المغازى والسِّير » وعُنى بسير مالك والشافعى وأبي حنيفة وصنَّف فيها « الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء » وهو مطبوع . وألف فى الصحابة كتابه الضخم « الاستيعاب » استقصى فيه أسماء المذكورين منهم فى الروايات والأخبار، وعرَّف بهم، ولخَّص أحوالهم وأخبارهم مرتبا لهم على حروف المعجم ، وهو مطبوع . ومن كتبه « القصد والأمم، فى التعريف بأُصول أنساب العرب والعجم » و « الإنباه على قبائل الرواه » وهما مطبوعان معا . وكانت فيه نزعة أدبية جعلته ينظم الشعر من حين إلى حين ، كما جعلته يؤلف كتابه « بهجة المجالس وأنس المُجالس » للمظفر بن الأفطس صاحب بطليوس وهو مختارات من غرر الأبيات، ونوادر الحكايات الدالة على مكارم الأخلاق ، وبدار الكتب

المصرية نسخة مخطوطة منه . وينهى ابن بشكوال حديثه عن مصنفاته بقوله : «كان موفقا فى التأليف معانا عليه ونفع الله بتواليفه ، وكان مع تقدمه فى علم الأثر ، وبصره بالفقه ومعانى الحديث ، له بسطة كبيرة فى علم النسب والخبر » .

(٢)

مصادر « الدرر فى اختصار المغازى والسير »

ذكر ابن عبد البر فى خطبة هذا الكتاب أنه أفرده لسائر خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مبعثه وأوقاته معتمدا على كتابى موسى بن عقبة فى المغازى وكتاب محمد بن إسحق فى السيرة النبوية ، ومعروف أن أولهما توفِّى سنة ١٤١ للهجرة ، بينما توفى الثانى سنة ١٥٠ أو ١٥١ فى بعض الروايات . وظل كتاباهما المصدرين الأساسيين لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، على مدى العصور التالية ، يرجع إليهما المصنفون والمؤلفون للسيرة الزكية ، حتى إذا طال بهما العُمُر سقطا من يد الزمن كما سقط كثير من المصنفات القديمة ، إلا قطعة من سيرة ابن إسحق لا تزال باقية بمكتبة الرباط ، وإلا رواية ابن هشام لها ، وهى ليست رواية تامة ، إنما هى تهذيب وتنقيح لها واختصار ، ولم يَرْوها عن ابن إسحق مباشرة ، إنما رواها عن تلميذه زياد بن عبد الله البكّائى ، وقد طُبعت فى عصرنا مرارا .

ويقول ابن عبد البر إنه اختصر سيرته من كتاب ابن إسحق رواية ابن هشام وغيره : ويفصِّل القول فى ذلك فى أثناء حديثه عن حجّة الوداع ، قائلا : «ما كان فى كتابنا هذا عن ابن إسحق فروايتنا فيه عن عبد الوارث بن سفيان ، عن قاسم بن أصبغ ، عن محمد بن عبد السلام الخشنى ، عن محمد بن البرقى ، عن ابن هشام ، عن زياد البكّائى عن محمد ابن إسحق . وقراءة منى أيضا على عبد الله بن محمد بن يوسف ، عن ابن مفرج ، عن ابن الأعرابى ، عن العطاردى ، عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحق . وقراءة منى أيضا على عبد الوارث ابن سفيان ، عن قاسم بن أصبغ ، عن عبيد بن عبد الواحد البزار ، عن [أحمد بن] محمد بن أيوب ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحق » . واذن فهو لم يكتف برواية ابن هشام لكتاب ابن إسحق ، بل ضم إليها رواية يونس بن بكير ، وبمكتبة القرويين بفاس نسخة منها مخطوطة ، وأيضا فإنه ضم إليها رواية إبراهيم بن سعد ، وبذلك كان بين يديه ثلاث روايات لكتاب ابن إسحق .

ويحدثنا ابن عبد البر فى نفس الموضع أن ما كان فى كتابه عن موسى بن عقبة فقرأه على عبد الوارث بن سفيان وأحمد بن محمد بن أحمد بن الجسور ، عن قاسم بن أصبغ ، عن مطرف ابن عبد الرحمن بن قيس ، عن يعقوب ، عن ابن فُلَيْح ، عن موسى بن عقبة . ويعقب على ذلك بقوله : «ولى فى ذلك روايات وأسانيد مذكورة فى صدر كتاب الصحابة» وهو يريد كتابه : «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب» وإذا رجعنا إلى فواتحه وجدناه يقول إن ما فيه عن موسى ابن عقبة فمن طريقين : أحدهما هذا الطريق الذى ذكره ، وثانيهما عن خلف بن قاسم عن أبى الحسن عن أبى العباس بن محمد بن عبد الغفار يعرف بابن الونّ المصرى عن جعفر بن سليمان النوفلى عن إبراهيم بن المنذر الحِزامى عن محمد بن فُلَيْح ، عن موسى بن عقبة . ولا يلبث بن عبد البر أيضا أن يقول : وحدثنى أيضا عبد الوارث ، عن قاسم ، عن ابن أبى خيثمة فى كتابه ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة . وفى نفس الموضع يقول ابن عبد البر : «وفى الفهرسة روايتنا لكتاب الواقدى وغيره ، تركنا ذلك ههنا خشية الإطالة بذكره» . والفهرسة سجل أو كتيب صغير ذكر فيه رواياته الكتب عن شيوخه مفيضا فى أسانيدها المختلفة . وذكر فى فواتح الاستيعاب روايته لكتابى الواقدى : الطبقات والمغازى ، أما الطبقات فقال : «قرأته على أحمد بن قاسم التّاهرتى ، عن محمد بن معاوية القرشى عن إبراهيم بن موسى بن جميل ، عن محمد بن سعد كاتب الواقدى ، عن الواقدى» . وأما المغازى فقال : «أخبرنى به خلف عن قاسم ، عن أبى الحسن ، عن أبى العباس بن الونّ ، عن جعفر بن سليمان النوفلى ، عن إبراهيم بن المنذر الحزامى ، عن الواقدى .

ويقول ابن عبد البر فى نفس الموضع مكملا حديثه عن مصادر كتابه : «وفى كتاب أبى بكر ابن أبى خيثمة – روايتى له عن عبد الوارث ، عن قاسم ، عنه – من ذلك أطراف» . ويقول فى فواتح الاستيعاب : «قرأت جميع كتاب ابن أبى خيثمة على أبى القاسم عبد الوارث بن سفيان ابن حَبْرون ، عن أبى محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف الشيبانى ، عن ابن أبى خيثمة أبى بكر أحمد ابن زهير بن حرب» وفى الكتاب أحاديث مختلفة رويت عن ابن أبى خيثمة بالسند المذكور ، ويظهر أنه كان له كتاب فى السنن بجانب كتابه التاريخ الكبير فى تعديل الرواة وتجريحهم .

وهذه هى المصادر التى عُنى ابن عبد البر بذكرها ، ولا ريب فى أن وراءها مصادر أخرى

لم يُعْنَ بإيرادها ، من ذلك أنه يروى أكثر الأحاديث فى هذه السيرة عن أبى محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ، وفيه يقول الحميدى : « رحل إلى العراق وغيرها وسمع إسماعيل بن محمد الصفار ، وأبا بكر محمد بن بكر بن عبد الرازق المعروف بابن داسة صاحب أبى داود سليمان ابن الأشعث السجستانى ، وأبا بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعى صاحب عبد الله بن أحمد ابن حنبل ، وأحمد بن سليمان النجاد ، ومحمد بن عثمان بن ثابت الصيدلانى صاحب إسماعيل القاضى ونحوهم ، وحدَّث بالأندلس ، روى لنا عنه أبو عمر بن عبد البر الحافظ » . فرواية ابن عبد البر تتصل به بشهادة الحميدى تلميذه ، ونفس الأحاديث والأخبار التى يرويها عنه تتصل مباشرة بابن داسة عن أبى داود السجستانى .

وبجانب ابن عبد المؤمن نجد ابن عبد البر يروى أحاديث وأخباراً أخرى عن سعيد بن نصر ، وفيه يقول الحميدى : « سمع قاسم بن أصبغ البيانى ومحمد بن معاوية القرشى ... وروى عنه الفقيه الحافظ أبو عمر بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر » وسنده فى السيرة يتصل بشيخه قاسم . ونجد أيضا محمد بن إبراهيم ويقول الحميدى إنه : « يعرف بابن المدمالة ، روى عن محمد بن معاوية القرشى .. وروى عنه أبو عمر بن عبد البر النمرى ، وقال : كان من أضبط الناس لكتبه وأفهمهم لمعانى الرواية ، له تأليف جمع فيه كلام يحيى ابن معين (المحدث) فى ثلاثين جزءا أخبرنا به أبو عمر بن عبد البر عنه » وسنده فى السيرة يتصل مباشرة بمحمد بن معاوية القرشى .

وساق ابن عبد البر فى « بعث بئر معونة » حديثا عن أحمد بن عبد الله بن محمد بن على وهو أبو عمر الباجى ، وفيه يقول الحميدى : « روى عنه جماعة أكابر أدركنا منهم الفقيه أبا عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الحافظ » ويذكر الحميدى من شيوخ الباجى الحسن بن إسماعيل . وسند الحديث الذى ذكره ابن عبد البر عن الباجى موصول به مباشرة . وذكر مع بعض الأخبار سعيد بن يحيى الأموى ، وكأنَّ كتابه « السِّير » كان أحد مصادره .

وقد يختصر ابن عبد البر سند الحديث والخبر ، فلا يذكر سلسلة رواتهما كاملة ، بل يكتفى بمثل قوله : رُوِىَ عن عبادة بن الصامت ، أو قال ابن شهاب الزهرى أو قال معمر ، أو ذكر ابن جريج ، أو روى سفيان الثورى ، أو قال أبو داود الطيالسى ، أو قال سنيد ، أو قال وكيع .

(٣)

توثيق النص وقيمته

ذكر الحميدى فى ترجمته لابن عبد البر أنه صنَّف فيما صنَّف كتاب «الدُّرَر فى اختصار المغازى والسير» وتوالى غير واحد بعده ممن ترجموا لابن عبد البر يذكرونه بين مصنفاته . وقد رأينا فى تضاعيف الكتاب ما يشهد شهادة قاطعة بأنه من تأليفه ، فقد ذكر فيه – كما أسلفنا – طرفا من أسانيده عن كتب موسى بن عقبة وابن إسحق وابن أبى خيثمة ، وأحال مَنْ يريد استكمالها على كتابه «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب» وهى فيه أكثر تفصيلا . وليس هذا هو الموضع الوحيد الذى أحال فيه على الاستيعاب فى الكتاب ، فقد تكررت إحالته عليه إذ نجده يذكره فى خطبة الكتاب على نحو ما سنرى عما قليل . وقد توقف عند قول القائلين بأن عليا كان أول الناس إيمانا بالله ورسوله قائلا : «وقد ذكرنا القائلين بذلك والآثار الواردة فى بابه من كتاب الصحابة» . ويذكر فى تسميته مَنْ شهد بدرا من المهاجرين خبّاب ابن الأرتّ ، ويقول إنه خزاعى ويقال تميمى ، ويعقب على ذلك بقوله : «وقد ذكرنا الاختلاف فى نسبه وولائه وحلفه فى باب اسمه من كتاب الصحابة» . ويذكر بين من استشهد من المهاجرين فى يوم أُحد عبد الله بن جحش وأنه دفن مع حمزة فى قبر واحد ، ثم يقول : «وقد ذكرنا خبره عند ذكره فى كتاب الصحابة» . ويتحدث عن بَعْث الرجيع وقتل خُبَيْب فيه ، ويقول : «وقد ذكرنا خبره وما لقى بمكة عند ذكر اسمه فى كتاب الصحابة» ويسوق له بيتين قالهما حين قدمه المشركون لِيُصْلَب ويتلوهما بقوله : «فى أبيات قد ذكرتها عند ذكره فى كتاب الصحابة» . وعِدَّتها فيه عشرة أبيات . ويقول فى غزوة فتح مكة : «وأنشد الرسولُ عمرو بن سالم الشعر الذى ذكرته فى بابه من كتاب الصحابة» . ويذكر فى باب الوفود الحُتات بن يزيد المجاشعى الذى آخى الرسول بينه وبين معاوية ، ويقول : «قد ذكرنا خبره فى بابه من كتاب الصحابة» . ويتحدث عن غَسْل الرسول وتكفينه بعد موته ، ويقول إن شقران مولاه حضرهم «وقد ذكرنا فى صدر كتاب الصحابة سؤاله فى هذا المعنى» . ولم يُحِل ابن عبد البر على الاستيعاب وحده من كتبه ، فقد أحال أيضا على كتابه «التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد» إذ عقب على

حالات الوحى فى مفتتح الكتاب بقوله : «وقد أشبعنا هذا المعنى فى كتاب التمهيد عند ذكر حديث عائشة رضى الله عنها المذكور» . وتحدث فى خاتمة الكتاب عن صلاة أبى بكر بالناس فى مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال : «وقد أوضحنا معانى صلاته فى مرضه بالناس مع أبى بكر ومكان المقدَّم منهما ، وما يصحُّ فى ذلك عندنا فى كتاب التمهيد» . ومرَّ بنا تعقبنا لمن روى عنهم ابن عبد البر الأحاديث والأخبار فى هذه السيرة ممن لم يذكرهم فى أسانيده لكتب ابن عقبة وابن إسحق وابن أبى خيثمة ، ورأيناهم جميعا فى عداد أساتذته الذين روى عنهم ، بشهادة تلميذه الحميدى .

وكل ذلك معناه أن نسبة هذه السيرة إلى ابن عبد البر نسبة وثيقة ، ونراه يقول فى خطبتها أو فاتحتها : «هذا كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وابتداء نبوته وأول أمره فى رسالته ومغازيه وسيرته فيها ، لأنى ذكرت مولده وحاله فى نشأته وعيونا من أخباره فى صدر كتابى فى الصحابة ، وأفردت هذا الكتاب لسائر خبره فى مبعثه وأوقاته صلى الله عليه وسلم .. والنَّسَقُ كله على ما رسمه ابن إسحق . فذكرت مغازيه وسَيْره (جهاده) على التقريب والاختصار والاقتصار على العيون من ذلك دون الحشو والتخليط» .

وواضح من ذلك أن ابن عبد البر قصد فى هذا الكتاب إلى صنع مختصر للسيرة النبوية ، وعبَّر عن مقصده لا فى خطبة الكتاب فحسب ، بل أيضا فى عنوانه الذى اختاره له ، وكأنما رأى كتب السيرة تحتوى على حشو كثير ، فرأى أن يكتفى بالدرر والفرائد التى تجعل منها خيطا ممدودا متصلا . وقد بدأ هذا المختصر بالمبعث وما بعده من المغازى والأحداث ، أما ما قبل ذلك من ولادة الرسول ونسبه ووفاة أبيه وأمه وجده وكفالة أبى طالب ونشأته وأطواره قبل البعثة وزواجه بالسيدة خديجة فقد أجمله فى صدر كتابه «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب» وكأنه رأى أن لا داعى لتكرار حديثه عنه . ويقول إنه بَنَى الكتاب على ما رسمه ابن إسحاق ، والتقاؤه به واضح فى المغازى وتواليها وأسماء مَنْ شاركوا واستشهدوا من المسلمين فيها ومن قُتلوا أو أُسروا من المشركين . وإذا كان قد تابع ابن إسحق فى البناء العام فإنه استقلَّ عنه فى كثير من المواضع بما أضاف من كتابى موسى بن عقبة وابن أبى خيثمة ومن روايات أساتذته الذين سميناهم ، فقد استمد منهم كثيرا من الأحاديث . وإذا عرفنا أنه كان من كبار الحُفَّاظ للحديث النبوى

الذين اشتهروا بالدقة والتحرى والتثبت وأنه كان حاذقا بعلم الأنساب ومعرفة الأصحاب وضبط أسمائهم على وجهها الصحيح اتضحت قيمة هذه السيرة ، وهو نفسه يحدثنا أنه لم يكتف إزاء كتاب موسى بن عقبة وسيرة ابن إسحق برواية واحدة ، بل استعان برواياتهما المختلفة على المقارنة والموازنة ، وأضاف إلى ذلك كتابات الواقدى وابن أبى خيثمة وروايات شيوخه للحديث ، ونفذ من كل ذلك إلى وضع سيرة نبوية وثيقة .

وقد يبتدىء بعض فصول الكتاب دون سند ، وكأنه يورد حينئذ ما استقر عليه رأيه بعد طول النظر والفحص والمراجعة والمقارنة . ونراه ينثر بعض آراء له فى جوانب السيرة ، وهى آراء عَلم من أعلام الفقه والحديث ، ولذلك كان لها وزنها الكبير مهما خالفت ما ذاع واشتهر ، على نحو ما يلقانا فى حديثه عن أوائل السابقين إلى الإيمان بالله ورسوله فقد ذكر من بينهم السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق ، وقيد ذلك بقوله : « وهى صغيرة » وفى ذلك ما يخالف المشهور من أن الرسول صلى الله عليه وسلم بَنَى بها فى المدينة وهى بنت تسع سنين ، ولا بد أنه ثبت عنده أنها أسلمت فى أول البعثة أى قبل الهجرة إلى المدينة بنحو ثلاث عشرة سنة ، مما يقتضى أن تكون سِنُّها حين البعثة أربع سنوات على الأقل حتى يصدق عليها أنها كانت من أول الناس إسلاما . ومن ذلك أنه ذهب إلى أن فرض صوم رمضان كان فى السنة الأولى للهجرة والمشهور أنه كان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة . ومن ذلك ذهابه فى حديثه عن مقاسم خيبر وأموالها أنها فتحت جميعها عنوة ، وقد ناقشه فى ذلك ابن سيد الناس مناقشة طويلة أثبتنا مجملها فى موضعها من الكتاب . ونراه يتوقف عند بعض الأحاديث التى لم تثبت ، ويتّهمها ، من ذلك ما رُوى عن ابن مسعود من أحاديث عن إسلام الجن وما جاء فى بعضها من وضوء الرسول بالنبيذ ، إذ لم يجد ماء ، فقد قال : « هذا الخبر عن ابن مسعود متواتر من طرق شتّى حسان كلها ، إلا حديث أبى زيد عن ابن مسعود الذى فيه ذكر الوضوء بالنبيذ ، فإن أبا زيد مجهول لا يعرف فى أصحاب ابن مسعود ، ويكفى فى ذكر الجن ما فى سورة الرحمن وسورة (قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن) وما جاء فى الأحقاف : قوله : (وإذ صرفنا إليك نَفرا من الجن يستمعون القرآن) الآيات - . وهو بذلك يريد التمسك بنص القرآن الكريم دون زيادة عليه . ومما يصور دقته وتحريه ، قوله فى غزوة بنى المصطلق أو المريسيع : «وفى

هذه الغزوة قال أهل الإفك فى عائشة – رضى الله عنها – ما قالوا ، فبرَّأها الله مما قالوا ، ونزل القرآن ببراءتها ، ورواية مَنْ روى أن سعد بن معاذ راجع فى ذلك سعد بن عبادة ، وهم وخطأ ، وإنما تراجع فى ذلك سعد بن عبادة مع أسيد بن حضير . كذلك ذكر ابن إسحق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله وغيره ، وهو الصحيح ، لأن سعد بن معاذ مات فى منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى قريظة لا يختلفون فى ذلك ، ولم يدرك غزوة المريسيع ولا حضرها » .

نحن إذن بإزاء سيرة نبوية محررة ، سيرة لا تعتمد على كتب السيرة المشهورة وحدها ، بل تعتمد أيضا على كتب الحديث ورواية الموثقين مع الموازنة بين الأخبار والأحاديث واستخلاص الآراء الصحيحة ، ومع الوفاء بالدقة فى أسماء الأعلام ، ومع التوقف فى موضع التوقف والنفوذ إلى الرأى السليم ، ومع المعرفة الواسعة بالحديث ورجاله وتمييز صحيحه من زائفه .

وبلغ من قيمة هذه السيرة وأهميتها فى عصرها أن وضعها ابن حزم تلميذ ابن عبد البر عَلَمًا منصوبا أمام بصره حين حاول أن يصنِّف سيرته النبوية التى سماها «جوامع السيرة» وقد نُشرت بدار المعارف نشرة جيدة محققة عن نسخة يكثر فيها التصحيف ، كما تكثر سواقط الكلام . ونراه يستهلُّها بقطعة موجزة يتحدث فيها عن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولده وسنه ووفاته وأعلام رسالته وحجه وعمراته وغزواته وبعوثه وصفته وأسمائه وأمرائه وكتابه وحرسه ومؤذنيه وخطبائه وشعرائه ورسله ودعوته بعض الملوك إلى الإسلام ونسائه وأولاده وشيمه وأخلاقه . وهو فى هذه القطعة لا يلتقى بابن عبد البر فى سيرته ، لأنه كما قدمنا لم يعرض لكل ذلك مكتفيا بما جاء منه فى صدر كتابه « الاستيعاب » غير أننا لانكاد نتقدم مع ابن حزم حتى نجده يلتقى مع ابن عبد البر فى أكثر صحفه ، وتنبَّه إلى هذا الالتقاء ناشرو سيرة ابن حزم قائلين :

«وقد أفاد ابن حزم فى كتابه السيرة مما صنعه من قبله شيخه ومعاصره أبو عمر بن عبد البر مؤلف كتاب «الدرر فى اختصار المغازى والسير» ونحن لا نملك من هذا الكتاب صورة كاملة أو وافية تدلنا إلى أى مدى اعتمد عليه ابن حزم ، ولكن النقول القليلة التى احتفظ بها ابن سيِّد الناس من كتاب أبى عمر المذكور تؤكد أن ابن حزم قد نقل عن شيخه نقولا متفرقة فى شىء قليل من التصرف ، إلا أن نفترض أن المؤلِّفَيْن – نعنى ابن عبد البَرِّ وابنَ حزم – ينقلان عن مصدر ثالث لم يقع إلينا » .

ولو أن ناشرى الكتاب رأوا نسخة كتاب ابن عبد البر لجزموا بأن ابن حزم نقل عنه منذ حديثه عن المبعث ص ٤٤ أكثر صحف كتابه مع تصرف قليل هنا وهناك . أما الظن بأنهما ربما نقلا عن مصدر مشترك فيضعفه أن ابن عبد البر عَيَّن فى سيرته مصادره التى نفذ من خلالها إلى وضع كتابه ، بينما لم يذكر ابن حزم فيما التقى به معه مصدرا واحدا . وحقا إنه يتابع فى حديثه المفصل عن الغزوات ابن إسحق ، سواء فى ترتيبها أو فيما تضمنته من الأحداث ومن أسماء من شاركوا فيها من المسلمين والمشركين وشهداء الأولين وقتلى وأسرى الأخيرين ، غير أنه فى الواقع يتابع فى ذلك ابن عبد البر ، فقد مرَّ بنا ذكره فى تقديمه لكتابه هذه المتابعة . وابن حزم لايتابع ابن عبد البر فى نسق كتابه وما تضمنه من الأحداث وأسماء الأعلام فحسب ، بل كثيرا ما يتابعه فى سرد كلامه ناقلا نص عباراته مع شيء من التصرف أحيانا . وقد يترك النص الذى ينقله عن أستاذه دون أى تصرف . ونراه يتابعه فى كثير من مراجعاته وآرائه ، حتى ليظن من لم يقرأ ابن عبد البر أنها ثمرة اجتهاده ، من ذلك متابعته له فى أن أبا موسى الأشعرى لا يصح أن يُسْلَكَ فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، يقول ابن عبد البر : « وقد جاء فى بعض الأثر وقاله بعض أهل السير (انظر ابن إسحق فى السيرة النبوية لابن هشام ٣٤٧/١) أن أبا موسى الأشعرى كان فيمن هاجر إلى أرض الحبشة وليس كذلك ، ولكنه خرج فى طائفة من قومه مهاجرا من بلده باليمن يريد المدينة ، فركبوا البحر ، فرمتهم الريح بالسفينة التى كانوا فيها إلى أرض الحبشة ، فأقام هنالك حتى قدم مع جعفر ابن أبى طالب » وقارنْ بذلك جوامع السيرة ص ٥٨ .

ومن متابعة ابن حزم لأستاذه ما ذهب إليه من أن الزكاة فُرضت عقب الهجرة ومؤاخاة الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار (قارنْ بجوامع السيرة ص ٩٧) . وقد تابعه فى أن من شهد بدرا من المهاجرين كانوا ستة وثمانين رجلا (قارنْ بجوامع السيرة ص ١٢٢) بينما عدَّهم ابن إسحق فى السيرة ٣٦٤/٢ ثلاثة وثمانين . ومرَّ بنا آنفا نَفْيُ ابن عبد البر لأن تكون قد حدثت مراجعة فى حديث الإفك بين سعد بن معاذ وسعد بن عبادة لموت ابن معاذ قبل الحادث ، (قارنْ بجوامع السيرة ص٢٠٧) .

وهذا التطابق بين سيرة ابن حزم وسيرة ابن عبد البر فى الآراء وسرد الأعلام وعبارات

النص جعلتنا نتخذ من أكثرها ما يشبه نسخة ثانية من كتاب ابن عبد البر ، وقد انتفعنا بها في تصحيح ما جاء في نسختنا من بعض التصحيفات ومن بعض نواقص الكلام . ولا نشك في أنه لو كان بأيدى ناشريها نسخة كتاب ابن عبد البر لأصلحوا وقوّموا نص نسختهم التي نشروا منها كتاب ابن حزم في مواضع كثيرة ، وحقا بذلوا جهدا قيما في تقويمه وردّ كثير من سواقطه إلى مواضعها من اتصال الكلام ، ولكن ظلت بقية يهدى إليها كتاب ابن عبد البر ، يتصل بعضها بتصحيف بعض الألفاظ ، وبعضها يتصل بسقوط بعض أسماء الأعلام حين تتوالى متعاقبة ، فمن ذلك ما جاء في ص٦٩ عن قدوم بعض الأنصار إلى مكة قبل الهجرة يطلبون الحلف من قريش ، فقد جرت العبارة على هذا النحو : «ثم قدم إلى مكة أبو الحيْسر أنيس ابن رافع في مائة من قومه» وصحة العبارة في ابن عبد البر : «وقدم مكة أبو الحيسر أنس ابن رافع في فتية من قومه» وانظر ابن إسحق في السيرة النبوية لابن هشام ص٦٩ . ونقرأ في ص ٨٨ : «ثم إن أبا جهل والحارث بن هشام أتيا المدينة وكلما عياش بن أبي ربيعة وكان أخاهما لأمهما وابن عمتهما» وفي ابن عبد البر : «وكان أخاهما لأمهما وابن عمهما» وهو تصحيف واضح . وفي نفس الصفحة يسرد ابن حزم عن ابن عبد البر من قدموا المدينة مهاجرين مع عمر بن الخطاب ، ويسقط من كاتب النسخة اسم «إياس وعاقل وعامر وخالد بنو البكير الليثي حلفاء بني عدى بن كعب» . ويكثر في سيرة ابن حزم المنشورة ، أو بعبارة أدق في نسختها التي نُشرت ، سقوط مثل هذه الأسماء المتوالية ويمكن دائما إكمالها من ابن عبد البر ، ويكفي أن نمثل بمثال ثان في الصفحة التالية ، إذ جاء فيها : «ونزل حمزة بن المطلب وحليفه أبو مرثد كنّاز بن حصين الغنوى وزيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهِدْم» وصحتها في ابن عبد البر : «ونزل حمزة بن عبد المطلب وحليفاه : أبو مرثد الغنوى وابنه مرثد بن أبي مرثد ، وزيد بن حارثة وأنسة وأبو كبشة موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهِدْم» . وفي ص١٠٦ أن أبا سعيد بن المعلى «سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم [يأمر] بتحويل القبلة» . وقد جُعلت كلمة يأمر بين قوسى الزيادة إشارة إلى أنها سقطت من الأصل ، وفي ابن عبد البر مكانها كلمة يخطب . وفي ص ١١٢ «عرض الرسول على أصحابه «في وقعة بدر» مصارع رءوس الكفر من قريش مصرعا مصرعا ، يقول : هذا مصرع

فلان ومصرع فلان فما عَدا واحد منهم مضجعه » وفى ابن عبد البر مكان مضجعه « مصرعه » .
وفى ص ١١٩ « وعامر بن فهيرة .. من مولّدى الأَسد » وفى ابن عبد البر : « من مولدى الأَزْد » .
وفى ص ١٣٣ « ومن بنى مِرْضخة وعمرو ابنى غَنْم بن أُمية » وصحتها فى ابن عبد البر :
« ومن بنى مِرْضخة وهو عمرو بن غَنْم بن أُمية » . وفى ص ١٥٦ « أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لايخرجوا إليهم (إلى المشركين) وأن يتحصنوا بالمدينة فإن قدموا منها قاتلاهم على أَفواه الأَزقة » وصحة العبارة فى ابن عبد البر : « أَشار رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه أن لا يخرجوا إليهم وأن يتحصنوا بالمدينة فإن قربوا منها قاتلوهم على أفواه الأَزقة » . وفى ص ١٥٨
« وكان فى المشركين يومئذ خمسون فارسا » وصحتها فى ابن عبد البر « وكان فى المسلمين يومئذ خمسون فارسا » . وفى ص ١٦١ « وكان قد قُتل أَصحاب اللواء من المشركين حتى سقط فرفعته عمرة بنت علقمة » وعبارة ابن عبد البر : « وقُتل صاحب اللواء من المشركين فسقط لواؤهم فرفعته عمرة بنت علقمة » وبذلك تستقيم العبارة والسياق . وفى ص ١٦٥ « وجدوا الأصيرم وبه رمق يسير فقال بعضهم لبعض : والله إن هذا الأصيرم فأَجابه لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأَمر »
وفى ابن عبد البر بدلا من « فأَجابه » « ما جاء به » وبذلك يستقيم الكلام . وفى ص ٢٠٤ « وذلك لشر وقع لبنى جهجاه بن مسعود الغفارى أَجير عمر بن الخطاب وبين سنان بن وَبر الجُهَنى »
وصحة العبارة فى ابن عبد البر « وذلك لشر وقع بين بنى جهجاه ... » . وعلى هذا النحو تصلح سيرة ابن عبد البر بعض عبارات النسخة المنشورة من سيرة ابن حزم فتكمل نواقصها وتصلح ما دخلها من فساد التصحيف والتحريف .

ولعل أَهم من خلفوا ابن عبد البر إفادةً من سيرته ابنُ سيِّد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ للهجرة ، فقد جعلها نصب عينيه فى سيرته النبوية المطولة التى سماها « عيون الأَثر فى فنون المغازى والشمائل والسير » وهى مطبوعة فى مجلدين بالقاهرة ، وفيها ينقل فقرا وفصولا كثيرة عن ابن عبد البر مصرحا باسمه غالبا ، وقد راجعه كثيرا فى أَسماء الأَعلام وفى جوانب مختلفة من مادة سيرته وآرائه ، وهو دائما ينوه به ، حتى إذا أَنهى كتابه وأخذ فى ذكر أَسانيد الكتب التى استقى منها سيرته أَو كتابه قال : « ما كان فيه عن أَبى عمر فمن كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير وهو مما رويته عن والدى – رحمه الله – عن شيخه أَبى الحسين محمد بن أَحمد بن السراج ،

عن خاله أبي بكر بن خير ، عن أبي الحجاج الشنتمرى ، عن أبي على الغسانى ، عنه » . ومعنى ذلك أن نقوله عن سيرة ابن عبد البر مأخوذة عن نسخة منسوبة مسندة تتناقل روايتها عن مؤلفها شيوخ ثقاة ، مما يرفع من قيمتها ومن درجة توثيقها . ونظن ظنا أن نسختنا التى نعنى بنشرها قد أخذت عن تلك النسخة التى تحولت من الأندلس إلى مصر مع والد ابن سيد الناس : محمد بن محمد بن عبد الله الإشبيلى نزيل القاهرة ، وقد يكون ابنه كتب منها نسخة لنفسه ذاعت فى الناس أو لعل نسخة أبيه هى التى ذاعت عن طريق تلاميذه المصريين . وإنما يدفعنا إلى هذا الظن أن نصوص نسختنا تتطابق مع نصوص النقول التى اقتبسها ابن سيد الناس من الكتاب ، حتى فيما يبدو فيه الغلط أو التصحيف ، فمن ذلك ما جاء فى خبر دخول بنى هاشم وبنى المطلب فى الشِّعْب ومنابذة قريش لهم إذ وردت هذه العبارة : «ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بِرُمَّته إلى قريش » فى نسختنا وفى ابن سيد الناس ١-١٢٧ والرمة : الحبل ويراد بها هنا العهد ، ويمكن أن تكون مصحفة عن لفظة «بذمته» . وفى نفس الصفحة فى ابن سيد الناس وفى نسختنا : قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم» . وصححت كلمة أحدثتم فى هامش نسختنا بكلمة « أخذتم » وهى أدق منها فى السياق وكأنما حدث فى الكلمة تصحيف .

وقد كثرت نقول ابن سيد الناس عن سيرة ابن عبد البر كثرة مفرطة ، وهى تلقانا منذ مفتتحه وحديثه عن خبر مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ يلتقى به فى كثير من الأحاديث النبوية التى ساقها فى خبر المبعث (قارنْ بابن سيد الناس فى ١/٨٠ وفى مواضع متفرقة) وأيضا فى كثير من الأحاديث المنثورة فى ثنايا الكتاب . ولا نصل إلى حديث ابن عبد البر عن المجاهرين بالظلم لرسول الله ولكل من آمن به حتى نجد ابن سيد الناس ينقل عنه هذا الحديث فى ١/١١٠ مصرحا باسمه كما ينقل عنه فى ١/١١٣ الفقرة التى خصها بالمستهزئين بالرسول . ولا يلبث ابن عبد البر أن يعقد بابا يذكر فيه الهجرة إلى أرض الحبشة ، ويتابعه ابن سيد الناس فى العنوان (انظر ١/١١٥) راويا الحديثَ الذى ساقه فى مستهلِّه وكثيرا من مادة الباب . ويعقد ابن عبد البر عقب ذلك «باب ذكر دخول بنى هاشم ابن عبد مناف وبنى المطلب بن عبد مناف فى الشعب وما لقوا من سائر قريش فى ذلك » وينقله عنه ابن سيد الناس فى ١/١٢٧ بحذافيره .

ويتلوه بفصل عن إسلام الجن وما جاء فيه من أحاديث مسندة إلى ابن مسعود ، وتتحول مادة الفصل كله إلى سيرة ابن سيد الناس فى ١٣٦/١ . ويتحدث عن عرض الرسول الإسلام على قبائل العرب وما كان من اجتماع العقبة الأولى والثانية والثالثة ، ويمزج ابن سيد الناس بين مادة كتاب ابن عبد البر وغيره من كتب السيرة ، وما يلبث أن ينقل عنه فى ١٧٤/١ الفقرة الخاصة بهجرة عمر بن الخطاب إلى المدينة ، كما ينقل عنه فى ١٩٩/١ مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين بعضهم وبعض قبل الهجرة وجوانب من مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار . ويخرج ابن عبد البر إلى المغازى فيتابعه غزوة غزوة مقارنا فى كثير من الأحوال بينه وبين غيره من رواة السيرة سواء فى الأخبار أو فى أسماء الأعلام ونراه يقف مثله بعد بعث عبد الله بن جحش ، فيتحدث فى ٢٣٠/١ عن صرف القبلة عن البيت المقدس إلى الكعبة موردا من كتابى ابن عبد البر : « التمهيد » و « الاستذكار » الروايات المتعلقة بالاختلاف فى الصلاة بمكة قبل الهجرة هل كانت إلى الكعبة أو إلى البيت المقدس . وقد نقل عنه الفصول الخاصة بمن استشهد ببدر من المسلمين ومن قُتل وأُسر من كفار قريش فى تلك الموقعة مصرحا بنقله لها (انظر ٢٨٦/١) ولا يلبث أن يلخص عنه فى ٢٩٢/١ فصلا عقَّب به على تلك الموقعة . وقد لا ينقل عنه ، ولكن دائما يوازن بينه وبين غيره من رواة السيرة . ودائما يرجع إلى كتابه « الاستيعاب » فى موازناته ومراجعاته . وقد نقل عنه فى ١٣٦/٢ الفقرة الخاصة بفتح خيبر عنوة ومقاسم أموالها وناقشه مناقشة واسعة . وبهذه النقول الكثيرة عن ابن عبد البر تحولت سيرة ابن سيد الناس فيها إلى ما يشبه نسخة من كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير ، للمقابلة على النسخة التى ننشرها ، وقد أصلحنا بها النص فى غير موضع ورددنا إليه سواقطه وأقمنا ما أدخله الناسخ عليه من بعض التصحيف والتحريف .

(٤)

وصـــف مخطوطة الكتاب ومنهجنــــا فى تحقيقه

ليس بين أيدينا من نسخ هذا الكتاب سوى مخطوطة واحدة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٥٢٣ تاريخ . ولما كان يُعَدُّ من ذخائر تراثنا العربى النفيسة فقد رأيت تحقيقه ونشره معتمدا

على تلك المخطوطة ، وهى تامة وإن كان يبدو أن الورقة الأُولى منها التى كانت تحمل عنوان الكتاب فُقدت قديما ووُضع مكانها ورقة أُخرى كُتب عليها عنوانه على هذا النحو : « كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير للحافظ أَبى عمر بن عبد البر النمرى ، رحمه الله تعالى ، آمين » وكُتب على يسار العنوان بخط محمد مرتضى الزبيدى صاحب تاج العروس فى شرح جواهر القاموس المتوفى سنة ١٢٠٥ للهجرة هذه العبارة : « افتداه ، وعلى وقفيَّته أَبقاه ، العبد لله ، محمد مرتضى الحسينى ، عُفى عنه ، حامدا الله ومصليا ومسلما على نبيه ومستغفرا » . وكُتب أَيضا على صفحة العنوان : « محضر من جامع محرم أَفندى الشهير بالكردى ، وأُضيف فى ٥ أكتوبر سنة ١٨٨١ » . وواضح من ذلك أَن المخطوطة نقلت إلى دار الكتب المصرية فى التاريخ المذكور من جامع الكردى ، وكان يعرف قبلا بالمدرسة المحمودية التى أَنشأَها الأُستاذ محمود فى شارع قصبة رضوان بالقرب من باب زويلة . ولا نصل إلى الورقة السادسة من الكتاب حتى نجد الناسخ يخطىء فى لقب أَبى عمر بن عبد البر فيكتبه أَبا عمرو بالواو ، ونجد فى الهامش استدراكا عليه هذا نصه : « هذه الكراريس من كتاب السيرة النبوية للحافظ أَبى عمر بن عبد البر ، ولكن ناسخها يجعله أَبا عمرو بالواو ، وهو غلط ، فليصلح » . وكتب الزبيدى ، الذى تملك النسخة كما مرَّ بنا آنفا ، بجانب هذا الاستدراك : « هذا خط الحافظ أَبى الخير السخاوى ، رحمه الله . وكتبه محمد مرتضى » . وأَبو الخير السخاوى هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى صاحب كتاب الضوء اللامع فى أَعيان القرن التاسع المتوفى سنة ٩٠٢ للهجرة . وكل هذه شهادات من شأْنها أَن توثق المخطوطة ، فقد قرأَها السخاوى وتملكها الزبيدى .

وقد كُتبت المخطوطة بقلم معتاد ، وهى بخطين مختلفين ، أَحدهما خط نسخ واضح ضُبطت فيه بعض الكلمات بالشكل وكُتبت عناوين الفصول والأَبواب بالقلم الثلث . والآخر خط معتاد قليل الإِعجام خال من الضبط والعناوين فيه بخط أَكبر مما يليها . وعلى الهوامش مراجعات واستدراكات ، مما يدل على أَن ناسخها راجعها على الأَصل الذى نسخها منه ، وقد صرَّح بذلك فى نهايتها . ويبدو أَنها كتبت فى القرن الثامن الهجرى ، ومرَّ بنا استظهارنا لأَن تكون نسخة فرعية للأُم التى نقل عنها ابن سيد الناس نقوله فى كتابه « عيون الأَثر » .

وتتردد فى المخطوطة كلمة « قلت » ويليها تعقيبات وتعليقات على كلام ابن عبد البر ،

وكثيرا ما يستضىء صاحبها ببعض ما ذكره السهيلى المتوفى سنة ٥٨١ للهجرة فى كتابه (الروض الأُنف) فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام مما يقطع بأَنه عالم متأَخر . وقد أَحال كثيرا على كتاب الاستيعاب فى معرفة الأَصحاب لابن عبد البر ، وأَحال أَيضا على كتابيه « التمهيد » و « الاستذكار » . وقد يضع مكان كلمة « قلت » كلمة « فائدة » أَو « ههنا لطيفة » . وفى مواضع قليلة جدا ذكر التعليق بدون إشارة تسبقه تدل على أَوله ، غير أن تعاليقه كان دائما يحمل الدلالة على أنه ليس من كلام ابن عبد البر ، بما يتضمن من معارضته له ، وبما ينهيه به من علامات نهايات الاستدراكات كقوله : « يرجع الكلام » أَو « عاد الكلام » أَو « والله أَعلم » أَو « والله الموفق » أَو « بالله التوفيق » أَو « والحمد لله » أَو « والحمد لله رب العالمين » . وإحدى اثنتين : إما أَن تكون هذه التعليقات كُتبت على هامش الأَصل الذى نقلت عنه هذه المخطوطة وأَدخلها فيه ناسخها ، أَو يكون الناسخ الذى كتبها هو نفس العالم الذى أَضاف هذه التعقيبات والمراجعات . وقد أَخرجتها جميعا من الكتاب ووضعتها فى هوامشه مشيرا إليها دائما بنجوم ، حتى تتميز مما فى الهوامش من تعليقات لى مرقمة . وهى تدل دلالة بينة على أَن من كتبها محدِّث بصير بكتب السيرة النبوية وكتب الحديث المختلفة ، وأَنه فقيه سنى ، عالم باختلافات الفقهاء وطرقهم فى الاستنباط ، وأَنه يتقن العلم باللغة والنحو واختلافات النحاة : سيبويه وغيره فى بعض المسائل ، كما يتقن علوم البيان من المجاز وغير المجاز . وإنما أَخرجت مراجعاته وتعليقاته من الكتاب حتى أُعيد إليه نسقه وصورته الأَصلية .

أَما المنهج الذى ترسمته فى تحقيق الكتاب فقد أَخذت نفسى فيه ، بمقابلة نصوصه على الأَصل الذى استمد منه ابن عبد البر فى المغازى ، وهو سيرة ابن إسحق برواية ابن هشام المشهورة ، وأَفدت كثيرا من شرحها المسمى باسم الروض الأُنف لمؤلفه السهيلى . وقابلت الأَحاديث المبثوثة فى الكتاب على صحيح البخارى ومسند أَبى داود الطيالسى وصحيح مسلم وسنن أَبى داود ومسند ابن حنبل . وعُنيت بمقابلة نصوص الكتاب عامة على الفرعين اللذين استمدا منه ، وأَقصد جوامع السيرة لابن حزم وعيون الأَثر فى المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس . وقد أَوضحت – فيما أَسلفت – العلاقة بينهما وبينه وكيف أَنهما يكادان يشبهان نسختين منه ؛ نسخة كاملة هى نسخة ابن حزم وقد دخلها شىء من التصرف ، ونسخة ناقصة هى نسخة ابن سيِّد الناس ، وقد احتفظت بالنصوص

التى نقلتها عن الكتاب على وجهها الدقيق وأدائها الصحيح . وقد قابلت أعلام الكتاب وصحة أنسابها وضبطها على كتاب المؤلف «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب» وأفدت منه فوائد جمة . وكل هذه المقابلات أثبتُّها فى الهوامش ، وأثبت معها بعض الشروح اللغوية وبعض التوضيحات . وذكرت مع كل فصل وباب وفقرة مهمة ، المراجع التى بسطته أو أجملته من أمهات كتب السيرة والتاريخ والأخبار والحديث مثل مغازى الواقدى وطبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذرى وتاريخ الطبرى وصحيح البخارى والمحبَّر لابن حبيب والبداية والنهاية لابن كثير ونهاية الأرب للنويرى والسيرة الحلبية وغير ذلك مما يراه القارئُ متناثرا فى الهوامش .

ولم أتخذ فى الكتاب رموزا من شأنها أن تعقده . وكل ما اتخذته فيه من رموز هو هذه العلامات التى جرى بها الاصطلاح فى النشر والتحقيق :

و : وجه الورقة من المخطوطة وتتبع رقمها .

ظ : ظهر الورقة من المخطوطة وتتبع رقمها أيضا .

/ : وتدل هذه العلامة على بدء الصفحة التالية فى المخطوطة وتوضع أمام رقمها .

() : ووضعنا هذين القوسين دائما حول الآيات القرآنية تمييزا لها .

[] : واتخذنا هاتين الحاصرتين لما سقط من المخطوطة وجلبناه من أصولها أو فروعها .

والله ـ وحده ـ أسأله أن يوفِّقنى بمنه وكرمه إلى الاقتداء بسيرة خير خلقه وخاتم رسله ؛ إنه ولىّ الطَّوْل والفضل ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

شوقى ضيف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقيه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله
بن محمد بن عبد البر النمري رضي الله عنه
الحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى
الله على محمد عبده ورسوله وعلى آله أجمعين هذا
كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وابتداء نبوته وأول أمره في رسالته ومغازيه
وسيره فيها لأني ذكرت مولده وحاله في نشأته
وعيونا من أخباره في صدر كتابي في الصحابة وأفردت
هذا الكتاب لسائر خبره في مبعثه وأوقاته
صلى الله عليه وسلم اختصرت ذلك من كتاب
موسى بن عقبة وكتاب ابن إسحاق رواية
ابن هشام وغيره وربما ذكرت فيه خبر الحسن
منهما والنسق كله على ما رسمه ابن إسحاق
فذكرت ذلك كله على التقريب والاختصار
والاقتصار على العيون من ذلك دون الحشو
والتخليط وإلى الله أرغب في العون على العمل فيه
وأن يجعله ابتغاء وجهه [illegible] لا شريك له
باب [illegible] مبعث النبي صلى الله عليه وسلم

بعثنا

ذهب الى ربه كما ذهب موسى فقد غاب عن قومه
اربعين ليلة ثم رجع اليهم والله ليرجعن رسول الله كما
رجع موسى فليقطعن ايدي رجال وارجلهم زعموا
ان رسول الله مات واقبل ابو بكر حتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكشف له عن وجهه صلى الله عليه وسلم
فقبله وايقن بموته ثم خرج فوجد عمر يقول
ذلك لمقالته فقال له اجلس فابا عمر فقال له
اجلس فلما فرغ عنه وقام خطيبا فانصرف الناس
اليه وتركوا عمر فقال ابو بكر اما بعد فمن كان
يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله
فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل افاين مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم الاية قال عمر فلما سمعتها من ابي بكر
عرفتها ووقعت فيه وكاني لم اسمعها قبل ثم اجتمع
المهاجرون والانصار في سقيفة بني ساعدة
فبايعوا ابا بكر رضي الله عنه ثم بايعوه بيعة
اخرى من الغد على ملأ منهم ورضى فكشف الله به
الكربة من اهل الردة وقام به الدين
[illegible]



الدُّرَرُ

في

اختِصَارِ المغَازِي وَالسِّيَرِ

/ بسم الله الرحمن الرحيم   ١ ظ

[خطبة[1] الكتاب]

قال الفقيه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النَّمَرِى ، رضى الله عنه :

الحمد لله رب العالمين ، وحسْبُنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد رسوله وعلى آله أجمعين . هذا كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وابتداء نبوته وأول أمره فى رسالته ومغازيه وسيرته فيها ، لأنى ذكرت مولده وحاله فى نشأته وعيونا من أخباره فى صدر كتابى فى الصحابة[2] . وأفردت هذا الكتاب لسائر خبره فى مبعثه وأوقاته صلى الله عليه وسلم . اختصرت ذلك من كتاب موسى بن عقبة وكتاب ابن إسحق رواية ابن هشام وغيره ، وربما ذكرت فيه خبرا ليس منهما . والنَّسق كله على ما رسمه ابن إسحق . فذكرت مغازيه وسَيْره[3] على التقريب والاختصار والاقتصار على العيون من ذلك دون الحشو والتخليط . وإلى الله أرغب على الأمل فيه ، والتوفيق لما يرضيه ، وهو حسبى لا شريك له .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق

(٢) يشير الى كتابه : « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » .

(٣) سيره هنا : جهاده

باب

من خبر مبعثه[1] صلى الله عليه وسلم

٢ و / أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن بكر ابن محمد بن عبد الرزاق التمار ، قال : حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، قال : حدثنا محمود بن خالد الدمشقي ، قال : حدثنا عمر بن عبد الواحد ، عن الأوزاعي ، قال : حدثنا يحيى بن أبي كثير ، قال[2] :

سألت أبا سلَمة بن عبد الرحمن : أي القرآن أُنزل أوّلُ ؟ فقال : سألت جابر بن عبد الله ، أي القرآن أُنزِل قبلُ : (يا أيُّها المُدَّثِّر) أو (اقرأْ باسم ربك الذى خلق) ؟ فقال جابر : ألا أُحدِّثكم بما حدثنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى جاورتُ بحِراءٍ[3] شهرا فلما قضيت جِوارى نزلتُ فاستبطنتُ بطن الوادى ، فنُوديتُ ، فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وشمالى فلم أر شيئا ، ثم نظرتُ إلى السماءِ ، فإذا هو[4] على العرش

---

(١) انظر فى مبعثه صلى الله عليه وسلم وبدء نزول الوحى عليه سيرة ابن هشام (طبعة الحلبى) ١/٢٤٩ وطبقات ابن سعد (طبعة ليدن) ج١ق١ ص ١٢٦ومابعدها وصحيح البخارى المطبوع على النسخة الأميرية ١/٢ وصحيح مسلم بشرح النووى (طبع المطبعة المصرية بالأزهر) ٢/١٩٧ وتاريخ الطبرى (طبع دار المعارف) ٢/٢٩٠ وجوامع السيرة لابن حزم (طبع دار المعارف) ص ٤٤ وعيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس (نشر القدسى) ١/٨٠ والبداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٥٩ والسيرة الحلبية ١/٣١١ ونهاية الأرب للنويرى (طبعة دار الكتب المصرية) ١٦/٦٨ .

(٢) راجع فى هذا الحديث صحيح البخارى٦/١٦١ وصحيح مسلم بشرح النووى ٢/٢٠٧ ومسند ابى داود الطيالسى (طبع حيدر آباد)ص ٢٣٥ وابن سيد الناس ١/٨٤ وقارن بابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٣٠

(٣) انظر فى تنسك الرسول بغار حراء قبل مبعثه ابن هشام ١/٢٥١ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٢٩ وصحيح البخارى ١/٣ وابن سيد الناس ١/٨٤ وابن كثير ٢/٣٠٦ والنويرى ١٦/١٧٠ . وحراء : جبل على ثلاثة أميال من مكة عن يسار الذاهب منها الى منى .

(٤) يريد جبريل الذى تنزل عليه بالوحى ،وقد أتته الرسالة وهو ابن اربعين سنة على راس السنة الحادية والأربعين من عام الفيل والخامسة من بنيان الكعبة . واختلف الرواة فى اليوم والشهر الذى انزل فيه الوحى لأول مرة ، قيل انه كان فى يوم الاثنين لسبع من رمضان ، وقيل لسبع عشرة مضت منه ، وقيل بل السابع والعشرين من رجب ، وقيل : بل لثمان من ربيع الاول . واختار القول الأخير ابن عبد البر . انظر ابن سيد الناس ١/٨٩ والطبرى ٢/٢٩٣ .

فى الهواءِ ، فأَخذتنى رجْفَةٌ ، فأَتيت خديجة ، فأَمرتهم فدثّرونى [1] ، ثم صبّوا علىّ الماءَ ، فأَنزل الله عزّ وجَلّ : (يا أَيها المدَّثِّر قُمْ فَأَنْذِرْ وربَّك فكبِّرْ وثيابك فطهِّرْ والرُّجْزَ فاهْجُرْ) .

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أَبو داود ، قال : حدثنا إبراهيم بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله / قال : حدثنى إسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال [2] : أَتى نفر من قريش امرأَة كاهنة ، فقالوا : أَخبرينا بأَقربنا شبها بصاحب هذا المقام [3] ، قالت : إن أَجْررْتُمْ على السَّهْلة عباءَة ومشيتم عليها أَنبأْتكم بأَقربكم منه شبها ، فجرّوا عليها عباءَة ، ثم مشوا عليها ، فرأَتْ أَثر قدم محمد صلى الله عليه وسلم ، فقالت : هذا والله أَقربكم شبها . قال ابن عباس رضى الله عنهما : فمكثوا بعد ذلك عشرين سنة ، ثم بُعث محمد صلى الله عليه وسلم .

٢ ظ

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أَبو داود ، قال : حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا أَبو داود الطيالسى ، قال : حدّثنا سليمان بن معاذ الضبى ، عن سماك بن حرب ، عن جابر بن سَمُرة ، قال [4] :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بمكة لحجرًا كان يسلّم علىّ ليالى بُعثت ، إنى لأَعرفه الآن . وسنفرد لأَعلام نبوته كتابا إن شاءَ الله .

---

(١) دثرونى : لفونى بالثياب ، وأصله من الدثار وهو ما فوق ثوب الشعار الذى يلى الجسد .

(٢) روى ابن سيد الناس هذا الحديث عن ابن ماجة فى ٧٨/١ ونصه عنده :
عن ابن عباس ان قريشا اتوا امراة كاهنة فقالوا لها : اخبرينا بأشبهنا اثرا بصاحب المقام فقالت : ان انتم جررتم كساء على هذه السهلة ثم مشيتم عليها انبأتكم ، فجروا كساء ثم مشى الناس عليها ، فأبصرت أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : هذا اقربكم اليه شبها ، ثم مكثوا بعد ذلك عشرين سنة او ماشاء الله ، ثم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم .

(٣) المقام : مقام ابراهيم عليه السلام .

(٤) اخرج هذا الحديث الترمذى ومسلم . انظر الروض الأنف للسهيلى (طبع مطبعة الجمالية بالقاهرة) ١٥٢/١ ويقول السهيلى : روى أن ذلك الحجر هو الحجر الأسود . وفى ابن سيد الناس ٨٩/١ : يحتمل أن يكون هذا التسليم حقيقة وان يكون الله انطقه بذلك كما خلق الحنين فى الجذع (يشير الى حنين الجذع الذى كان الرسول يخطب اليه قبل اتخاذه المنبر وروى انه ضمه اليه فسكن ، وفى رواية انه مسح يده عليه) . انظر صحيح البخارى ١٩٥/٤ ويحتمل ان يكون مضافا الى ملائكة يسكنون هناك من باب (واسأل القرية) فيكون من مجاز الحذف . وهو علم ظاهر من اعلام النبوة على كلا التقديرين

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر بن داسة ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا إبراهيم بن الحسن الخَثْعمى ، قال : حدثنا حجاج ، قال : حدثنا ابن جُرَيْج [قال] : أخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع جابر بن عبد الله يقول [(١)] :

٣ و لما بُنيت الكعبة ذهب / عباس والنبي صلى الله عليه وسلم ينقلان الحجارة ، فقال عباس للنبي صلى الله عليه وسلم : اجْعلْ إزَارك على رقبتك [يقيك] [(٢)] من الحجارة ، ففعل ، فَخَرَّ إلى الأرض وطمحت [(٣)] عيناه إلى السماءِ ، ثم قام وقال : إزارى إزارى ، فشدَّه عليه [(٤)] .

وفى حديث عكرمة عن ابن عباس فى هذا الخبر ، قال :

خَرَّ محمد ، فانبطح . قال العباس : فجئت أسعى إليه ، وألقيتُ عنى حَجرى . قال : وهو ينظر إلى السماءِ ، قلتُ : ما شأْنُك ؟ قال : فقام وأخذ إزاره ، وقال : نُهيتُ أَن أمشى عُرْيانا . قال ابن عباس : قال أَبى : فإنى أكتمها الناس مخافة أَن يقولوا مجنون .

وحَدَّثنا عبد الله ، قال : حدثنا محمد بن بكر قال حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا عثمان بن أَبى شيبة ، قال : حدثنا جرير ، عن الأَعمش ، عن منذر الثَّوْرى ، عن الربيع بن خُثَيْم فى قوله عزَّ وجلَّ : (إنا أَوحينا إليك كما أَوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) قال :

أُوحى إليه كما أُوحى إلى جميع النبيين .

وفى حديث عائشة رضى الله عنها من رواية مالك ، رحمه الله ، وغيره [(٥)] :

---

(١) انظر فى هذا الحديث صحيح البخارى ٥/٤١ .

(٢) زيادة من صحيح البخارى .

(٣) هكذا فى صحيح البخارى ، وفى الأصل هكذا : هحل ، وهو تصحيف . وطمحت عيناه الى السماء : ارتفعتا .

(٤) نسب ابن اسحق هذا الحادث الى الرسول فى صغره وهو غلام . انظر السيرة النبوية لابن هشام (طبعة الحلبى) ١/١٩٤ . وقال السهيلى فى الروض ١/١٢٠ : هذه القصة انما وردت فى الحديث الصحيح فى بنيان الكعبة . ويدل سياق الحديث وطرق أخرى له أنهم كانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون عليها الحجارة بينما كان الرسول يحملها وازاره مشدود عليه ، فقال له عمه العباس : لوجعلت ازارك على عاتقك خفت عليك المئونة ، ففعل ، فسقط الى الأرض ، فعاد الى شد ازاره ، وفى بعض الروايات أنه نودى من السماء : ان اشدد عليك ازارك يا محمد .

(٥) انظر فى حالات الوحى صحيح البخارى ١/٢ وما بعدها وابن سعد ج١ق١ ص ١٢٩ وما بعدها والروض الأنف للسهيلى ١/١٥٣ وابن سيد الناس ١/٨٩ .

أن الوحى كان يأتيه أحيانا مثل صلصلة [١] الجرس ، وأحيانا يكلمه الملَكُ ، وأحيانا يشتدُّ عليه ، فيتفصَّد[٢] جبينه فى اليوم البارد عرقا .

وقال عروة بن الزبير :

كان إذا أُوحى إليه / وهو على ناقته وضعت جِرانها [٣] . ٣ ظ

وفى حديث عمر رضى الله عنه ، قال :

كان ينزل عليه الوحى ، فيُسْمعُ له دوِىٌّ كدوىِّ النَّحْل .

وقد أشبعنا هذا المعنى [٤] فى كتاب « التمهيد » عند ذكر حديث عائشة رضى الله عنها المذكور . والحمد لله .

حدثنا عبد الله ، قال : حدثنا محمد ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا محمد بن داود بن سفيان ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الزهرى ، قال : أخبرنى عروة بن الزبير ، عن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت : [٥] أول ما بُدىء به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من الوحى الرُّؤيا الصادقة [٦] ، ثم حُبِّب إليه الخلاءُ [٧] ، فكان يأتى حِراء ، فيتحنث فيه — وهو [٨] التعبد — الليالى [٩] ذوات العدد ، ويتزوَّد لذلك . ثم يرجع إلى خديجة ، فتزوده لمثلها ، حتى فَجَأَه [١٠] الحق ، وهو فى غار حراء . فجاءَ الملَكُ ، فقال : اقْرأ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى ، فغطَّنى [١١] ، حتى بلغ منى [١٢] الْجَهْد ،

---

(١) الصلصلة : صوت ذو رنين .
(٢) يتفصد : يسيل .
(٣) وضعت الناقة جرانها : بركت على الارض . والجران : مقدم عنق الناقة والبعير .
(٤) هذا المعنى : أى فى حالات الوحى . وقد عرضنا لكتابه التمهيد فى المقدمة .
(٥) انظر فى هذا الحديث صحيح البخارى ١/٣ ، ٦/١٧٣ وصحيح مسلم بشرح النووى ٢/١٩٧ وابن سيد الناس ١/٨٤ .
(٦) رواية البخارى : الصالحة .
(٧) الخلاء : الخلوة .
(٨) وهو : أى التحنث .
(٩) هكذا الرواية فى البخارى ومسلم . وفى الأصل : فى الليالى ، وكأن الناسخ ظن أن الكلمة متعلقة بالتعبد ، فأدخل عليها حرف الجر « فى »
(١٠) هكذا فى الأصل وصحيح مسلم ، وفى البخارى : جاءه
(١١) غطنى : من الغط ، وهو العصر الشديد
(١٢) هكذا فى صحيح البخارى ومسلم ، وفى الأصل : بى ، ولعله تصحيف من الناسخ .

ثم أَرسلنى ، فقال : اقْرَأ ، فقلت : ما أَنا بقارىء . فأَخذنى ، فغطَّنى الثانية ، حتّى بلغ منى الجهد ، ثم أَرسلنى ، فقال : اقْرَأ ، فقلت : ما أَنا بقارىء ، فأَخذنى ، فغطَّنى الثالثة ، حتى بلغ منى الجهد ، ثم أَرسلنى ، فقال : / (اقْرَأ باسم ربك الذى خلق) حتّى بلغ (علَّم الإنسان ما لم يعلم) . قال : فرجع بها ترجف بوادره [1] ، حتّى دخل على خديجة ، فقال : زمِّلُونى [2] ، فزملوه ، حتّى ذهب [عنه] [3] الرَّوْع . فقال يا خديجة : ما لى ؟ وأَخبرها الخبر . وقال : قد [4] خشيت على نفسى ، فقالت له : كلَّا ، أَبْشِرْ ، فوالله لا يخزيك الله [أَبدا] [5] إنك لتصل الرَّحِم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكَلَّ [6] [وتكسب [7] المعْدُومَ ، وتقْرِى الضَّيْف] ، وتُعين على نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة ، حتّى أَتتْ به ورقة بن نوفل بن أَسد ابن عبد العُزَّى بن قُصَى ، وهو ابن عم خديجة أَخى أَبيها ، وكان امرءًا تنصَّر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى [8] ، فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أَن يكتب ، وكان شيخا [كبيرا] [9] قد عَمِىَ . فقالت له خديجة : أَى ابنَ عَمِّى اسْمَعْ من ابن أَخيك . فقال ورقة بن نوفل : يا بن أَخى ما [10] ترى ؟ . فأَخبره النبى صلى الله عليه وسلم بما رأَى [11] . فقال [له] [12] ورقة : هذا الناموس [13] الذى أُنزل على موسى ، يا ليتنى أَكون فيها حيًّا [14] حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَومخرجىَّ هم ؟ . فقال ورقة بن نوفل :

(1) هكذا فى الأصل وصحيح مسلم ، وفى صحيح البخارى : يرجف فؤاده .
(2) زملونى : غطونى ولفونى ، من التزمل وهو الالتفاف فى الثياب .
(3) زيادة من البخارى ومسلم . (4) فى البخارى ومسلم : لقد
(5) زيادة من صحيح البخارى ومسلم .
(6) الكل : من الكلال وهو الاعياء ، ويطلق على الضعيف واليتيم ونحوهما . والمراد بحمله الانفاق عليه
(7) زيادة من صحيح البخارى ومسلم .
(8) فى صحيح البخارى : وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله
(9) زيادة من البخارى ومسلم . (10) فى البخارى ومسلم : ماذا ترى .
(11) فى البخارى ومسلم : خبر ما رأى . (12) زيادة من البخارى ومسلم .
(13) الناموس : جبريل . وأصل الناموس : صاحب سر الخير ، وضده الجاسوس صاحب سر الشر .
(14) العبارة فى البخارى ومسلم : يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى اكون حيا .. والجذع : القوى من الفتيان ، وأصله للفتى من الابل . وهو استعارة واضحة .

نعم إنه لم يأت أحد بما جئت به إلا عودى وأوذى / وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا [١] ٤ ظ
ثم لم يلبث [٢] ورقة أن توفى .

وفَتَر الوحى فترة [٣] ، حتى حزن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنا حزنا شديدا ، غدا منه مرارا كى يتردَّى من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة كى يلقى بنفسه منها تبدَّى له جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد إنك رسول الله حَقًّا ، فيسكن لذلك جَأْشُه [٤] ، وتَقِرُّ [٥] نفسه ، فيرجع ، فإذا [طالت] [٦] عليه فترة الوحى غَدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى ذروة تبدَّى له جبريل عليه السلام ، فقال مثل ذلك .

حَدَّثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا إسحق بن داود ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال أبو داود : وحدثنا مسدَّد بن مُسَرْهد ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال أبو داود : وحدثنا نصر ابن على ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن ابن إسحق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . دخل حديث بعضهم فى بعض . قال [٧] :

٥ و كان لكل قَبيلٍ / من الجن مقعدٌ من السماءِ يستمعون فيه ، فلما رموا بالشُّهب ، وحِيل بينهم وبين خبر السماءِ قالوا : ما هذا إلا لشيء حدث فى الأرض ، وشكوا ذلك إلى إبليس ،

---

(١) مؤزرا : قويا ، من الأزر ، وهو القوة والعون .
(٢) فى صحيح البخارى : ثم لم ينشب .
(٣) اختلف الرواة فى مدة فترة الوحى ، قيل : كانت اثنى عشر يوما ، وقيل : كانت خمسة عشر يوما ، وقيل خمسة وعشرين ، وقيل أربعين وقال السهيلى فى الروض الأنف ١/١٦١ : جاء فى بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة . وهذه الفقرة الخاصة بفترة الوحى وحزن الرسول نقلها ابن سيد الناس عن ابن عبد البر فى ١/٨٥ .
(٤) جأشه : روعه .
(٥) تقر : تهدأ وتسكن .
(٦) زيادة من ابن سيد الناس وهى ساقطة من الأصل .
(٧) روى ابن سيد الناس هذا الحديث فى ١/٨٧ وقارن بابن سعد ج ١ ق ١ ص ١١٠ .

فقال : ما هذا إلا لشيء حدث فى الأَرض ، فائتونى من تربة[1] كل أَرض ، فانطلقوا يضربون مشارق الأَرض ومغاربها ، يبتغون علم ذلك . فأَتوه من تربة كل أَرض ، فكان يشمّها ويرمى بها ، حتى أَتاه[2] الذين توجهوا إلى تهامة بتربة من تربة مكة ، فشمَّها ، فقال : من ههنا يحدث الحدث . فنظر ، فإذا النبى صلى الله عليه وسلم قد بُعث ، فانطلقوا فوجدوا رسول الله وطائفة معه من أَصحابه بنخلة [3] عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بهم صلاة الفجر[4] . فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذى حال بيننا وبين خبر السماء ، فولَّوا إلى قومهم منذرين ، فقالوا : يا قومنا (إنا سمعنا قرآنا عجبًا يهدى إلى الرُّشْد) . وذكر تمام الخبر .

قال أَبو داود[5] : وحدثنا وهب بن بقية [6] ، عن خالد . قال أَبو داود : وحدثنا محمد ابن العلاء ، عن ابن[7] إدريس ، كلاهما عن حُصَين ، عن عامر الشعبى ، قال :

لما بُعث النبى صلى الله عليه وسلم رُجِمَت الشياطين بنجوم لم تكن تُرْجم بها من قبلُ ، فأَتوا عبْدَ ياليل[8] ابن عمرو الثقفى / فقالوا : إن الناس قد فزعوا وأَعتقوا رقيقهم وسيَّبوا أَنعامهم لِما رأَوا فى النجوم ، فقال لهم : وكان رجلا أَعمى : لا تعجلوا وانظروا ، فإن كانت النجوم التى تُعْرَف فهو عند فناءِ الناس ، وإن كانت لاتعرف فهو من حَدث ، فنظروا ، فإذا هى نجومٌ لا تُعْرَف . فقالوا : هذا[9] أَمرٌ حدث ، فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم .

٥ ظ

---

(١) هكذا فى ابن سيد الناس ، وفى الأصل :فى كل تربة كل أرض .

(٢) هكذا فى ابن سيد الناس ، وفى الأصل :فأتوه ، باضمار الفاعل فى الفعل ثم اظهاره ،وهى لغة شاذة . وربما كان ذلك من خطأ الناسخ .

(٣) نخلة : واد على بعد ليلة من مكةوكانتعكاظ بينه وبين الطائف وكان سوقها ينعقد فى ذى القعدة عشرين يوما .

(٤) فرضت الصلاة فى أول البعثة المحمدية،وكانت كل صلاة ركعتين ركعتين ، ويقال انها كانت أولا ركعتين فى الغداة وركعتين فى العشى، ثم فرضت الصلوات الخمس ليلة الاسراء على نحو ما سيذكر ذلك ابن عبد البر .

(٥) روى ابن سيد الناس هذا الحديث عن ابن عبد البر ذاكرا طرقه واسانيده فى ١/٥٥

(٦) هكذا فى ابن سيد الناس ، وفى الأصل:منبه ، وهو تصحيف .

(٧) هكذا فى ابن سيد الناس ، وفى الأصل :ابى .

(٨) عبد ياليل : من رؤساء ثقيف ، وقد لحق الاسلام .

(٩) فى ابن سيد الناس : من

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود سليمان ابن الأشعث ، قال : أخبرنا أبو عاصم خسيس بن أصرم ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، قال : أخبرنى أبو سلمة ، عن جابر ، قال[1] :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحى ، قال : بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت رأسى ، فإذا المَلَكُ الذى جاءنى بحراء جالسا[2] على كرسى بين السماء والأرض فجُئِثْتُ[3] منه رُعْبًا ، فرجعت ، فقلت : زملونى ، دَثِّرُونى ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : (يا أيها المدَّثِّر) إلى قوله : (والرُّجْزَ فاهْجُرْ) وهى الأوثان .

وقال شُعْبَة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم النَّخَعِى[4] :

نزلت عليه (يا أيها المدثر) وهو فى قطيفة .

وقال شَيبان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم :

أول سورة أُنزلت عليه : (اقْرأْ باسم ربك الذى خلق) .

وهو قول عائشة وعُبَيد بن عُمَيْر ومحمد بن عبَّاد بن جعفر والحسن البصرى وعكرمة ومجاهد والزهرى .

---

(١) انظر فى هذا الحديث صحيح البخارى ١/٣ ، ٦/١٧٤ وصحيح مسلم بشرح النووى ٢/٢٠٥ ومسند أبى داود الطيالسى ص ٢٣٦ وقارن بابن سعد ج ١ق١ ص ١٣١ والطبرى ٢/٣٠٦ .

(٢) هكذا فى الأصل وصحيح مسلم وفى البخارى : جالس

(٣) هكذا فى الأصل وصحيح مسلم ، وفى رواية البخارى : فرعبت . وجئثت : فزعت ورعبت

(٤) انظر فى هذا الحديث وتاليه ابن سيدالناس ١/٨٨

باب

دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم قومه وغيرهم

إلى دين الله والدخول فى الإسلام ، وذكر بعض ما لقى
من الأذى وصَبْره فى ذلك على الْبلْوى صلى الله عليه وسلم

[دعوة[١] الرسول قومه وغيرهم إلى الإسلام] .

قال الله عزَّ وَجَلّ : (قُمْ فأَنْذِرْ) وقال عزَّ وَجَلّ : (فاصْدَعْ بما تُؤْمَرْ) .

أَخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا محمد بن يحيي ابن فارس ، قال : حدثنى محمد بن كثير الصَّنْعانى ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت[٢] :

٦ و ثم دعا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى الإسلام سرا [وجهرا][٣] / وهجْر الأَوثان ، فاستجاب له مَنْ شاءَ الله من الأَحداث والكهول وضَعَفة الناس ، حتى كثُر من آمن به وصَدَّقه ، وكفَّارُ قريش غير منكرين لما يقول ، يقولون إذا مرَّ عليهم : إن غلام بنى هاشم هذا ويشيرون إليه ليكلَّم ، زعموا ، من السماء . فكانوا على ذلك حتى عاب آلهتهم التى كانوا يعبدون ، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا كُفَّارا ، فغضبوا لذلك وعادوْه . فلما ظهر الإسلام وتحدث به المؤمنون أَقبلوا عليهم يعذِّبونهم ويؤذونهم ، يريدون بذلك فتنتهم عن دينهم . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرَّقوا فى الأَرض ، فقالوا أَين نذهب يا رسول الله ؟ فقال : ههُنا ، وأَشار بيده نحو أَرض الحبشة . فهاجر إليها ناسٌ ذوو عدد ، منهم مَنْ هاجر بنفسه ، ومنهم منْ هاجر بأَهله .

---

(١) انظر فى دعاء الرسول قومه وغيرهم الى الاسلام ابن هشام ١/٢٨٠ وابن سعد ج١ق١ ص ١٣٢ وصحيح البخارى ٤/٤١ وابن سيدالناس ١/٩٨ والنويرى ١٦/١٩٥

(٢) انظر فى هذا الحديث ابن سعد ج ١ق١ص ١٣٣ والنويرى ١٦/١٩٦

(٣) زيادة من ابن سعد ، يدل عليها السياق السابق ، فقد ظل الرسول يدعو الى الاسلام سرا نحو ثلاث سنين الى أن أمره الله باظهار الدعوة على نحو ما توضح ذلك الآيتان الكريمتان السابقتان لهذا الحديث .

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قال ابن المثنى : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، وقال ابن بشار : أخبرنا عبد الوهاب ، قالا : حدثنا محمد بن عمرو ، عن محمد بن المنكدر ، عن ربيعة بن عباد الدُّؤلى ، قال (1) :

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى المجاز (2) يطوف بالناس ، ويتبعهم فى منازلهم ، يدعوهم إلى الله ، يقول : إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تُشْركوا به شيئا ، ورجل خلفه يقول : يا أيها الناس هذا / ينهاكم أن تدينوا دين آبائكم ، فلا يصدنَّكم عن دينكم ودين آبائكم . فقلت : منْ هذا ؟ قالوا : عمه أبو لهب .

٦ ظ

دخل حديث بعضهم فى بعض ، ورواه زيد بن أسلم ، عن محمد بن المنكدر ، مثله (*) .

[أول (3) الناس إيمانا بالله ورسوله]

قال الفقيه أبو عمر (4) ، رضى الله عنه :

فكان أول من آمن بالله ورسوله ــ فيما أتت به الآثار ، وذكره أهل السِّير والأخبار ، منهم ابن شهاب وغيره ، وهو قول موسى بن عقبة ومحمد بن إسحق ومحمد بن عمر الواقدى وسعيد

---

(1) روى ابن سيد الناس هذا الحديث فى ١/١٠٠ ، ١/١٥٢

(2) ذو المجاز : على فرسخ من عرفة ،وكانت تقام به السوق الثالثة لأهل مكة فى هلال ذى الحجة ، والأيام العشرة قبله كانت لسوق مجنة ، وقبلها كانوا يعقدون سوق عكاظ عشرين يوما كما أسلفنا .

* روى من وجوه كلها صحاح ، والحمد لله

(3) انظر فى أول من آمن بالله ورسوله ابن هشام ١/٢٥٧ وتاريخ الطبرى ٢/٣٠٩ وجوامع السيرة لابن حزم ص ٤٥ وابن سيد الناس ١/٩١ وابن كثير ٣/٣٧ والنويرى ١٦/١٨٠

(4) فى الأصل : أبو عمرو ، وهو خطأ من الناسخ . وقد جاء على هامش هذه الورقة رقم ٦ : « هذه الكراريس من كتاب السيرة المنسوبة للحافظ ابى عمر بن عبد البر ، ولكن ناسخها يجعله أبا عمرو بالواو ، وهو غلط ، فليصلح » . وكتب محمد مرتضى الزبيدى صاحب تاج العروس بجانب هذا التعليق : « هذا خط الحافظ أبى الخير السخاوى ، رحمه الله . وكتبه محمد مرتضى » . وهو شمس الدين السخاوى صاحب « الضوء اللامع فى اعيان القرن التاسع » المتوفى سنة ٩٠٢ للهجرة .

ابن يحيى بن سعيد الأموى وغيرهم ـ خديجة بنت خويلد زوجته صلى الله عليه وسلم . وأبو بكر الصِّدِّيق ، وعلى بن أبى طالب ، واختلُف فى الأول منهما ، فرُوى عن حسان بن ثابت وإبراهيم النَّخعى وطائفة : أبو بكر أول[1] من أسلم . والأكثر منهم[2] يقولون على . وقد ذكرنا القائلين بذلك والآثار الواردة فى بابه من كتاب الصحابة[3] . ورُوِى عن ابن عباس القولان جميعا . واختلفوا فى سِنِّ على يومئذ ، فقيل : ثمان سنين ، وقيل : عشر سنين ، وقيل : اثنتا عشرة سنة ، وقيل : خمس عشرة سنة ، قاله الحسن البصرى وغيره . وقال ابن إسحق : كان أول ذَكَرٍ ممن آمن بالله وصدَّق رسول الله فيما جاء به من عند الله على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وهو ابنُ عشر سنين يومئذ .

قال [أى ابن إسحق] :

٧ و

ثم أسلم زيد بن حارثة بن شُرَحْبِيل بن كعب الكلبى / قلت : وقيل : شراحيل ـ قاله ابن هشام[4] ـ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أسلم أبو بكر بن أبى قُحافة ، واسم أبى قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة .

قال أبو عمر :

ثم أسلم خالد[5] بن سعيد بن العاصى . وأسلمت معه[6] امرأته : أُمَيْنة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ، وبلال وعمار بن ياسر وأمه سُمَيَّة ، وصُهَيْب بن سِنان النَّمَرى[7] المعروف بالرومى ، وعمرو بن عَبَسة[8] السُّلَمِىّ ورجع إلى بلاد قومه ، وعمرو بن سعيد بن العاصى .

---

(١) راجع فى سبق أبى بكر الى الاسلام كتاب صفة الصفوة لابن الجوزى ٨٩/١

(٢) منهم : أى من الرواة

(٣) انظر الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (طبعة حيدر آباد) ص ٤٧٠

(٤) اختار ابن عبد البر هذه الرواية فى ترجمته له بكتاب الاستيعاب ص ١٩١

(٥) أخر ابن هشام خالد بن سعيد ، ولم يعده فى السابقين . انظر السيرة ٢٧٧/١

(٦) فى الهامش : أن زوجة خالد أسلمت بعده هى ومن وليها من الصحابة

(٧) النمرى : نسبة الى قبيلة النمر بن قاسط ، ولقب بالرومى لأخذه لسان الروم اذ سبوه وهو صغير . انظر الاستيعاب ص ٣٢٥

(٨) فى الأصل : عنبسة ، وهو تصحيف . راجع ترجمته فى الاستيعاب ص ٤٤٣

ثم أَسلم بدعاءِ أَبي بكر الصديق عثمان بن عفَّان ، والزُّبير بن العوَّام ، وسعد بن أَبي وقَّاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوْف .

ثم أَسلم أَبو عبيدة بن الجرَّاح ، وأَبو سلمة بن عبد الأَسد ، وعثمان بن مظعون ، ثم أَخواه : قدامة وعبد الله ، وابنه : السائب بن عثمان بن مظعون ، وسعيد بن زيد بن عمروبن نفيل ، وأَسماءُ بنت أَبي بكر الصديق ، وعائشة بنت أَبي بكر الصديق ، وهي صغيرة (*) ، وفاطمة بنت الخطاب أُخت عمر بن الخطاب زوج سعيد بن زيد ، وعُميْر بن أَبي وقَّاص ، وعبد الله بن مسعود ، وأَخوه عتبة بن مسعود ، وسَليط بن عمرو العامريّ ، وعيَّاش بن أَبي ربيعة المخزومى ، وامرأَته أَسماء بنت سلامة بن مخرِّبة التميمية ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو القَارِيّ من بني الهون بن خزيمة وهم القارة ، وخُنَيْس / بن حُذافة بن قيس بن عدى السهمى ، وعبد الله بن جحْش الأَسدى . ٨و

تتمة السابقين إلى الإِيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم :

وحمزة بن عبد المطلب ، وجعفر بن أَبي طالب ، وامرأَته أَسماء بنت عُميْس ، وعامر بن ربيعة العَنْزِيّ من عَنْز بن وائل – قال ابن هشام : عنز بن وائل من ربيعة[1] – حليف الخطاب

(*) قلت :ذكره لعائشة وهم منه ،وذلك ان عائشة اما ان تكون ولدت بعد اسلام ابيها بأربع سنين فهى مولودة فى الاسلام مسلمة با سلام أبيها ، تبعا له بالاجماع • فلا ينبغى ان تعد ممن حدث اسلامه • والله الموفق •

وهذا على تقدير أن يكون أبو بكر الصديق أسلم أول الدعوة وهو الظاهر بل القريب من التواتر لوجوه ، منها قوله عليه السلام : بعثت اليكم فقلتم : كذبت ، وقال ابو بكر : صدق • وجاء فى طريق : أسلم وما عكم (اى تردد) وجاء وما تلعثم . وجاء فى طريق : أن خديجة اخذت النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر عند فجأة الحق له فى غار حراء ، فذهبت بهما الى ورقة ابن نوفل . وجاء فى طريق صحيح قول عائشة رضى الله عنها : لم أعقل أبوى الا وهما يدينان الدين . فان لم يكونا أسلما قبل ولادتها فقد اسلما قبل أن تميز ، والطفل قبل سن التمييز يسلم باسلام أبيه طبعا اجماعا ، اسلاما حكميا كاسلام المولود فى الاسلام ، فلا يعد ممن تقدم له غير الاسلام البتة • والروافض يروون مايدل – على زعمهم – على ان أبا بكر تأخر اسلامه ،وهذا بهت منهم ومخالفة للمستفيض المتواتر ، والله الموفق • والشعر ديوان العرب ، وقد جاء فى شعر حسان يمدح أبا بكر رضى الله عنه :

خيرَ البرية أَتقاها وأَفضلها ... بعد النبي وأَوفاها بما حملا

والثانىَ التالىَ المحمود سيرته ... وأَول الناس منهم صدق الرسلا

والناس يدخل فى لفظه النساء والصبيان والموالى

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/٢٧٤

ابن نُفَيْل . وأبو أحمد بن جحش الأعمى ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمر الجُمَحِى ، وامرأته بنت المجلِّل العامرية ، وحطاب[1] بن الحارث أخوه ، وامرأته فُكَيْهَة بنت يسار ، وأخوهما معمر بن الحارث بن معمر الجُمَحِىّ ، والمطلب ابن أزهر بن عبد عوف الزُّهْرِى ، وامرأته رملة بنت أَبِى عَوْف السَّهْمِيَّة ، والنحَّام واسمه نعيم بن عبد الله العدوى ، وعامر بن فُهَيْرة أزدىٌّ من الأَزد أُمه فُهَيْرة مولاة أَبِى بكر الصديق ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ العامرىّ أَخو سليط بن عمرو ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة واسمه مهشّم بن عتبة فيما قال ابن[2] هشام ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف [بن عُرين] [3] - فيما قال ابن هشام - ابن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة الحنظلى التميمى حليف بنى عدى بن كعب ، وأبو ذرّ جُنْدُب بن جُنادة ولكنه رجع إلى بلاد قومه فتأخرت هجرته ، وإياس وخالد وعاقل وعامر بنو البُكَيْر بن عَبْد ياليل ابن ناشب من بنى سعد بن ليث حلفاء بنى عدىّ ، والأرقم بن أَبِى الأَرقم واسم أَبِى الأَرقم عبد مناف بن أَبِى جُنْدب واسم أَبِى جندب أَسد بن عبد / الله بن عمر بن مخزوم [4] . ٨ ظ.

وأسلم حمزة[5] بن عبد المطلب ، وكان سبب إسلامه أن أبا جهل شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتناوله وحمزة غائب فى صيْد ، وكان راميا كثير الصيد ، فلما انصرف قالت له امرأة[6] : يا أَبا عمارة : ماذا لقى ابن أَخيك من أَبِى جهل ؟ شتمه وتناوله وفعل وفعل . قال :

---

(١) هكذا فى الاستيعاب ص ١٤٩ وفى الأصل : خطاب بالخاء

(٢) ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب ص٦٥٣ أنه يقال أن اسمه مهشم ، وقيل هشيم ، وقيل هاشم

(٣) زيادة من ابن هشام ٢٧٨/١ والاستيعاب ص ٦٢٣

(٤) ممن لم يذكرهم ابن عبد البر هنا - ولعله سهو من الناسخ - خباب بن الأرت حليف بنى زهرة ، وقد ذكر فى الاستيعاب ص ١٦٤ أنه قديم الاسلام ممن عذب فى الله وصبر على دينه . وكذلك لم يذكر عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وفى الاستيعاب ص ٤٢٢ كان اسلامه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم وقبل أن يدعو فيها . وأيضا لم يذكر المقداد بن الأسود حليف بنى زهرة ، وفى الاستيعاب ص ٢٨٩ كان قديم الاسلام ، وعن ابن مسعود : أول من أظهر الاسلام سبعة منهم المقداد . وسيذكر ابن عبد البر عما قليل حديث ابن مسعود فى هذا الصدد .

(٥) انظر فى اسلام حمزة وسببه ابن هشام ٣١١/١ وابن سيد الناس ١٠٤/١ والنويرى ٢٠٨/١٦

(٦) كانت مولاة لعبد الله بن جدعان

فهل رآه أحد ؟ قالت : نعم أهلُ ذلك المجلس عند الصَّفا . فأتاهم وهم جلوسٌ وأبو جهل فيهم ، فجمع على قوسه يديه ، فضرب بها رأس أبي جهل ، فدقَّ سِيتَها[1] . ثم قال : خذها بالقوس ، ثم أخرى بالسيف . أشهد أنه رسول الله وأنَّ ما جاء به حقٌّ من عند الله . وسُمِّى من يومئذ أسد الله .

ثم عمر[2] بن الخطاب ، أسلم بعد أربعين[3] رجلا واثنتى عشرة امرأة ، فعزَّ الإسلام وظهر بإسلام حمزة وعمر رضى الله عنهما .

[ذكر[4] بعض ما لقى الرسول وأصحابه من أذى قومه وصبرهم على ذلك]

ولما أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء إلى الله تعالى نابذتْه قريش ، ورموه بالبُهْتان ، وجاهروا فى عداوته ، وأظهروا البغضاء له ، وآذوه ، وآذوا من اتبعه ، بكل ما أمكنهم من الأذى . فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاره عمه أبو طالب ، ومنَع منه . وكذلك أجار أبا بكر قومه ، ثم أسلموه فأجاره ابن الدُّغُنَّة[5] . وأجار العاصى بن وائل عمر بن الخطاب .

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا عثمان بن أبي / شيبة ومحمد بن المثنى ، قالا : حدثنا يحيى بن أبي بكير ، قال : حدثنا زائدة بن قدامة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله[6] ، قال : كان أول من أظهر إسلامه سبعة : ٩ و

(١) سية القوس : ما عطف من طرفيها
(٢) راجع فى اسلام عمر ابن هشام ١/٣٦٠ وصحيح البخارى ٥/٤٨ وابن سيد الناس ١/١٢١ والنويرى ١٦/٢٥٣ ويقال انه أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام .
(٣) فى ابن هشام : وهم قريب من اربعين ما بين رجال ونساء
(٤) راجع فيمن آذوا الرسول وأصحابه وفى المجاهرين بعداوته والمستهزئين ابن هشام ١/٢٨٠ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٣٣ وصحيح البخارى ٥/٤٥ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١٥١ والمحبر لابن حبيب (طبعة حيدر آباد) ص ١٥٧ وما بعدها وابن حزم ص ٥٢ وابن سيد الناس ١/١٠٢ وما بعدها والنويرى ١٦/١٩٨
(٥) هو مالك بن الدغنة سيد الأحابيش ، وهم بنو الحارث الكنانيون والهون بن خزيمة القاريون الكنانيون قوم ابن الدغنة وبنو المصطلق الخزاعيون ، تحالفوا عند جبل يقال له حبشى ، فسموا الأحابيش . وانظر الروض الأنف للسهيلى ١/٢٣١
(٦) هو عبد الله بن مسعود ، وقد ذكر ابن عبد البر هذا الحديث فى كتابه الاستيعاب ص ٥٨

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمّار ، وأُمه سميّة ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد .
فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم فى الشمس ، فما منهم إلا مَنْ واتاهم فيما أرادوا وأوهمهم بذلك إلا بلال ، فإنه هانت عليه نفسه فى الله عزَّ وجلَّ ، وهان على قومه فأخذوه ، وأعطوه الولدان(1) ، فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة ، وهو يقول : أَحَدٌ ، أَحد .

وعن مجاهد مثله سواء(2) ، وزاد فى قصة بلال : وجعلوا فى عنقه حبلا ، ودفعوه إلى الصبيان يلعبون به ، حتى أثَّر الحبل فى عنقه ، ثم مَلُّوه فتركوه . قال ابن عبد البر : وقد ذكرنا خبره بأكثر من هذا فى بابه من كتاب الصحابة (3) . ولم يذكر ابن مسعود ولا مجاهد فى هذا الخبر خديجة ولا عليا ، وهما أول من أسلم عند أكثر أهل العلم ، لأنهما كانا فى بيت رسول الله ، ومَنْ كان فى بيته كان فى جِوار عمه . ومع ذلك فإنه (4) لم يظهر إلى قريش منهما ذلك ، فلم يُوذَيَا ، وهولاء السبعة ظهر منهم ذلك ، فلقَوا الأذى الشديد من قومهم . فقُصِد بهذا / الحديث إلى الخبر عنهم .

٩ ظ

حدثنا عبد الله ، قال : حدثنا محمد ، قال : حدثنا سليمان ، قال : حدثنا عمرو بن عثمان ومحمود ابن خالد وحسين بن عبد الرحمن ، قالوا : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى ، قال : حدثنا يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمى ، عن عروة بن الزبير ، قال (5) :

(1) الولدان : الغلمان والصغار

(2) ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب ص٥٩ أن حديث مجاهد فى معنى حديث ابن مسعود الا أنه لم يذكر بين السبعة المقداد وذكر موضعه خبابا

(3) انظر ترجمته فى الاستيعاب ص ٥٨ وما بعدها ، وقد وصف ابن هشام فى السيرة ٢٠٥/١ تعذيب قريش له ، وكان لبعض بنى جمح ، وكان الذى يتولى كبر تعذيبه أمية بن خلف ، فكان يخرجه اذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول ، وهو فى هذا العذاب والبلاء ، أحد أحد . وكأنما كان يزيده عذابه وبلاؤه ايمانا فوق ايمان ، ورق له أبو بكر حين رآه يوما فى هذا الهوان الشديد ، فاشتراه وأعتقه وأعتق معه ستا ممن كانوا يعذبون على الاسلام • وسيذكر ذلك ابن عبد البر عما قليل

(4) فى الأصل : فانهما

(5) انظر فى هذا الحديث صحيح البخارى ٤٦/٥

سأُلت عبد الله بن عمرو بن العاص ، قلت : أَخبرْنى بـأَشد شيء صنعه المشركون برسول الله ، قال : نعم ، بينما رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى حِجْر الكعبة إذ أَقبل عقبة[1] بن أَبِى مُعَيْط ، فوضع ثوبه فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخنقه به خنقا شديدا . قال : فأَقبل أَبو بكر حتى أَخذ بمنكبيه ، ودفعه عن رسول الله ، وقال : (أَتقتلون رجلا أَن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) .

ورواه بشر بن بكر عن الأَوزاعى بإسناده مثله (*) . وروى بشر بن بكر ، عن الأَوزاعى ، عن يحيى بن أَبى كثير ، قال : حدثنى أَبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : قلت : لعبد الله بن عمرو بن العاص : أَخبرنى بـأَشد شيءٍ ، فذكر مثله . وعند عمر بن عبد الواحد ، عن الأَوزاعى عن هذا الإِسناد أَيضا فى هذا الخبر ، وعن إِسماعيل بن سماعة أَيضا مثله ، عن الأَوزاعى بهذا الإِسناد فى هذا الخبر . / وعند الوليد بن مزيد ، عن الأَوزاعى فى هذا الخبر الإِسناد الأَول . ١٠و
وروى محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أَبى سلمة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص هذا الخبر بمعناه ، وزاد فيه ، فقال :

يا معشر قريش والذى نفسى بيده لقد أَرسلنى ربى إِليكم بالذَّبْح .

ورواه هشام بن عروة ، عن أَبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص بمعنى حديث يحيى بن أَبى كثير وحديث محمد بن عمرو ، عن أَبى سلمة ، عن عبد الله بن عمرو .

حدَّثنا عبد الله ، قال : حدثنا محمد ، قال : حدثنا أَبو داود ، قال : حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أَبى شيبة : أَن محمد بن أَبى عبيدة ، حدثهم عن أَبيه ، عن الأَعمش ، عن أَبى سفيان ، عن أَنس ، قال :

لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى غُشى عليه ، فقام أَبو بكر ، فقال : (ويلكم أَتقتلون رجلا أَن يقول ربِّىَ الله) فقالوا : هذا ابن أَبى قحافة المجنون .

---

(١) من بنى أمية بن عبد شمس ، وكان من ألد أعداء الرسول ومن أكثر قريش حربا عليه وظلما له ، وقد وقع أسيرا فى غزوة بدر ، فقتل كافرا أثيما .

(*) قلت : ذكر العلماء ان ابا بكر الصديق أفضل من مؤمن آل فرعون [الذى جاءت الآية الكريمه على لسانه : أتقتلون ..] لأن ذاك اقتصر — حيث انتصر — على اللسان ، وأما أبو بكر فأتبع اللسان يدا ، ونصر بالقول والفعل محمدا صلى الله عليه وسلم .

[المجاهرون بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به] .

قال الفقيه أبو عمر رضى الله عنه :

وكان المجاهرون [1] بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به : من بنى هاشم عمَّه أبا لهب (*) وابن عمه أبا سفيان بن الحارث .

ومن بنى عبد شمس : عتبة وشيبةَ ابنى [2] ربيعة ، وعُقْبة بن أبى مُعَيْط ، وأبا سفيان بن حرب ، وابنه حنظلة ، والحكم بن أبى العاص بن أُمية ، ومعاوية بن [3] العاص بن أمية .

ومن بنى عبد الدار : النَّضْر بن الحارث .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى : الأَسود بن المطلب [4] ، وابنه زَمْعة ، وأبا البَخْتَرِىّ العاصى ابن هشام .

ومن بنى زهرة : الأَسود بن [عبد] [5] يغوث الزهرى .

---

(١) نقل ابن سيد الناس عن ابن عبد البر فى ١/١١٠ هذا الفصل الخاص بالمجاهرين بالظلم للرسول ولكل من آمن به ، وكذلك نقله ابن حزم فى ص ٥٢ بتصرف قليل ، وتدل معارضته على ابن سيد الناس أن الكلام الذى ولى أبا لهب ليس من كلام ابن عبد البر ، ويكمل هذه الدلالة مافى داخله من كلمة « يرجع الكلام » التى يكتبها عادة من يستدركون على كلام بعض المصنفين ، كما أوضحنا ذلك فى المقدمة .

(*) وكانت عاقبة أبى لهب الى التباب والخسران والهجران حتى من أولاده ، يقال انه مرض بالعدسة (لعلها مرض الجدرى) وبهامات . وكانت العرب تتشاءم بها وتخاف منها العدوى ، فيقال انه لما مات امتنع أولاده من أن يقربوه أو يواروه خوفا من العدوى ، ثم اجتمع رأيهم بعد ثلاث على أن يرموه بالحجارة حتى وارته ، فكان ذلك — والله أعلم — سبب استمرار الحجارة على قبره الى أن تقوم الساعة ، فهو مرجوم باللسان لعنا وبالحجارة دفنا . نعوذ بالله من سوء العاقبة . يرجع الكلام . واختلف هل دفن أم لا . فقيل : دفع الى حفرته بعود من بعيد ، وقيل : لم يدفن ألبته ، وانما رمى بالحجارة . ذكره ابن اسحق .

(٢) فى الاصل : ابنا . والعطف على خبر كان السابقة يقتضى النصب ، ولذلك أخذنا هنا وفيما يلى من الأسماء بالنصب متابعين فى ذلك ابن سيد الناس الذى نقل هذا النص عن ابن عبد البر كما اسلفنا .

(٣) هكذا فى ابن سيد الناس ، وفى الأصل : والعاص

(٤) فى ابن سيد الناس : عبد المطلب

(٥) زيادة من ابن سيد الناس

ومن بنى مخزوم : أبا جهل بن هشام ، وأخاه العاصىَ بن هشام ، وعمَّهما الوليد بن المغيرة ، وابنه أبا قيس بن الوليد بن المغيرة ، وابن عمه قيس بن الفاكه[1] بن المغيرة ، وزهير بن أبى أمية بن المغيرة أخا أم سلمة[2] ، وأخاه عبد الله بن أبى أمية ، والأسود بن عبد الأسد أخا أبى سلمة ، وصَيْفىّ بن السائب .

ومن بنى سهم : العاص بن وائل ، وابنه عمرو بن العاص ، وابن عمه الحارث بن قيس ابن عدى ، ومنبِّهًا ونُبيْهًا ابنى الحجاج .

ومن بنى جُمَح : أمية وأُبيًّا ابنى خلف بن وهب بن حذافة بن جمح السَّهْمى ، وأنيس بن مِعْير[3] أخا أبى محذورة . / والحارثَ بن الطُّلاطلة الخُزَاعىّ .

١١ و

وعدى بن الحمراء الثقفى[4] .

فهؤلاء كانوا أشد على المؤمنين مثابرة بالأذى ، ومعهم سائر قريش ، فمنهم من يعذِّبون مَنْ لا منعة له ولا جوار من قومه ، ومنهم من يؤذون . ولقى المسلمون من كفار قريش وحلفائهم من العذاب والأذى والبلاء عظيما ، ورزقهم الله من الصبر على ذلك عظيما ليدَّخر لهم ذلك فى الاخرة ويرفع به درجاتهم فى الجنة . والإسلام فى كل ذلك يفشو ويظهر فى الرجال والنساء .

وأسلم الوليد بن الوليد بن المغيرة ، وسلمة بن هشام أخو أبى جهل ، وأبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة ، وجماعة ، أراد الله هداهم .

وأسرف بنو جُمَح على بلال بالأذى والعذاب ، فاشتراه أبو بكر الصِّدِّيق منهم ، واشترى أمّه حمامة ، فأعتقهما . وأعتق عامر بن فُهَيْرَة ، وأعتق خمسا[5] من النساء : أمّ[6] عُبيْس ،

---

(١) هكذا فى ابن سيد الناس . واضطرب الناسخ هنا ، وعاد فكتب الوجه الصحيح دون أن يضرب على ما قبله

(٢) زوج الرسول صلى الله عليه وسلم

(٣) هكذا فى ابن سيد الناس ، وفى الأصل :معبد

(٤) كان أشد المذكورين عداوة للرسول وايذاء أبا لهب وعقبة بن أبى معيط وأبا جهل وامية بن خلف والنضر بن الحارث

(٥) فى الأصل : خمسة . وانظر فيمن أعتقهم أبو بكر ممن كانوا يعذبون فى الله المحبر لابن حبيب ص ١٨٣

(٦) هكذا فى المحبر وابن هشام ١/٣٤٠ وابن حزم ص ٥٥ ، وفى الأصل : ام عثمان ، وهو تصحيف . وكانت لبنى تيم بن مرة

وزِنِّيرة[١] ، والنهْدِية ، وابنتها[٢] ، وجارية لبنى عدى بن كعب كان عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يعذِّبها على الإسلام قبل أن يسلم . ورُوِى أن أبا قحافة قال لابنه أبى بكر : يا بُنى أراك تعتق قوما ضعفاء ، فلو أعتقت قوما جُلَداءَ يمنعونك . فقال : يا أبت إنى أُريد ما أُريد ، فقيل إن فيه نزلت : (وسيجنَّبها الأَتْقى الذى يُؤتى مالَه يتزكَّى) [إلى[٣] آخر السورة] .

حدّثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا يحيى بن خلف ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نُجَيْح ، عن مجاهد :

(أرأيت الذى يَنْهى عبدًا إذا صلَّى) قال : أبو جهل ينهى محمدا صلى الله عليه وسلم . (فليدع / ناديه) : أهل مجلسه . (سَنَدْع الزَّبَانِيَةَ)[٤] قال : الملائكة .

١ ظ.

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، قال : حدثنا سليمان بن حِبان ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال[٥] :

صَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاءَ أبو جهل ، فقال : أَلم أَنْهك عن هذا ؟ فانصرف إليه النبى صلى الله عليه وسلم ، فزجره[٦] ، فقال : يهدِّدنى محمد وقد علم أن ما بها[٧] رجل أكثر ناديا منى ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : (فليدع ناديه سَنَدْعُ الزَّبانية) .

قال ابن عباس : والله لو دعا ناديه لأَخذته الملائكة والعذاب .

---

(١) هكذا فى ابن هشام والمحبر والروض الأنف ٢٠٣/١ وفى الأصل : ربيدة وهو تصحيف، واصلحت فى الهامش: زهرة ،وهو ايضا تصحيف وكانت جارية رومية لبنى عبد الدار ، وكانوا يعذبونها عذابا شديدا . والزنيرة : واحدة الزنانير ، وهى الحصا الصفار .
(٢) كانتا جاريتين لامرأة من بنى عبد الدار
(٣) زيادة من ابن سيد الناس
(٤) الزبانية : جمع زبنية بكسر الزاى وسكون الباء وكسر النون ، وهو الشرطى . واستعارة الزبانية لملائكة العذاب واضحة فى الدلالة على أصل معناها .
(٥) انظر هذا الحديث فى ابن سيد الناس ١٠٧/١
(٦) فى ابن سيد الناس : فزبره . ومعنى الكلمتين واحد
(٧) ما بها : ما بمكة

[المستهزئون]

قال أبو عمر ، رضى الله عنه :

وكان المستهزئون [1] الذين قال الله فيهم : (إنا كفيناك المستهزئين) عمّه أبا لَهبٍ ، وعقبة بن أبي مُعَيْط ، والحكم بن أبي العاصى ، والأسود بن المطلب بن أسد أبا زَمْعة ، والأسود ابن عبد يغوث ، والعاصى بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، والحارث بن غَيْطلة السَّهْمى ويقال له ابن الغَيْطلة .

وكان جبريل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض وقفاته معه ، فمرَّ بهما من المستهزئين الوليد بن المغيرة والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث بن غيطلة ، والعاصى ابن وائل ، واحدا بعد واحد . فشكاهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى جبريل ، فأشار إليهم جبريل عليه السلام ، وقال : كفيتكهم . فهلكوا بضروب من البلاء والعمى قبل الهجرة .

وفيما لقى بلال وعمار والمقداد وخبّاب وسعد بن أبي وقّاص وغيرهم ممن لم تكن له منعة من قومه من البلاء / والأذى ما يجْمُلُ أن يُفْرَد له كتاب ، ولكننا نقف فى كتابنا عند شرطنا ، وبالله توفيقنا . ١٢ و

فلما اشتد بالمسلمين البلاء والأذى وخافوا أن يُفْتَنُوا عن دينهم أذن الله لهم فى الهجرة إلى أرض الحبشة ، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيروا إليها فإن بها ملكا لا تُظْلَمُون عنده ، وهو أصحمة [2] ، وتفسيره بالعربية عطية ، وهو ابن أبْحر . والنجاشىّ عامّ لكل من ملك الحبشة كفرعَوْن لمصر وتُبَّع لليمن وقيصر للشام وكسرى للعراق وبطليموس لليونان .

---

(١) نقل ابن سيد الناس فى ١١٣/١ هـذه الفقرة الخاصة بالمستهزئين عن ابن عبد البر .

(٢) انظر فى موته صحيح البخارى ٥١/٥ .

باب

ذكر الهجرة[1] إلى أرض الحبشة

قال أبو عمر :

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا محمد بن داود بن سفيان . وحدثنا خلف بن سعيد ، قال : حدثنا أحمد بن خالد ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قالا : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزُّهرى ، عن عُرْوة ، قال[2] :

فلما كثر المسلمون وظهر الإيمان أقبل كفَّار قريش على مَنْ آمن من قبائلهم يعذِّبونهم ويؤذونهم ليردّوهم عن دينهم . قال : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمن آمن به : تفرّقوا فى الأرض ، فإن الله تعالى سيجمعكم . قالوا : إلى أين نذهب ؟ قال : ههنا[3] ، وأشار بيده إلى أرض الحبشة . فهاجر إليها ناسٌ ذوو عَدَدٍ / منهم مَنْ هاجر بأهله ، ومنهم مَنْ هاجر بنفسه ، حتى قدموا أرض الحبشة . ١٢ ظ

قال الفقيه أبو عمر رضى الله عنه :

فكان أولَ من خرج من المسلمين فارًّا بدينه إلى أرض الحبشة عثمان بن عفَّان ، معه امرأته

---

(١) كانت الهجرة الى ارض الحبشة مرتين ،أما الأولى فكان عدد المهاجرين فيها اثنى عشر رجلا وأربع نسوة ، وكان خروجهم فى شهر رجب سنة خمس من النبوة ، فأقاموا فيها شهرين ، وسمعوا أن الاسلام أخذ ينتشر فى مكة فعادوا ولقوا من المشركين أشد مما عهدوا . وأما الثانية فكانت بعد عودة هؤلاء المهاجرين بقليل لاشتداد الأذى من قريش ، والمشهور أنه كان عدد المهاجرين فيها ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امراة . وانظر فى الهجرة الى الحبشة ابن هشام ٣٤٤/١ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٣٦ وصحيح البخارى ٤٩/٥ والطبرى ٣٢٩/٢ وانساب الاشراف للبلاذرى ٨٩/١ وابن حزم ص ٥٥ وابن سيد الناس ١١٥/١ والنويرى ٢٣٢/١٦ ، ٢٤١ والسيرة الحلبية ٤٣١/١ ، ٤٥٠/١

(٢) انظر فى هذا الحديث ابن سيد الناس ١١٥/١

(٣) فى ابن سيد الناس : الى ههنا

رُقَيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (*) . وقد قيل إن أول من هاجر إلى الحبشة أبو حاطب ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ أخو سُهيْل بن عمرو . وقيل : هو سليط بن عمرو .

وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هاربا عن أبيه (*) ، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو مُراغمةً لأبيها فارَّة عنه بدينها ، فولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حذيفة صِنْو الزبير ابن العوام . ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد معه امرأته أُم سلمة [1] بنت أبي أمية .

١٣ و وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة حليف / آل الخطاب ومعه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم العدوية .

وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم العامرى ، وامرأته أم كلثوم [2] بنت سهيل بن عمرو ، وسُهيْل بن بيضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة الفِهْرِيّ .

ثم خرج بعدهم جعفر بن أبي طالب ، ومعه امرأته أسماء بنت عُميْس ، فولدت له هناك بنيه : محمدا وعبد الله وعَوْنا .

وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، ومعه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرِّث ابن شِقٍّ بن رقبة بن مخدج الكنانية ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص ، معه امرأته أُمَيْنة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن يُثَيْع [3] الخزاعية ، فولدت له هناك ابنه سعيدا وابنته أم خالد واسمها آمنة بنت خالد .

(*) قلت : وهى التى غنى النساء لها عندما بنى بها عثمان =

أحسن شخصين رأى إنسانْ   رقيةٌ وبعلها عثمانْ

كانت أحسن أهل زمانها . ومع ذلك ففاطمة افضل بناته عليه السلام قيل لأنها أصيبت فى الرسول فكان فى ميزانها . وبقية البنات أصيب بهن الرسول ، فكن فى ميزانه . وجاء فى هذا المعنى حديث ذكره السهيلى . وقيل لأنها ولدت الحسن سيد المسلمين . والأصح عندى أن فضلها بسبب أنها عمرت حتى بدت النعمة وأكمل الله الدين وقامت بوظائفه كلها حجا وغيره . الا أن يصح توقيف فى سبب تفضيلها بغير ذلك ، فيتعين المصير اليه ، والله الموفق .

(*) يريد أنه هرب بدينه

(١) هى أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية أم المؤمنين

(٢) قال ابن سيد الناس فى ١/١١٥ : لم يذكرها ابن اسحق

(٣) وفى الأصل : سبيع ، وهو تصحيف

وعبد الله بن جحش بن رِئاب الأسدى ، وأخوه عبيد[1] الله بن جحش ، معه امرأته أم حبيبة[2] بنت أبي سفيان ، فتنصَّر هناك ، ومات نصرانيا مرتدًّا عن دينه

وقيس بن عبد الله حليف لبنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته بَركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب .

ومُعيْقيب بن أبي فاطمة الدَّوْسِيّ حليف لبنى العاص بن أمية .

وعتبة بن غَزْوَان بن جابر المازنى ، من بنى مازن بن منصور أخى سليم بن منصور ، حليف بنى نوفل بن عبد مناف .

ويزيد بن زَمْعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد ، وعمرو بن أُمية بن الحارث بن أسد ، والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد . وطُلَيْب بن عمير / بن وهب بن أبي كبير بن عبد قصى[3] وسُوَيْبِط. بن سعد بن حَرْملة ، ويقال حريملة ، بن مالك العبدرى .

١٣ ظ

وجهم بن قيس بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبْدرى ، معه امرأته [أم] [4] حرملة بنت عبد الأسود بن جَذِيمة بن الأُقَيْش بن عامر بن بياضة بن يُثَيْع بن جِعْثمة[5] بن سعيد[6] ابن مُلَيْح بن عمرو من خزاعة ، وابناه عمرو بن جهم وخُزَيمة بنت جهم .

وأبو الروم بن عمير أخو مصعب بن عمير ، وفِراس[7] بن النَّضر بن الحارث[8] بن كَلَدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار ، وعامر بن أبي وقَّاص أخو سعد بن أبي وقاص .

---

(١) ذكر ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب ص ٣٥٢ ممن هاجر مع عبد الله بن جحش أخوه أبو أحمد ، وكان أعمى

(٢) وقد بانت منه حين تنصر فتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم

(٣) فى جوامع السيرة ص ٥٨ : عبد بن قصى

(٤) الزيادة من ابن سيد الناس وجوامع السير وابن هشام ٣٤٧/١

(٥) هكذا فى جوامع السيرة ، وفى الأصل: خثعمة

(٦) فى جوامع السيرة : سعد

(٧) هكذا فى ابن سيد الناس وجوامع السيرة والنويرى ، وفى الأصل : فريس

(٨) هكذا : الحارث بن كلدة بن علقمة فى جوامع السيرة ، وفى الأصل : الحارث بن علقمة ابن كلدة .

والمطلب[١] بن أزهر بن عبد عوف، معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن صُبيْرة السهمية، ولدت له هناك عبد الله بن المطلب.

وعبد الله بن مسعود الهُذَلي، وأخوه عتبة بن مسعود، والمقداد بن عمرو بن ثعلبة البهرانى ويقال له المقداد بن الأسود لأن الأسود بن عبد يغوث الزُّهْرى تبنَّاه وهو حليف له.

والحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة، ومعه امرأته رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيْلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة، فولدت له هناك موسى وزينب وعائشة وفاطمة.

وعمرو بن عثمان بن عمرو التَّيْمى عم طلحة، وشَمَّاس بن عثمان بن الشَّريد المخزومى واسمه عثمان بن عثمان، وهَبَّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال المخزومى، وأخوه عبد الله / بن سفيان، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعيَّاش بن أبي ربيعة ابن المغيرة المخزومى، ومعتِّب بن عوف بن عامر الخزاعى، يعرف بمعتب بن حمراء حليف بنى مخزوم، والسائب بن عثمان بن مظعون، وعماه قدامة وعبد الله ابنا مظعون.

١٤

وحاطب وحطَّاب ابنا الحارث بن معمر الجُمَحِيّ، ومع حاطب زوجه فاطمة بنت المجلِّل العامرية، ولدت له هناك محمدا والحارث ابنى حاطب، ومع حطاب زوجُه فُكَيْهة بنت يسار.

وسُفْيان بن مَعْمر بن حبيب الجمحى، ومعه ابناه جابر وجُنادة ابنا سفيان، وأمهما حسنة، وأخوهما لأُمهما شُرَحْبيل بن حسنة، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع الكندى وقيل[٢] إنه من بنى الغوث بن مر أخى تميم بن مر.

وعثمان بن ربيعة بن أُهْبان بن وهب بن حذافة بن جُمَح، وخُنَيْس بن حذافة بن قيس ابن عدِىّ السَّهْمى، وأخواه قيس وعبد الله ابنا حذافة، ورجل من تميم اسمه سعيد بن عمرو كان أخا بشر[٣] بن الحارث بن قيس بن عدى لأُمه.

وهشام بن العاص بن وائل أخو عمرو بن العاص، وعمير بن رِئاب بن حذيفة السَّهْمى،

---

(١) ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب انه هاجر الى الحبشة مع أخيه طليب وتوفيا هناك
(٢) هو قول ابن هشام ١/٣٥٠
(٣) سيذكره ابن عبد البر توا

[وأبو] قيس بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى ، وإخوته : الحارث بن الحارث ومعمر ابن الحارث وسعيد بن الحارث ، والسائب بن الحارث ، وبشر بن الحارث ، ومحْمية بن جَزْء الزُّبيدى حليف بنى سهم .

ومعمر بن عبد الله بن نَضْلة[1] العدوى من بنى عدى بن كعب / وعروة بن عبد العُزَّى ابن حُرْثان العدوى وعدىّ بن نَضْلة بن عبد العُزَّى العدوى ، وابنه النعمان بن عدى ، ومالك بن ربيعة[2] بن قيس العامرى امرأته عمرة بنت أسعد[3] بن وَقْدان بن عبد شمس العامرية . وسعد بن خَوْلة من أهل اليمن حليف لبنى عامر بن لُؤىّ ، وعبد الله بن مخرمة بن عبد العُزَّى العامرى ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو العامرى ، وعماه : سليط بن عمرو ، والسكران بن عمرو ، ومع السكران بن عمرو امرأته سودة[4] بنت زمعة .

وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفِهْرى ، وعمرو بن أبى سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فهر ، وعياض بن زهير بن أبى شداد الفِهْرى ، وعثمان بن عبْد غَنْم بن زهير بن أبى شداد . وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر الفِهْرى .

وقد جاء فى بعض الأثر ، وقاله بعض أهل السِّير ، أن أبا موسى الأشعرى كان فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ، وليس كذلك ، ولكنه خرج فى طائفة من قومه[5] مهاجرا من بلده باليمن ، يريد المدينة ، فركبوا البحر ، فرمتهم الريح ، بالسفينة التى كانوا فيها إلى أرض الحبشة ، فأقام هنالك حتى قدم مع جعفر[6] بن أبى طالب .

ولما نزل هؤلاء بأرض الحبشة أمنوا على دينهم وأقاموا بخير دار عند خير جار . وطالبتهم قريش عنده ، فكان ذلك سبب إسلامه على ما نورده بعد إن شاء الله .

---

(١) فى ابن سيد الناس : وقيل : معمر بن عبد الله بن نافع بن نضلة .
(٢) فى جوامع السيرة : زمعة .
(٣) فى جوامع السيرة : السعدى .
(٤) اقترن بها رسول الله بعد وفاة خديجة ووفاة زوجها السكران .
(٥) انظر فى ذلك ابن اسحق فى السيرة النبوية لابن هشام ١/٣٤٧ .
(٦) وراجع صحيح البخارى ٥/٥١ .

١٥ و وأقام بمكة من كان له من عشيرته منَعة . / فلما رأت قريش أن الإسلام يفشو وينتشر اجتمعوا فتعاقدوا على بنى هاشم ، وأدخلوا معهم بنى المطلب أن لايكلموهم ولا يجالسوهم ولا يناكحوهم ولا يبايعوهم . واجتمع على ذلك مَلَؤهم ، وكتبوا بذلك صحيفة ، وعلقوها فى الكعبة . فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب كلهم كافرهم ومؤمنهم ، فصاروا فى شِعب أبى طالب محصورين مُبْعَدين مُجْتَنَبين ، حاشا أبا لهب وولده فإنهم صاروا مع قريش على قومهم . فبقوا كذلك ثلاث سنين إلى أن جمع الله قلوب قوم من قريش على نقض ما كانت قريش تعاقدت فيه على بنى هاشم وبنى المطلب .

باب

ذكر دخول[1] بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطلب بن عبد مناف فى الشِّعْب[2] وما لَقُوا من سائر قريش فى ذلك

أَخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : أَخبرنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أَبو داود ، قال : أَخبرنا محمد بن سلمة المرادى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : أَخبرنى ابن لَهيعة عن محمد بن عبد الرحمن أَبى الأَسود . وأَخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : أَخبرنا قاسم بن أَصْبغ ، قال : حدثنا مطرّف بن عبد الرحمن بن قيس ، قال : حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب . وأَخبرنا عبد الله بن محمد / قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أَبو داود ، قال : حدثنا محمد بن إسحق المسيَّبى ، قالا : حدثنا محمد بن فُلَيْح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب . دخل حديث بعضهم فى بعض ، قال :

١ ظ

ثم إن كفار قريش أَجمعوا أَمرهم واتفق رأْيهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : قد أَفسد أَبناءنا ونساءنا . فقالوا لقومه : خذوا منا دِيَته[3] مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش ، وتُريحوننا وتريحون أَنفسكم . فأَبى قومه بنو هاشم من ذلك وظاهَرهم بنو المطلب بن عبد مناف . فأَجمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشِّعْب . فلما دخلوا الشعب

---

(١) انظر فى تعاقد قريش على بنى هاشم وبنى المطلب وكتابتهم صحيفة هذا العقد ابن هشام ١/٣٧٥ وابن سعد ج١ق١ص١٣٩ والطبرى ٢/٣٣٥ وما بعدها وابن كثير ٣/٨٤ والنويرى ١٦/٢٥٨ والسيرة الحلبية ١/٤٤٩ وقد نقل ابن سيد الناس هذا الباب عن ابن عبد البر ، انظر عيون الاثر ١/١٢٦ .

وكان هذا العقد والحصار لبنى هاشم وبنى المطلب فى ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة وظلوا محاصرين الى السنة العاشرة وقيل بل الى السنة التاسعة .

(٢) الشعب : واحد شعاب مكة وهى الوهاد والطرقات بين الجبال حيث كانت تسكن بعض عشائر قريش .

(٣) فى ابن سيد الناس : دية .

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكان مَتْجَرًا لقريش . وكان يُثْنَىَ على النجاشي بأنه لا يُظْلَمُ عنده أحد . فانطلق المسلمون إلى بلده . وانطلق إليها عامَّةُ مَنْ آمن بالله ورسوله . ودخل بنو هاشم وبنو المطلب شِعْبَهم : مؤمنهم وكافرهم ، فالمؤمن دينا ، والكافر حميَّةً (*) . فلما عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد منعه قومه أجمعوا على أن لايبايعوهم ولا يُدْخلوا إليهم شيئا من الرِّفْق[1] — وقطعوا عنهم الأسواق ولم يتركوا طعاما ولا إداما ولا بيعا إلا بادروا إليه واشتروه دونهم [2] — ولا يناكحوهم ، ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ، ولا تأخذهم بهم رأفة ، حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل . وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة ، وتمادوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاث سنين . فاشتد البلاء على بنى هاشم فى شِعْبهم وعلى كل من معهم (*) . فلما كان رأْس ثلاث سنين تلاوم قوم من بنى قُصَيّ ، ممن ولدتهم بنو هاشم وممن سواهم ، فأجمعوا أمرهم على نَقْض ما تعاهدوا عليه من الغَدْر والبراءة ، وبعث الله على صحيفتهم الأَرَضة ، فأكلت ولحست ما فى الصحيفة من ميثاق وعهد . وكان أبو طالب فى طول مدتهم فى الشِّعب يأْمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأْتى فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرا أو غائلة . فإذا نام الناس أمر أحد / بنيه أو إخوته أو بنى عمه ، فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر رسول الله أن يأتى بعض فُرشهم فيرقد عليها . فلم يزالوا فى الشعب على ذلك إلى تمام ثلاث سنين . فلما أكملوها تلاوم رجال من قريش وحلفائهم وأجمعوا أمرهم على نقض ما كانوا تظاهروا عليه من القطيعة والبراءة . وبعث الله على صحيفتهم

١٦ ظ.

* قلت : هذه حجه الشافعى فى الحاق بنى المطلب ببنى هاشم دون بنى عبد شمس وغيرهم . وجاء فى حديث : ان بنى هاشم وبنى المطلب لم يفترقوا فى جاهلية ولااسلام . ومذهب مالك أن بنى المطلب كغيرهم ، وان الخصوصية فى تحريم الصدقات ونحو ذلك لبنى هاشم خاصة . والله أعلم .

(١) الرفق : ما استعين به .

(٢) ارادوا بذلك قطع الميرة عنهم ، ويقال انهم كانوا لا يخرجون من شعبهم الا من موسم الى موسم .

* قلت : حتى قال احدهم ، وطئت ذات ليلة على شىء رطب ، فرفعته الى فى ، فابتلعته ، فما أدرى ما هو الى الآن . وقال آخر : قعدت للبول ليلة ، فسمعت تحتى قعقعة فالتمست ، فاذا هى جلدة يابسه ، فأخذتها ، فغسلتها ، واشتويتها ، فرضضتها (دققتها) ، ولقد أمسكت رمقى بها [انظر فى هذين الخبرين السهيلى ١/٢٣٢] .

الأَرضَة ، فلحست كل ما كان فيها من عهد لهم وميثاق ، ولم تترك فيها اسما لله عز وجل إلا لحسته ، وبقى ما كان فيها من شرك أَو ظلم أَو قطيعة رحم . فأَطلع الله عَزَّ وَجَلَّ رسوله على ذلك . فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأَبى طالب ، فقال أَبو طالب : لا والثواقب[1] ماكذبتنى ، فانطلق فى عصابة من بنى عبد المطلب حتى أتوا المسجد ، وهم خائفون ، لقريش . فلما رأَتهم قريش فى جماعة أَنكروا ذلك ، وظنوا أَنهم خرجوا من شدة البلاءِ لِيُسْلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بِرُمَّته[2] إلى قريش . فتكلم أَبو طالب ، فقال : قد جرت أُمور بيننا وبينكم لم[3] نذكرها لكم ، فَائْتوا بصحيفتكم التى فيها مواثيقكم ، فلعله أَن يكون بيننا وبينكم صُلْح . وإنما قال ذلك أَبو طالب خشية أَن ينظروا فى الصحيفة قبل أَن يأتوا بها . فأَتوا بصحيفتهم متعجبين لا يشكّون أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدْفَعُ إليهم . فوضعوها[4] بينهم ، وقالوا لأَبى طالب : قد آن لكم أَن ترجعوا عما أَخذتم[5] علينا وعلى أَنفسكم / . فقال أَبو طالب : إنما أَتيتكم فى أَمر هو نَصَفٌ بيننا وبينكم ، إن ابن أَخى أَخبرنى ، ولم يكذبنى ، أَن هذه الصحيفة التى بين[6] أَيديكم قد بعث الله عليها دابة ، فلم تترك فيها اسما له إلا لحسته ، وتركتْ فيها غَدْركم وتظاهركم علينا بالظلم ، فإن كان الحديث كما يقول فأَفيقوا ، فلا والله لا نُسْلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذى يقول باطلا دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أَو اسْتَحْيَيْتُمْ . فقالوا قد رضينا بالذى تقول . ففتحوا الصحيفة ، فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قد أَخبر بخبرها قبل أَن تُفْتَحَ . فلما رأَت قريش صِدْقَ ما جاءَ به أَبو طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : هذا سحر ابن أَخيك . وزادهم ذلك بَغْيًا وعدوانًا .

١٧ و

---

(١) الثواقب : النجوم . وفى القرآن الكريم (والنجم الثاقب)

(٢) هكذا فى الاصل وابن سيد الناس ، والرمة : قطعة الحبل ويراد بها هنا العهد . وربما كانت محرفة عن : ذمته اى عهده

(٣) لم تأت « لم » عند ابن سيد الناس

(٤) هكذا فى ابن سيد الناس . وفى الاصل : فوضعوها اليهم بينهم .

(٥) هكذا فى هامش الاصل : أخذتم تصحيحا للكلمة : احدثتم التى جاءت فى الأصل . وفى ابن سيد الناس آيضا : احدثتم

(٦) فى ابن سيد الناس : فى أيديكم

وأما ابن هشام فقال[1] : قد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب : يا عَمّ إن ربي قد سلَّط الأَرضة على صحيفة قريش ، فلم تَدعْ فيها اسما لله إلا أثبتته ، ونفت منها القطيعة والظلم والبهتان . قال : أربُّك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحد . ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش إن ابن أخي أخبرني . وساق الخبر بمعنى ما ذكرنا (*) .

وقال ابن إسحق وموسى [بن عقبة] [2] وغيرهما في تمام ذلك الخبر[3] :

وندم منهم قوم ، فقالوا : هذا بَغْيٌ منا على إخواننا وظلم لهم . فكان أول من مَشَى في نَقْض الصحيفة هشام بن عمرو بن الحارث[4] من بني عامر بن لُؤيّ ، وهو كان كاتب[5] الصحيفة ، وأبو البَخْتَرِيّ العاص بن هشام[6] بن الحارث بن أسد بن عبد العُزَّى ، والمطعم بن عدي .

إلى ههنا تمّ[7] خبر ابن لهيعة عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن المعروف بيتيم[8] عروة ، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب . وهو معنى ما ذكر ابن إسحق ، إلا أن ابن إسحق قال[9] :

---

(١) ابن هشام ١/٣٧٥

* قلت : اتفق الطريقان على ان الله عز وجل غار لأسمائه الحسنى ، فلم يجمع بينها وبين القطيعة والظلم في الصحيفة اما بأن محا أسماءه وترك ظلمهم ، واما بأن محا ظلمهم وترك أسماءه . وهو من جنس قوله عليه السلام : فوالله لاتجتمع ابنة عدو الله وابنة رسول الله في بيت رجل واحد ابدا . وفيه ما يدل على أن الكتب المحرفة كالتوراة والانجيل اللذين بأيدي أهل الكتاب لايجوز امتهانها وان اشتملت على الكفر لاشتمالها أيضا على أسماء الله ، واذا أردنا محوها غسلناها أو حرقناها

(٢) زيادة من ابن سيد الناس

(٣) يريد هذا الخبر الطويل الذي ساقه بأسانيده في صدر هذا الباب

(٤) في ابن هشام ٢/١٤ : ابن ربيعة بن الحارث

(٥) اختلف أهل السير في كاتب الصحيفة، فقيل منصور بن عكرمة ، وقيل طلحة بن أبي طلحة، وقيل منصور بن عبد شرحبيل ، وقيل بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ، واختاره ابن سعد، وقيل هشام بن عمرو بن الحارث واختاره ابن عبد البر

(٦) في المحبر ص ١٦٢ : هاشم

(٧) هكذا صححت الكلمة في هامش الاصل، وكانت فيه ــ كما في ابن سيد الناس ــ انتهى

(٨) هكذا صححت الكلمة في الهامش وكانت في الأصل : ابن بنت عروة ، وفي ابن سيد الناس : عن أبي الأسود يتيم عروة

(٩) انظر ابن هشام ٢/١٤

الذين مشوا فى نَقْض الصحيفة هشام[1] بن عمرو بن الحارث بن حُبَيِّب بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر ابن لُؤَىّ لقى زهير بن أَبى أُمية بن المغيرة المخزومى فعيَّره بإسلامه أَخواله . وكانت أُم زهير عاتكة بنت عبد المطلب عمَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأَجابه زهير إلى نقض الصحيفة . ثم مضى هشام إلى المطعم بن عدىّ بن نوفل فذكَّره أَرحام بنى هاشم وبنى المطلب / بن عبد مناف ، فأَجابه المطعم إلى نَقْضها . ثم مضى إلى أَبى البَخْتَرِىّ بن هشام بن الحارث بن أَسد ، فذكَّره أَيضا بذلك ، فأَجابه . ثم مضى إلى زَمَعة بن الأَسود بن المطلب بن أَسد ، فذكَّره ذلك ، فأَجابه . فقام هؤلاء فى نَقْض الصحيفة .

١٨ و

أَخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا محمد بن وضاح ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن دُحيْم ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا الأَوزاعى ، قال : حدثنى الزُّهْرِىّ : أَن أَبا سلمة بن عبد الرحمن حدَّثه عن أَبى هريرة ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بِمنًى : نحن نازلون عند خَيْف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر . يعنى بذلك المحصَّب . قال : وذلك أَن قريشا وكنانة تحالفتْ على بنى هاشم وبنى المطلب أَن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ، حتى يُسْلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : أَبو عمر :

وأَراد أَبو بكر الصديق أَن يهاجر إلى أَرض الحبشة ، فلقيه ابن الدُّغُنَّة ، فردَّه[2] .

---

(١) واضح من سياق هذا النص ان هشاما هذا كان له بلاء حسن فى نقض الصحيفة ، وكان ابن اخى نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه ، وكان ذا شرف فى قريش . ويقال انه كان أوصلهم لبنى هاشم حين حصروا فى الشعب ، اذ كان يأتى بالبعير ليلا وقد اوقره طعاما الى فم الشعب المحاصرين فيه ، فيخلع من رأسه خطامه ويضربه على جنبه ، فيدخل الشعب عليهم ، وعبثا حاولت قريش أن ترده عن صنيعه .

(٢) انظر فى ذلك صحيح البخارى ٥٨/٥

ذكر من انصرف[1] من أرض الحبشة إلى مكة

ثم اتصل بمن كان فى أرض الحبشة من المهاجرين أن قريشا قد أسلمت ودخل أكثرها فى الإسلام / خبرا كاذبا (*) . فانصرف منهم قوم من أرض الحبشة إلى مكة ، منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حُذَيْفَةَ بن عُتْبة بن ربيعة ، وامرأته سهلة بنت سُهَيل ، وعبد الله بن جحش ، وعُتْبة بن غَزْوَان ، والزُّبيْر بن العَوَّام ، ومصعب بن عُمَيْر ، وسُويْبِط بن سعد بن حَرْمَلَة ، وطُلَيْب بن عُمَير ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمقداد ابن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية ، وشَمَّاس بن عثمان وهو عثمان بن عثمان وشماس لقبه ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وعَمَّار[2] ابن ياسر ، وعثمان وقدامة وعبد الله بنو مَظْعُون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وخُنَيْس بن حذافة ، وهشام بن العاص بن وائل ، وعامر بن ربيعة ، وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة ، وعبد الله ابن مخرمة بن عبد العُزَّى من بنى عامر بن لُؤَيّ ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم ، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ، والسكران بن عمرو أخو سُهَيل بن عمرو رجع من أرض / الحبشة إلى مكة ومات بها قبل الهجرة فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجه سودة بنت زَمَعة ، وسعد بن خَوْلة ، وأبو عبيدة بن الجَرَّاح ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن شداد[3] ، وسُهَيْل ابن وَهْب الفِهْرِيّ وهو سهيل بن بيضاء ، وعمرو بن أبي سَرْح .

١٨ ظ.

١٩ و

---

(١) انظر فى هؤلاء العائدين من الحبشة الى مكة ابن هشام ٣/٢ وابن سعد ج ١ق١ ص١٣٧ وجوامع السيرة ص٦٥ وابن سيد الناس ١١٩/١ والنويرى ٢٦٢/١٦ . وقد ظل من تركوهم فى الحبشة بها حتى سنة سبع للهجرة ، فقدموا على الرسول فى فتح خيبر

* يريد لما نزل قوله تعالى : (والنجم اذا هوى) وقرأها الرسول عليه السلام وألقى الشيطان فى أسماع المشركين ما ألقى من الثناء على آلهتهم ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد المسلمون والمشركون بسجوده الى ان أحق الله الحق وابطل الباطل . فبتلك النادرة شاع الخبر باسلام قريش قبل وقته .

(٢) لم يذكره ابن عبد البر فيمن هاجر الى الحبشة ، وفى هجرته اليها خلاف ، وقد شك فيه ابن هشام ٦/٢

(٣) فى ابن هشام : أبى شداد

فوجدوا البلاء والأذى على المسلمين كالذى كان وأشد ، فبقوا صابرين على الظلم والأذى ، حتى أذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة ، فهاجروا إليها [١] ، حاشا سلمة بن هشام ، وعياش [٢] ابن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد [بن [٣] المغيرة] وعبد الله بن مخرمة ، فإنهم حُبِسوا بمكة ، ثم هاجروا بعد بَدْر وأُحد والخندق إلا عبد الله بن مَخْرمة فإنه هرب من الكفار يوم بدر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد نَقْض الصحيفة ما تت خديجة [٤] رضى الله عنها ومات أبو طالب ، فأقدم سفهاءُ قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأذى ، فخرج إلى الطائف يدعو إلى الإسلام ، فلم يجيبوه ، فانصرف إلى مكة فى جوار المُطْعِم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف .

قال ابن شهاب بالإسناد المتقدم ، عن موسى بن عقبة :

فلما أفسد الله صحيفة مكرهم خرج النبى صلى الله عليه وسلم ورهطه ، فعاشروا [٥] وخالطوا الناس .

ذكر إسلام [٦] الجِنّ

/ وأقبل وفد الجن يستمعون القرآن ثم ولَّوا إلى قومهم منذرين . ثم أتته الجماعة منهم فآمنوا به وصدَّقوه .

١٩ ظ.

قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن بكر ، قال :

---

(١) فى ابن سيد الناس ١/١١٩ أنه توفى من هؤلاء العائدين ــ وكانوا ثلاثة وثلاثين ــ بمكة قبل الهجرة رجلان ، وحبس سبعة نفــر ، أما الباقون وهم أربعة وعشرون فقد شهدوا بدرا .

(٢) سها ابن عبد البر عن ذكره وذكر تاليه فيمن سماهم آنفا من العائدين

(٣) زيادة من جوامع السيرة

(٤) راجع فى خبر موت خديجة وأبى طالب ابن هشام ٢/٥٧ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٤١ والروض الانف ١/٢٥٨ وابن كثــير ٣/١٢٢ والنويرى ١٦/٢٧٧ وابن سيد الناس ١/١٢٩ والسيرة الحلبية ١/٤٦١ . وقد توفيت السيدة خديجه قبل الهجرة بثــلاث سنوات وتوفى أبو طالب بعدها بخمس وثلاثين ليلة . وقيل بل توفيت بعده بثلاثة أيام وان وفاته كانت بعــد نقض الصحيفة بثمانية أشهر وواحد وعشرين يوما

(٥) فى الأصل فعاشوا

(٦) انظر فى اسلام الجن ابن هشام ٢/٦٣ وصحيح البخارى ٥/٤٦ وابن سيد الناس ١/١٣٦

حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا أحمد بن صالح ، قال : حدثنا عنبسة ، قال : حدثنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى أبو عثمان بن سنة الخزاعى ، وكان من أهل الشام أن ابن مسعود قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وهو بمكة : مَنْ أحبَّ منكم أن يحضر الليلةَ أمرَ الجِن فليفعلْ ، فلم يحضر ، أحد غيرى . فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خَطَّ لى برجله خَطًّا ، ثم أمرنى أن أجلس فيه ، ثم انطلق حتى قام ، فافتتح القرآن ، فغشيته أسْوِدَةٌ [1] كثيرة حالت بينى وبينه ، حتى ما أسمع صوته . ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقى منهم رهط . وفرغ النبى صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر . فانطلق ، فتبرَّز ثم أتانى ، فقال : ما فعل الرَّهْطُ ؟ قلت : هم أولئك يا رسول الله . فأخذ عظْمًا ورَوْثًا فأعطاهم إياه . ثم نَهَى أن يستطيب أحد بعظم أَوْ رَوْثٍ .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن عبد الملك ، قال : حدثنا يزيد ، قال : أخبرنا شريك ، عن أبى قرادة ، عن أبى زيد ، قال : أنبأنا عبد الله بن مسعود ، قال [2] :

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنى أُمِرْتُ أن أقرأ على إخوانكم من الجن ، فليقم معى رجل ليس فى قلبه مثقال حبَّة خَرْدَلٍ من غِشّ ، قال : فقمت ومعى إداوة ، وفيها / نبيذ قال : فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضيت ، حتى انتهينا إلى حيث أمره الله ، فخطَّ علىَّ خطَّة ، ثم قال : إن خرجت منها لم ترنى ولم أرك . قال : ومضى حتى توارى عنى . فلما طلع الفجر جاء فوجدنى قائما ، فقال : ما شأنك قائما ؟ قلت : خشيت أن لا ترانى ولا أراك أبدا . قال : ما ضَرَّك لو قعدت . وقال : ما هذا معك ؟ قلت : نبيذ . قال : هات ، ثمرة طيبة وماء طهور . فتوضأ ثم قام يصلِّى ، وقمت معه وخلفه رجلان من الجِنّ . فلما قضى الصلاة أقبلا عليه يسألانه . فقال : ما شأنكما ؟ ألم أقض لكما ولقومكما بحكم ؟ قالا : يا رسول الله أردنا أن يشهد معك الصلاة بعضنا ، فقال : فمن أنتما ؟ قالا : من أهل نَصيبين ، قال : أفلح

٢٠ و

(١) اسودة : شخوص غير واضحة ، جمع سواد

(٢) روى ابن سيد الناس هذا الحديث بلفظ مقارب . انظر ١/١٣٧ وراجع فيه سنن أبى داود (طبعة لكهنو سنة ١٣٠٥) ١/١٢

هذان وأفلح قومهما . ثم سألا المباح ، فقال : العَظْم مباحٌ لكم ، والرَّوْثُ علفٌ لدوابِّكم . قال عبد الله بن مسعود : وإنهما ليجدانهما أعظم ما كان وأطراه .

قال أبو عمر رضى الله عنه :

هذا الخبر عن ابن مسعود متواتر من طرق شتّى حسان كلها إلا حديث أبي زيد عن ابن مسعود الذى فيه ذكر الوضوء بالنبيذ ، فإن أبا زيد مجهول لا يُعْرفُ فى أصحاب ابن مسعود [1] ويكفِى من ذكر الجنِّ ما فى سورة الرحمن وسورة (قل أُوحى إلىّ أنه استمع نَفَرٌ من الجن) وما جاءَ فى الأَحقاف : قوله (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ـ الآيات) . وفى خبر علقمة عن ابن مسعود أنه قال : وددت أن أكون معه / ليلة الجنِّ [2] . و[فى] قول علقمة : وددت أن صاحبنا معه ليلتئذ ما يدفع الأخبار الواردة بذلك ، لأن المعنى أنه لم يكن معه ، ولا زال عن الخَطِّ الذى خطَّ له .

٢٠ ظ.

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا محمد ، قال : أخبرنا سليمان ، قال : أخبرنا محمد ، قال : أخبرنا محمد بن المثنى ، قال : أنبأنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، قال [3] :

---

(١) روى الزمخشرى الحديث الأول عن ابن مسعود وذكر عن سعيد بن جبير انه قال : ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولارآهم، وانما كان يتلو فى صلاته ، فمروا به ، فوقفوا مستمعين وهو لايشعر ، فأنبأه الله باستماعهم • انظر تفسير الزمخشرى فى سورة الأحقاف (طبعة المطبعة الكبرى الاميرية سنة ١٣١٩ هـ) ٣/١٠٢ ويؤيده ـ كما لاحظ ابن عبد البر ـ ظاهر آية (قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن) وآيات الاحقاف ، أما ما يشير اليه من سورة الرحمن فهو ما جاء فيها مما يدل على أن الجن مكلفون وانهم يثابون على اعمالهم ، وسيعرض لذلك المعلق على الكتاب عما قليل

(٢) نص هذا الحديث فى صحيح مسلم : عن علقمه عن عبد الله بن مسعود قال : لم أكن ليلة الجن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووددت انى كنت معه . وقبله حديث أكثر طولا وفيه قال علقمة : أنا سألت ابن مسعود فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول اللهصلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال : لا. وعلق النووى على ذلك بقوله: هذا صريح فى ابطال الحديث المروى فى سنن أبى داود وغيره المذكور فيه الوضوء بالنبيذ وحضور ابن مسعود معه صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فان هذا الحديث صحيح وحديث النبيذ ضعيف باتفاق المحدثين ، ومداره على ابى زيد مولى عمرو ابن حريث وهو مجهول . انظر النووى على صحيح مسلم ٤/٦٦٨

(٣) انظر فى هذا الحديث وتاليه ابن سيد الناس ١/١٣٧

لما كانت ليلة الجن أتت النبي صلى الله عليه وسلم سَمُرة [1] ، فآذنته بهم ، فخرج إليهم

حدثنا عبد الله ، قال : أنبأنا محمد ، قال : أنبأنا أبو داود ، قال : حدثنا هرون بن معروف ، قال : أنبأنا سفيان ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة أن مسروقا قال له : أبوك أخبرنا : أن شجرة أنذرت النبي عليه السلام بالجن .

قال أبو داود : وحدثنا حجاج بن أبي يعقوب ، قال : أنبأنا أبو أسامة ، قال : أنبأنا مسعر ، عن معْن ، قال : سمعت أبي قال : سألت مسروقا من آذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ قال : حدثني أبوك يعني عبد الله بن مسعود . أنه آذنته بهم سمُرة (*) .

[ذكر خروج [2] الرسول إلى الطائف وعوده إلى مكة]

قال الفقيه أبو عمر رضي الله عنه ، قال ابن إسحق :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في تلك السنين على القبائل ليمنعوه ، حتى يبلِّغ رسالات ربه ، ولم يقبله أحد منهم ، وكلهم كان يقول له : قومه أعلم به ، وكيف يصلحنا من أفسد قومه ؟ . وكان ذلك مما ذخره الله عَزَّ وجلَّ للأنصار وأكرمهم به . فلما مات أبو طالب اشتد البلاءُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعَمد لثقيف رجاءَ أن يُؤْووه ، فوجد

---

(1) السمرة : شجرة الطلح .

(*) قلت : لاخلاف فى أن الله كلف الجن على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم تكاليف وشرع لهم شرائع . وانما اختلف العلماء فى ثوابهم الموعود على طاعة المعبود ، فقيل ثوابهم السلامة ، وقيل : والكرامة بالجنة . وينقل الأول عن مالك رحمه الله تعالى ، واستشهد عليه بقوله تعالى [على لسانهم] : (يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) . فلم يتعلق أملهم الا بالسلامة خاصة . واستشهد صاحب المذهب الآخر بقوله تعالى : (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) فهذا يدل على أن الجن يتوقع لهم الفوز بالحور كما يتوقع للانس . والمذهب الاول اظهر ، وذلك أن الجان مخلوق من نار ، ولا مدخل للنار فى الجنة والله أعلم

(2) انظر فى خروج الرسول الى الطائف ابن هشام ٢/٦٠ وابن سعد ج١ق١ص ١٤٢ والطبرى ٢/٣٤٤ وابن كثير ٣/١٣٥ والنويرى ١٦/٢٧٩ وابن حزم ص ٦٧ وابن سيد الناس ١/١٣٤ والسيرة الحلبية ١/٤٧١ . وكان هذا الخروج فى ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة .

ثلاثة نَفَرٍ ، هم سادة ثقيف ، وهم إخوة : عبد يالِيل بن عمرو ، وحبيب بن عمرو ، ومسعود ابن عمرو[١] . فعرض عليهم نفسه ، وأعلمهم بما لقى من قومه ، فقال أحدهم : أنا أسرق[٢] ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط . وقال الآخر : أَعَجَزَ الله أن يرسل غيرك ؟ وقال الثالث : لا أكلمك بعد مجلسك هذا ، لئن كنت رسول الله لأَنت أعظم حقا من أن أُكلمك ، ولئن كنت تكذب على الله لأَنت شر من أن أُكلمك / وهَزِئوا به . وأَفْشوا فى قومهم ما راجعوه به ، وأقعدوا له صفَّين[٣] ، فلما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم[٤] جعلوا لا يرفع رِجْلا ولا يضع رجلا إلا رضخوها[٥] بحجارة ، قد كانوا أعدُّوها ، حتى أَدْمَوْا رجليه صلى الله عليه وسلم . فخلص منهم وعمد إلى حائط[٦] من حوائطهم ، فاستظل فى ظل نخلة[٧] منه ، وهو مكروب تسيل قدماه بالدماء ، وإذا فى الحائط عتبة[٨] بن ربيعة وشيبة بن ربيعة . فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله . فلما رأياه أرسلا إليه غلاما لهما يقال له عَدَّاس ، وهو نَصْرَانى من أهل نينوى ، معه عِنَب . فلما أتاه عداس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أىِّ أَرضٍ أنت يا عَدَّاس ؟ قال : من أهل نِينوى[٩] . فقال النبى عليه السلام : مدينة الرجل الصالح يونس بن متى . فقال له عدَّاس : ما يُدْرِيك مَنْ يونس بن متَّى . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَحْقِر أحدا أن يبلغه رسالة ربه . فقال : أنا رسول الله . فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس خَرَّ عداس ساجدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) هو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف . وكانت عند أحد هؤلاء الاخوة امرأة من قريش من بنى جمح . ولعله لذلك اختار الرسول صلى الله عليه وسلم لقاءهم والحديث اليهم ودعوتهم الى الاسلام

(٢) عبارة ابن هشام نقلا عن ابن اسحق : هو يمرط ثياب الكعبة أى ينزعها ويرمى بها .

(٣) عبارة ابن سيد الناس نقلا عن موسى بن عقبة : واقعدوا له صفين فى طريقه .

(٤) فى ابن سيد الناس : بين صفيهم

(٥) رضخوها : دقوها ورموها

(٦) الحائط : البستان عليه جدار

(٧) فى ابن هشام وابن سيد الناس : حبلة بفتح الباء ، وهى شجرة العنب .

(٨) مر بنا انهما كانا من أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة .

(٩) نينوى : من مدن الموصل

وجعل يقبِّل قدميه ، وهما يسيلان دما . فلما أبصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا ، فلما أتاهما قالا : ما شأنك ؟ ! سجدتَ لمحمد وقبَّلت قدميه ! قال : هذا رجل صالح ، أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله عَزَّ وَجَلَّ يُدْعَى يونس بن متى . فضحكا به ، وقالا له : إياك أن يفتنك / عن نَصْرانيتك فإنه رجل خَدَّاع . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة . ٢٢ و

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال : أنبأنا محمد بن بكر ، قال : أنبأنا أبو داود ، قال : أنبأنا أحمد بن صالح وابن السَّرْح ، قالا : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : حدثني عروة أن عائشة حدثته[١] :

أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم أشد من يوم أُحد ؟ قال : لقيت من قومي[٢] ما كان أشد . قال : وكان أشد ما لقيت منهم يوم ثقيف[٣] ، إذ عرضت [نفسي][٤] على [ابن][٥] عبد ياليلَ بن عبد كُلال ، فلم يجبني إلى ما أردت . فانطلقت [على وجهي][٦] وأنا مغموم[٧] ، فلم أستفق إلا وأنا بِقَرْن[٨] الثعالب . فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتْني ، فنظرت ، فإذا فيها جبريل فناداني ، فقال : إن الله قد سمع قول قومك [لك[٩] وما رَدُّوا عليك] وقد بعث إليك ملك الجبال [لتأمره[١٠]] بما شئت فيهم ،

(١) انظر الحديث فى صحيح مسلم بشرح النووى فى ١٢/١٥٤ وفى ابن سيد الناس ١/١٣٥
(٢) فى مسلم وابن سيد الناس : من قومك
(٣) فى مسلم وابن سيد الناس : يوم العقبة
(٤) زيادة من مسلم وابن سيد الناس
(٥) زيادة من مسلم وابن سيد الناس
(٦) زيادة من مسلم وابن سيد الناس
(٧) فى مسلم وابن سيد الناس : مهموم
(٨) قرن الثعالب : موضع تلقاء مكة ، على مرحلتين منها
(٩) زيادة من مسلم وابن سيد الناس
(١٠) زيادة من مسلم وابن سيد الناس

فناداني ملك الجبال] فسلَّم عليّ وقال : يا محمد[1] : أنا ملك الجبال وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بما شئت ، فإن شئت أن أطبق عليهم الأَخْشبين . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله [وحده] [2] ولا يشرك به شيئا (*)

[إسلام الطُّفَيْل[3] بن عمرو الدَّوْسِيّ]

قال الفقيه الحافظ. أبو عمر رضى الله عنه :

وبعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعاء ثقيف قدم عليه الطفيل بن عمرو الدَّوْسى ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، وأمره بدعاءِ قومه . فقال : يا رسول الله : اجْعَلْ لى آية تكون لى عَوْنًا . فدَعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل الله فى وجهه نورا ، فقال : يا رسول الله إنى أخاف أن يجعلوها مُثْلَة ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصار النور فى سَوْطه ، فهو معروف بذى النور (*) .

(١) فى مسلم : وقال يامحمد ان الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال .

(٢) زيادة من مسلم .

* قلت الاخشبان ههنا جبلا مكة ، والعرب تسمى الجبل المتوعر باسم أخشب . وبهذا الصبر على الأذى والكف عن الدعاء فضل محمد صلى الله عليه وسلم على نوح [صلى الله] عليه وسلم فانه دعا على قومه ومحمد دعا لقومه فناسب اشفاقه عليهم فى الدنيا أن يشفع لهم فى الآخرة ويقول نوح يومئذ : نفسى نفسى ، انى دعوت دعوة على قومى .

(٣) انظر اسلام الطفيل وآيته فى ابن هشام ٢١/٢ وابن سعد ج ٤ ق١ص١٧٥ وصحيح البخارى ١٧٤/٥ وابن حزم ص ٦٧ وابن كثير ١٣٥/٣ وابن سيد الناس ١٣٩/١ وقد لخص كلام ابن سعد. وكان الطفيل شريفا فى قومه شاعرا نبيلا كثير الضيافة، فقدم مكة، فحاولت قريش منعه من لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لم يستمع اليها ، ولقى الرسول فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن ، فقال : لا والله ما سمعت قولا قط أحسن من هذا ولا أمرا أعدل منه ، وأسلم ودخل فى دين الله . وعاد الى قومه ومعه الآية التى صورها ابن عبد البر ، فدعاهم الى الاسلام، فتبعه بعضهم . ومازال بينهم حتى هاجر بعد غزوة الخندق فى اثناء فتح الرسول صلى الله عليه وسلم لخيبر ، فقدم عليه بها فيما بين السبعين والثمانين بيتا من قومه . وقد أبلى فى حروب الردة بلاء حسنا ، وقتل باليمامة شهيدا .

* قلت : هذا مما زاد النبى صلى الله عليه وسلم من الفضائل على موسى ، لأن احدى آيات موسى اليد البيضاء ، وكان نورها يغشى البصر ، وقد أكرم الله نبيه بأن جعل مثل ذلك لرجل من أمته . وانما سأل الطفيل أن ينقل ذلك النور الى سوطه ، لأن العرب كانوا جدلين خصمين ، لهم من البيان والصنعة فى التخييل ما يقتضى ان يقلبوا الحق باطلا والحسن قبيحا ما وجدوا الى ذلك سبيلا . ولهذا قال : انى اخاف ان يجعلوها مثلة ، فكان النور الى سوطه آية أخرى ، والله الموفق . ووصل الى قومه بتلك الآية ، فأسلم أكثرهم . وأقام الطفيل فى بلاده الى عام الخندق ثم قدم فى سبعين أو ثمانين رجلا من قومه مسلمين . وقد ذكر ابن عبد البر خبره بتمامه فى بابه من كتاب الصحابة .

حديث الإسراء[1] مختصرا

[والمعراج]

ثم أُسْرِى[2] برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . ثم منه إلى السماء ، فرأى الأنبياء فى السموات على ما فى الحديث بذلك . وفرض الله تعالى عليه الصلوات[3] الخمس .

ثم انصرف فى ليلته تلك إلى مكة ، فأخبر بذلك ، فصدَّقه أبو بكر وكل من آمن به ، وكذَّبه الكفار . واستوصفوه مسجد بيت المقدس ، فمثَّله الله له ، فجعل ينظر إليه ويصفه .

[عَرْض[4] الرسول الإسلام على قبائل العرب]

وفى ذلك[5] كله رسول الله لا يزال يدعو إلى دين الله ، ويأمر به كل من لقيه ورآه من

---

(١) انظر فى الاسراء والمعراج ابن هشام ٣٦/٢ وابن سعد ج ١ق١ص ١٤٢ وما بعدها وصحيح البخارى ٥٢/٥ انظر ٧٤/١ وابن كثير ١٠٨/٣ وأنساب الأشراف ١١٩/١ وصحيح البخارى ٥٢/٥ والنويرى ٢٨٣/١٦ وابن حزم ص ٦٨ وابن سيد الناس ١٤٠/١ وما بعدها وصحيح مسلم (طبعة الحلبى) ١٤٥/١ والسيرة الحلبية ٤٧٨/١ .

(٢) اختلف العلماء فى الاسراء والمعراج هل كانا فى اليقظة أو فى المنام ، فذهب فريق الى انهما كانا بالروح ورؤيا منام ، وذهب فريق الى انهما كانا بالجسد وفى اليقظة انظر فى ذلك السهيلى ٢٤٣/١ . واختلفوا أيضا هل كان الاسراء والمعراج معا فى ليلة واحدة أو لا ؟ وواضح أن ابن عبد البر يأخذ بالرأى القائل أنهما كانا فى ليلة واحدة . والمشهور أن الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ، وقد أتت عليه احدى وخمسون سنة . وقيل كان ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بنحو سنة . وقيل : بل كان بعد المبعث بخمس سنين .

(٣) مر بنا أن الصلاة فرضت فى أول البعثة المحمدية وأنها كانت ركعتين ركعتين كل صلاة ، وقيل أنها كانت ركعتين فى الغداة وركعتين فى العشى . والاتفاق على أن فرض الصلوات الخمس بصورتها المعروفة انما كان فى ليلة الاسراء . انظر ابن هشام ٢٦٠/١ وصحيح البخارى ٧٤/١ والسهيلى ١٦٢/١ وابن سيد الناس ٩٠/١ ، ١٤٨ والنويرى ١٧٨/١ .

(٤) انظر فى ذلك ابن هشام ٦٣/٢ وابن سعد ج١ق١ص ١٤٥ والطبرى ٣٤٨/٢ ومابعدها وابن كثير ١٣٨/٣ وابن سيد الناس ١٥٢/١ والسيرة الحلبية ٢/٢ .

(٥) نقل ابن سيد الناس فى ١٥٥/١ الفقرة التالية عن ابن عبد البر .

العرب (١) إلى أن قدم سُوَيْد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف من الأَوس ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فلم يبعد ولم يجب ، ثم انصرف إلى يثرب ، فقُتل فى بعض حروبهم(٢) . وقدم مكة أَبو الحيسر أَنس بن رافع فى فتية من قومه من بني عبد الأَشهل يطلبون الحلف(٣) ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فقال رجل منهم اسمه(٤) إياس ابن معاذ ، وكان شابًّا : يا قوم هذا والله خير مما قدمنا له . فضربه أَبو الحيسر ، وانتهره ، فسكت . ثم لم يتم لهم الحلف ، فانصرفوا إلى بلادهم . / ومات إياس بن معاذ ، فقيل إنه مات مسلما .

٢ ظ

العقبة(٥) الأُولى

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقِى عند العقبة فى الموسم(٦) ستة نفر من الأَنصار ، كلهم من الخزرج ، وهم أَبو أُمامة أَسعد(٧) بن زُرارة ، وعوف(٨) بن الحارث بن رفاعة وهو

---

(١) فصل ابن هشام نقلا عن ابن اسحق عرض الرسول الاسلام على العرب وقبائلهم ، ذاكرا منهم كندة وكلبا وبنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة ، وذكر الواقدى دعاءه بنى عبس . وكان هذا الدعاء والعرض فى أثناء حجهم ونزولهم بسوق عكاظ وغيره .

(٢) فى ابن هشام نقلا عن ابن سحق ٢/٦٩ ان رجالا من قومه كانوا يقولون : انا لنراه قد قتل وهو مسلم ، وكان قتله قبل يوم بعاث .

(٣) يطلبون الحلف : أى حلف قريش على بنى الخزرج خصوم الأوس قبيلتهم ، وكانت الحرب والمعارك قد اضطرمت بين القبيلتين .

(٤) هكذا فى الأصل وابن سيد الناس ووضع أمام الكلمة فى الهامش : يقال له .

(٥) انظر فى بيعة تلك العقبة ابن هشام ٢/٦٩ وابن سعد ج١ق١ص ١٤٥ وما بعدها والطبرى ٢/٣٥٣ وابن سيد الناس ١/١٥٥ وابن كثير ٣/١٤٥ والنويرى ١٦/٣١٠ . والعقبة : موضع على يسار الطريق القاصد منى من مكة .

(٦) فى الموسم : أى موسم الحج ، وفيه كانت تقام الاسواق المشهورة مثل سوق عكاظ، وكان العرب يفدون على مكة من جميع انحاء الجزيرة ، وتنزل كل قبيلة فى منزل بها خاص .

(٧) فى بعض الروايات أنه أول من بايع الرسول حينئذ ، وانه اول من صلى بالناس الجمعة فى المدينة قبل أن تصبح فريضة . وقد لبى نداء ربه فى السنة الأولى للهجرة . انظر الاستيعاب ص ٣٩ .

(٨) فى الاستيعاب ص ٥١٢ انه استشهد فى غزوة بدر .

ابن عفراء[١] ، ورافع[٢] بن مالك بن العجلان ، وقطبة[٣] بن عامر بن حَديدة ، وعقبة[٤] ابن عامر بن نابي ، وجابر[٥] بن عبد الله بن رئاب . ومن أهل العلم بالسير من يجعل فيهم عبادة[٦] بن الصامت ويسقط جابر بن عبد الله بن رئاب .

فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فكان من صُنْع الله لهم أنهم كانوا من جيران اليهود ، فكانوا يسمعونهم يذكرون أن الله تعالى يبعث نبيا قد أظلَّ زمانه[٧] . فقال بعضهم لبعض : هذا والله الذى تهدّدكم به يهود ، فلا يسبقونا إليه . فأسلموا به وبايعوا (*) . وقالوا : إنا قد تركنا[٨] قومنا ، بيننا وبينهم حروب ، فننصرف وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه ، فعسى الله أن يجمعهم بك . فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك ، فلا أحد أعزّ منك . وانصرفوا إلى المدينة ، فدعوا إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم ، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) عفراء : هى بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار .

(٢) شهد العقبتين الأولى والثانية ، واستشهد فى غزوة احد ، ولم يذكره ابن اسحق فى البدريين وذكره فيهم موسى بن عقبة . انظر الاستيعاب ص ١٧٩ .

(٣) شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، وقتل فى معركة صفين ، وقيل : بل توفى فى خلافة عثمان .

(٤) شهد بدرا واحدا والخندق وسائر المشاهد ، واستشهد فى حروب الردة لعهد الصديق .

(٥) شهد مع الرسول جميع المشاهد ، وقد روى المحدثون عنه أحاديث كثيرة .

(٦) شهد مع الرسول المشاهد كلها ، ووجهه عمر الى الشام قاضيا ومعلما فأقام بحمص ، ثم انتقل الى فلسطين ومات بها سنة أربع وثلاثين .

(٧) فى ابن هشام أنهم كانوا يقولون لهم : ان نبيا مبعوث الآن فقد أظل زمانه نتبعه ، فنقتلكم معه قتل عاد وارم .

* وكانت الحكمة الالهية فى نقل اليهود من كنعان والشام الى الحجاز ، هذا فى الزمان الاول ، هو أنهم فروا مع العرب ورسخوا فى أذهانهم الوعد برسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) وذلك من جنس أن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر . ونقل فى سبب انتقالهم ان بختنصر لما اجتاحهم وشتتهم فى البلاد هربت طائفة الى الحجاز ، فهم هؤلاء . وقيل : انما استقروا بالحجاز فى زمن موسى عليه السلام ، فانه أمرهم بقتال العماليق وأن لايبقوا منهم أحدا ، فأبقوا ابن الملك حنوا عليه ، فطردهم موسى من الشام ، فعادوا الى بلاد العماليق ، وكانت العماليق حينئذ بالحجاز ، فسكنوه حينئذ ، والله اعلم . عاد الكلام الى اهل العقبة .

(٨) عبارة ابن هشام نقلا عن ابن اسحق : وقالوا انا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ، فندعوهم الى أمرك ، وتعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك .

العقبة[1] الثانية

حتى إذا كان العام المقبل قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلا ، منهم خمسة من الستة الذين ذكرنا وهم أبو أمامة ، وعوف بن عفراء ، ورافع بن مالك ، وقطبة بن عامر بن حديدة / وعقبة ابن عامر بن نابي . ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن رئاب ، ولم يحضرها[2] .

ظ.

والسبعة الذين هم تتمة الاثنى عشر هم : معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور ، وذَكْوان بن عبد قيس الزُّرَقى وذكروا أنه رحل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فسكنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مهاجرى أنصارى قُتِل يوم أُحد ، وعُبادة ابن الصامت بن قيس بن أَصْرم ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البَلَوِىّ حليف بنى غُصَيْنة من بَلِىّ ، والعباس بن عُبادة بن نَضْلة . فهؤلاء من الخزرج ، ومن الأَوس رجلان : أَبو الهَيْثَم ابن التَّيْهان[3] من بنى عبد الأَشهل ، وعُوَيْم بن ساعدة من بنى عمرو بن عوف حليف[4] لهم من بَلِىّ .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم هولاء عند العقبة على بيعة النساء[5] ، ولم يكن أمر بالقتال بعد . فلما انصرفوا[6] بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابنَ أُمِّ مكتوم ، ومُصْعب ابن عُمَيْر يعلِّم من أَسلم منهم القرآن وشرائع الإسلام ويدعو من لم يسلم إلى الإسلام . فنزل مصعب بن عمير على أَسعد بن زُرارة . وكان مصعب بن عمير يُدْعَى المقرىء القارىء ، وكان

---

(١) انظر فى العقبة الثانية ابن هشام ٢/٧٣ وقد سماها العقبة الأولى كأنه لم يعتد بسابقتها . وانظر أيضا ابن سعد ج١ق١ص١٤٧ والطبرى ٢/٣٥٥ وما بعدها وصحيح البخارى ١/٨،٥/٥٤ وابن حزم ص٧١ وابن كثير ٣/١٥٠ وابن سيد الناس ١/١٥٦ والنويرى ١٦/٣١٢ .

(٢) ولم يحضرها : أى لم يحضر العقبة الثانية .

(٣) فى ابن سيد الناس أن أهل الحجاز ينطقونه بتخفيف الياء وغيرهم يشددها .

(٤) انفرد ابن اسحق بقوله ان عويما حليف لبنى عمرو بن عوف . انظر الاستيعاب ص٥٢٨ .

(٥) واضح من تعقيب ابن عبد البر على هذه البيعة انهم لم يبايعوه على القتال ، فهى بيعة كبيعة النساء حينئذ على الدخول فى الاسلام ، بيعة عمادها أن لايشرك المبايع بالله شيئا وان لا يسرق ولا يزنى ولا يقتل أولاده ولا يأتى ببهتان ولا يعصى الله فى معروف .

(٦) انصرفوا هنا : أى حان انصرافهم .

يؤمُّهم ، فجمَّع بهم أول[1] جمعة جُمِّعت فى الإسلام فى هزْم[2] حَرَّة بنى بياضة فى بَقيع يقال له بقيع[3] الخَضِمات ، وهم أربعون رجلا .

فأَسلم على يد مصعب بن عمير خلق كثير من الأَنصار ، وأَسلم فى جماعتهم / سعد بن مُعاذ وأُسَيْد بن حُضَير ، وأَسلم بإسلامهما جميع بنى عبد الأَشهل فى يوم واحد : الرجال والنساء ، لم يبق منهم أَحد إلا أَسلم ، حاشا الأُصَيْرِم ، وهو عمرو بن ثابت بن وقْش ، فإِنه تأَخَّر إسلامه إلى يوم أُحد ، فأَسلم واستُشْهِد ، ولم يسجد لله سجدة . وأَخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنه من أَهل الجنة . ولم يكن فى بنى عبد الأَشهل منافق ولا منافقة ، كانوا كلهم حُنَفاءَ مخلصين ، رضى الله عنهم أَجمعين .

٢٥ و

ولم يبق دارٌ من دور الأَنصار إلا وفيها مسلمون : رجال ونساء ، حاشا بنى أُمية بن زيد ، وخَطْمة ، وواقد[4] ، وهم بطون من الأوس ، وكانوا سكَّانا فى عَوالى المدينة ، فأَسلم منهم قوم . وكان سيدهم أَبو قيس بن صيْفىّ بن الأَصلت الشاعر ، فأَخَّر إسلامه وإسلام سائر قومه إلى أَن مضت بدر وأُحد والخندق ، ثم أَسلموا كلهم .

ثم رجع مصعب بن عمير إلى مكة .

---

(١) قال السهيلى فى الروض الانف ١/٢٧٠: تجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فى المدينة وتسميتهم اياها بهذا الاسم هداية من الله لهم قبل ان يؤمروا بها ، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة، فاستقر فرضها، واستمر حكمها ، ولذلك قال عليه السلام : أضلته اليهود والنصارى وهداكم الله اليه . وروى الدارقطنى عن ابن عباس : أذن النبى صلى الله عليه وسلم بها لهم قبل الهجرة . وانظر ابن سيد الناس ١٥٨/١ وعند ابن اسحاق أن أول من صلى بالمسلمين الجمعة فى المدينة أسعد بن زرارة . انظر ابن هشام ٧٧/٢ .

(٢) الهزم : المكان المطمئن من الارض .

(٣) بقيع : هكذا بالباء فى الأصل وفى ابن سيد الناس ، وهو موضع بنواحى المدينة . وقد سماه البكرى فى معجمه نقيع الخضمات بالنون.

(٤) هكذا فى الأصل ، وفى ابن هشام : واقف . وذكر قبله وائلا .

العقبة[1] الثالثة

وخرج إلى الموسم جماعة كبيرة ممن أسلم من الأنصار يريدون لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جملة قوم كُفَّار / منهم لم يُسْلموا بعد ، فوافوا مكة . وكان فى جملتهم البرَاءُ[2] ابن مَعْرور ، فرأى أن يستقبل الكعبة فى الصلاة ، وكانت القبلة إلى بيت المقدس . فصلَّى كذلك طول طريقه . فلما قدم مكة ندم ، فاستفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : قد كنت على قبلة لو صَبرت عليها ، منكرا لفعله .

٢٥ ظ

فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أَواسط أيام التشريق . فلما كانت تلك الليلة دعا كعبُ بن مالك ورجال من بنى سلِمة عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، وكان سيدا فيهم ، إلى الإسلام ، ولم يكن أَسلم ، فأَسلم تلك الليلة وبايع . وكان ذلك سِرًّا ممن حضر من كفَّار قومهم . فخرجوا فى ثلث الليل الأَول متسلِّلين من رِحالهم إلى العقبة ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأَبناءهم وأَن يرحل إليهم هو وأَصحابه .

وحضر العباسُ العقبةَ تلك الليلة متوثقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومؤكدا على أهل يثرب ، وكان يومئذ على دين قومه لم يسلم . وكان للبراءِ بن معرور فى تلك اللَّيلة المقام المحمود فى التوثق لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشدِّ لِعقْدِ أَمره . وهو أَول[3] من بايع رسول الله

---

(١) انظر فى بيعة هذه العقبة ابن هشام ٢/٨١ وابن سعدج١ق١ص ١٤٨ والطبرى٢/٣٦٠ وابن حزم فى جوامع السيرة ص ٧٤ وابن سيدالناس ١/١٦١ وابن كثير ٣/١٥٨ والنويرى ١٦/٣١٣ ، وهى عند ابن هشام العقبة الثانية.

(٢) البراء : آخر ليلة فى الشهر ، وبها سمى البراء بن معرور ، والمعرور : المقصود

(٣) فى ابن هشام ٢/٨٤ انه أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال عقب قوله : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ، قال : نعم والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا (أى نساءنا) ، فبايعنا يارسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة (الدروع) ورثناها كابرا عن كابر . وانظر ابن سيد الناس ١/١٦٥

صلى الله عليه وسلم تلك الليلة : ليلة العقبة [الثالثة] . وكذلك كان مقام أبي الهيثم [1] بن التَّيْهان والعباس [2] بن نَضْلة يومئذ .

/ وكان المبايعون لرسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة سبعين [3] رجلا وامرأتين . ٢٦ و

واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم اثنى [4] عشر نقيبا ، وهم :

أسعد بن زرارة بن عُدَس أبو أُمامة ، وهو أحد الستة وأحد الإثنى عشر وأحد السبعين [5] ، وسعد بن الربيع ، وعبد الله بن روَاحة ، ورافع بن مالك بن العَجْلان وهو أيضا أحد الستة وأحد الإثنى عشر وأحد السبعين ، والبرَاءُ بن مَعْرور ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، وسعد بن عبادة ابن دُليم ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس ، وعبادة بن الصامت وهو أحد الستة فى قول بعضهم ، وأحد الإثنى عشر وأحد السبعين .

فهؤلاء تسعة من الخزرج . وثلاثة من الأوس :

أُسَيْد بن حُضَيْر ، وسعد بن خَيْثمة بن الحارث ، ورفاعة بن عبد المنذر .

وهؤلاء هم النقباءُ . وقد أسقط قوم رفاعة [6] بن عبد المنذر منهم ، وعدّوا مكانه أبا الهيثم بن التَّيْهان ، والله أعلم .

---

(١) فى ابن سعد ق١ج١ص١٤٩ انه حين حاول العباس بن عبد المطلب أن يأخذ عليهم المواثيق لابن أخيه قال له أبو الهيثم : اننا نقبـله على مصيبة الأموال وقتل الأشراف . وانظر ابن سيد الناس ١/١٦٥ .

(٢) فى ابن سعد ق١ج١ص١٥٠ ان العباس بن عبادة بن نضلة قال : يارسول الله والذى بعثك بالحق لئن أحببت لنميلن على أهل منى بأسيافنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انا لم نؤمر بذلك فانفضوا الى رحالكم . وانظر ابن سيد الناس ١/١٦٥ وابن هشام ٢/٨٨ .

(٣) فى ابن هشام أنهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، وفى ابن سعد نقلا عن محمد بن عمر بن واقد انهم كانوا سبعين يزيدون رجلا أو رجلين .

(٤) انما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم النقباء اثنى عشر اقتداء بقوله تعالى فى قوم موسى: (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) . وانظر فيهم ابن هشام ٢/٨٦ وابن سـعد ق١ ج١ ص١٤٨ والمحبر ص ٢٦٨ وابن سيد الناس ١/١٥٨ .

(٥) يريد ابن عبد البر انه احد من شهـد بيعة العقبة الأولى والثانية والثالثة .

(٦) انظر ابن هشام ٢/٨٧ .

وهذه تسمية[1] من شهد العقبة من الأنصار

مع[2] الإثنى عشر النُّقباء

٢٦ ظ

ظُهَيْر بن رافع بن عدىّ الحارثى ، وسلمة بن سلامة بن وَقْش / الأَشهلى ، ونُهَيْر بن الهيثم من بنى نابى بن مَجْدَعة ، وعبد الله بن جُبَير بن النعمان من بنى عمرو بن عوف ، وأُسَيْد ابن حُضَيْر بن سماك ، وأبو الهيثم بن التَّيْهان ، وسعد بن خَيْثَمة ، ورفاعة بن عبد المنذر ، وأبو بُرْدة هانئ بن نِيار حليف لهم من بَلِىّ ، وعُوَيْم بن ساعدة حليف لهم من بَلِىٍّ ، ومعن بن عدى بن الجدّ حليف لهم من بَلِى .

فهؤلاء من الأَوس أَحد عشر رجلا . وشهدها من الخزرج :

أَبو أَيوب الأَنصارى خالد بن زيد ، ومعاذ ، ومعوِّذ ، وعوف : بنو الحارث بن رفاعة وهم بنو عفراء ، وعُمارة بن حَزْم بن زيد بن لَوْذان ، وأَبو زُهْم الحارث بن رفاعة بن الحارث . هؤلاء الستة من بنى غَنْم بن مالك بن النَّجَّار .

وسهل بن عَتِيك بن النعمان بن النجار من بنى عامر بن مالك بن النجار .

وأَوس بن ثابت بن المنذر بن حرام ، وأَبو طلحة وهو زيد بن سهل النجارى . وهذان من بنى عمرو بن مالك بن النجار .

وقيس بن أَبى صعصعة النجارى ، وعمرو بن غُزَيَّة بن عمر . وهذان من بنى غَنْم بن مازن بن النجار .

وخارجة بن زيد بن أَبى زهير ، وبشير بن سعد [بن ثعلبة] بن خِلاس[3] ، وخلَّاد بن سُوَيد ابن ثعلبة . وهولاء من بنى كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج .

---

(١) انظر فى أسماء من شهد العقبة الثالثة ابن هشام ٢/٩٧ وابن حزم ص ٧٨ وابن سيد الناس ١/١٦٧ وابن كثير ٣/١٦٦ والنويرى ١٦/٣١٧

(٢) فى الاصل : سوى ، وقد اعاد ابن عبدالبر ذكر النقباء

(٣) قال ابن سيد الناس : عند الدارقطنى بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام ، وبكسر الخاء وتخفيف اللام عند غيره

وعبد الله بن زيد بن ثعلبة من بني جُشم بن الحارث بن الخزرج .

وعقبة بن عمرو بن يُسَيْرة [١] بن عَسِيرة [٢] أبو مسعود الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج . وهو وجابر بن عبد الله أصغر من شهد العقبة .

٢٧ و

وزياد بن لَبيد بن ثعلبة ، / وفَرْوة بن عمرو بن وَدْفة [٣] ، وخالد بن قيس بن مالك . وهؤلاء من بنى بياضة بن عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج .

وذكوان بن عبد قيس بن خَلَدة بن مُخَلِّد بن عامر بن زريق بن عامر أخى بياضة بن عامر ، وعيَّاد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بن عامر ، والحارث بن قيس بن خالد بن مخلد بن زريق بن عامر أخى بياضة بن عامر .

ومن بنى سَلِمة بن سعد بن على : بشر بن البراء بن معْرور ، وأبو سنان بن صيْفى بن صخر ، والطفيل بن النعمان بن خنساء ، ومعقل بن المنذر بن سَرْح ، ويزيد بن المنذر بن سرح ، ومسعود ابن زيد بن سُبَيْع ، ويزيد بن خِدام [٤] بن سبيع ، والضحاك بن حارثة بن زيد ، وجَبَّار بن صخر بن أُمية ، والطفيل بن مالك بن الخنساء . وهؤلاء كلهم من بنى عدىّ بن غَنْم بن كعب ابن سلمة .

ومن بنى سَواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة : كعب [٥] بن مالك بن أَبى كعب الشاعر ، وسُلَيم ابن عمرو بن حديدة ، وقطبة بن عامر بن حَديدة ، وأخوه يزيد بن عامر ، وأبو اليَسر كعب ابن عمرو بن عَبَّاد ، وابن عمه صَيْفِيّ بن سواد بن عباد ، وثعلبة بن عَنَمة بن عدى ، وأخوه

---

(١) عند ابن هشام : اسيرة ، وفى رواية عن ابن اسحق نسيرة ، وضبطها ابن عبد البر بالياء ، انظر ابن سيد الناس ١/١٦٨

(٢) قال ابن سيد الناس : اختلفوا فى ضبط عسيرة ، فمنهم من يفتح العين ويكسر السين ، ومنهم من يفتح السين ويضم العين

(٣) ضبطها ابن هشام بالدال والفاء وقال ان هذا هو الأصح وتروى بالذال ، وبالدال والقاف

(٤) فى ابن هشام وبعض المراجع : حرام

(٥) عند ابن هشام : كعب بن مالك بن أبى كعب عمرو بن القين ، وفى بعض المراجع : كعب بن مالك بن أبى كعب بن عمرو بن القين . وقد توفى سنة ٥٠ فى زمن معاوية

عمرو بن عَنَمَة ، وعبْس بن عامر بن عديّ ، وخالد بن عمرو بن عدى ، وعبد الله بن أُنَيْس بن أسعد حليف لهم من قضاعة .

ومن بنى حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام كان من أحدثهم سِنًّا ، ومعاذ بن عمرو / بن الجَموح ، وثابت بن الجِذْع ، واسم الجذع ثعلبة ابن كعب(١) بن حرام بن كعب ، وعُميْر بن الحارث بن لَبْدة ، وخَدِيج بن سلامة بن أوس حليف لهم من بَلِى .

٢٧ ظ

ومن إخوة بنى سَلِمة وهم بنو أُدىّ ، ويقال أُدىّ بن سعد بن على : معاذ بن جَبَل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أُدَى .

وجميع من شهدها من بنى سلِمة وحلفائهم ثلاثون رجلا . وقد ذكر بعض أهل السير فيهم أوس بن عباد بن عدىّ .

ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : العباس ابن عُبادة ابن نَضْلة وهو مهاجرىّ أنصارى هاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة فكان معه بها ثم هاجر معه إلى المدينة وقُتِل يوم أحد ، ويزيد بن ثعلبة بن خَزْمة (٢) بن أصْرم حليف لهم من [بنى] غُصَيْنَة من بَلِىّ ، وعمرو بن الحارث بن لَبْدة من القواقل . ومن بنى الحُبْلى واسمه سالم بن عمرو بن عوف : رفاعة بن عمرو بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن سالم ، وعقبة بن وهب بن كَلَدة بن الجعْد من بنى عبد الله بن غطفان بن سعد بن قَيْس عَيْلان حليف لهم هاجر أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة : فهؤلاء خمسة رجال .

ومن بنى كعب بن الخزرج : سعد بن عُبادة بن دُليم ، والمنذر بن عمرو وهما من النقباء الذين ذكرنا .

---

(١) فى ابن هشام : الجذع : ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام

(٢) فى ابن عبد البر ص ١٢٨ : بسكون الزاى عند ابن اسحق والكلبى وبفتحها عند الطبرى ورجح السكون ابن عبد البر ، وقال : ليس فى الانصار خزمة بالتحريك .

وامرأتان : نَسِيبة بنت كعب بن عمرو من بنى مازن بن النجار وهى أُم عمارة قتل مسيلمةُ ابنَها حبيب بن زيد بن عاصم ، والثانية أَسماء / بنت عمرو بن عدى بن نابى من بنى سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة وهى أُمُّ مَنيع .

٢٨ و

وكانت البيعة ليلة العقبة (الثالثة) على حرب الأَسود والأَحمر . وأَخذ لنفسه ، واشترط عليهم لربِّه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة (*) .

* قلت ، النقيب هو الامين المصدق على طائفته المنقب المفتش على أسرارهم والعارف بطرق أمرهم المخاطب عنهم فى بعض الحالات .

باب

ذكر الهجرة[1] إلى المدينة

يقال إن المدينة مذكورة فى التوراة طابة[2] . قال : أوحى الله إلى طابة : يا طابة يا مسكينة لا تقبلى الكنوز فإنى أرفع أجاجيرك[3] على أجاجير القرى . وهى المُدْخل الصدق فى كتاب الله تعالى ، قال الله سبحانه : (وقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صدق وأَخْرِجْنى مُخْرَجَ صدق واجْعَل لى من لدنك سلطانا نصيرا) . المخرج الصدق : مكة ، والمدخل الصدق : المدينة ، والسلطان النصير : الأَنصار . وفيه دليل واضح على تفضيل المدينة ، لأَن الله ابتدأَ بها ، وكان القياس أَن يبتدئ بمكة ، لأَنه خرج منها قبل أَن يدخل المدينة ، وأَيضا فبالمدينة جعل له سلطانا نصيرا ، وأَيضا فيأْبى الله إلا أَن ينقل نبيه إلا إلى ما هو خير (*) .

---

(١) انظر فى الهجرة الى المدينة ابن هشام٢/١١٢ وابن سعد ج١ق١ص ١٥٢ وما بعدها وصحيح البخارى ٥/٥٦ والطبرى ٢/٣٦٩ وابن حزم ص٨٥ وابن سيد الناس ١/١٧٣ وابن كثير ٣/١٦٨ والنويرى ١٦/٣٢١ والسيرة الحلبية٢/٥٤

(٢) طابة : من أسماء المدينة ، وقد ذكر بعض الرواة لها أكثر من ثلاثين اسما ، أشهرها يثرب

(٣) أجاجير : جمع اجار بهمزة مكسورة وجيم مشددة ، وهو السطح .

* قلت : واختلف العلماء فى حكم الهجرة حينئذ وكيف كان ؟ فقيل : كانت الهجرة شرطا فى الاسلام ، فمن لم يهاجر ولا عذر له ومات على ذلك مات كافرا . وقيل : بل كانت واجبة مؤكدة من قواعد الدين . ثم اختلفوا فى حكمها على من وجبت عليه أولا هل استمر بعد الفتح أم لا ؟ ولا خفاء فى أن غير المهاجرين الأولين لم يخاطبوا بالهجرة بعد الفتح ، وفيهم جاء الحديث : لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد . وظاهر قوله تعالى :(والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا) أن الهجرة كانت شرطا فى الاسلام ، وهو ظاهر قوله عليه السلام : ولكن البائس سعد بن خولة[من المهاجرين وقد شهد مع الرسول سائر المشاهد وتوفى بمكة فى حجة الوداع وقد وصفه الرسول بالبائس لأنه مات فى الارض التى هاجر منها] يرثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة .

وقد استرسل المعلق هنا يقول :

واطلاق البؤس عليه بعد الموت يدل على أن الخاتمة لم تكن على الاسلام لأن المسلم لا بؤس عليه ان شاء الله ولا سيما بؤس يسبق له فيه اسم والله أعلم .

وهو غلط واضح فى الاستنتاج ، لان سعدا كان من المسلمين الأولين وممن هاجروا الى الحبشة وشهد بدرا وغيرها من المشاهد . وانما تعلق به البؤس لانه لم يمت فى دار هجرته، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : اللهم أمض لأصحابى هجرتهم ، ولاتردهم على اعقابهم .

وانظر الاستيعاب ص ٥٦٦

فلما تمت بيعة هؤلاءِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ، وكانت سِرا ، على كفار قومهم وكفار قريش أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ كان معه من المسلمين بالهجرة إلى المدينة أرْسالا[١] ، فقيل : أول[٢] مَنْ خرج أبو سَلَمة بن عبد الأسد المخزومى وحُبِسَتْ عنه امرأته أُم سَلَمة بنت أبي أُمية بمكة نحو سنة ، ثم أُذِنَ لها فى اللِّحاق بزوجها فانطلقت / مهاجرة وشيَّعها عثمان بن طلحة بن أبى طلحة وهو كافر[٣] إلى المدينة . ونزل أبو سَلَمة فى قُباء[٤] .

٢٩ و

ثم عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم ، وهى أول ظَعِينة[٥] دخلت من المهاجرات إلى المدينة .

ثم عبد الله بن جَحْش وأخوه أبو أحمد بن جحش الشاعر الأعمى وأمهما وأم إخوتهما أُمَيْمَة بنت عبد المطلب . وهاجر جميع بنى جحش بنسائهم ، فغَدا أبو سفيان على دارهم فتملَّكها إذ خَلَتْ منهم . وكانت الفارعة بنت أبى سفيان بن حرب تحت أبى أحمد بن جحش .

فنزل هؤلاءِ الأربعة أبو سلمة وعامر بن ربيعة وعبد الله وأبو أحمد ابنا جحش على مبشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبر فى بنى عمرو بن عوف بقُباء . وهاجر مع بنى جحش جماعة من بنى أسد بن خُزَيمة بنسائهم ، منهم عُكَاشة بن مِحْصَن ، وعُقبة وشجاع ابنا وهب ، وأربد بن حُمَيِّر[٦] ، ومنقذ ابن نُبَاتة ، وسعيد بن رُقَيْش وأخوه يزيد بن رقيش ، ومُحْرز بن نَضْلة ، وقيس بن جابر ، وعمرو ابن مِحْصن ، ومالك[٧] بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثَقْف بن عمرو ، وربيعة بن أكْثَم ، والزُّبير بن عبيدة ، وتَمَّام بن عبيدة ، وسَخْبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش ،

---

(١) ارسالا : جماعات .

(٢) وفى بعض الروايات أن أول المهاجرين مصعب بن عمير .

(٣) يروى عن أم سلمة انها كانت تقول : مارأيت صاحبا قط كان اكرم من عثمان بن أبى طلحة .

(٤) فى ابن سيد الناس ١/١٨٠ : قبــــاء مسكن بنى عمرو بن عوف على فرسخ من المدينة ، ويمد ويقصر ويؤنث ويذكر ويصرف ولا يصرف .

(٥) الظعينة : المرأة فى الهودج .

(٦) فى ابن هشام : حميرة بالحاء وقيـــل جميرة بالجيم ، وفى ابن سعد : حمير ، وتابعـه ابن عبد البر هنا وفى ترجمته له بالاستيعاب

(٧) هكذا فى ابن هشام والمراجع المختلفة وفى الأصل : خالد ، ولعله تحريف من الناسخ .

ومن نسائهم زينب بنت[1] جَحْش ، وحَمْنة بنت جَحْش ، وأُم حبيب[2] بنت جحش ، وجُدامة[3] بنت جَنْدل ، وأُم قيس بنت مِحْصن ، وأُم / حبيبة بنت نُباتة ، وأُمامة[4] بنت رُقَيْش .

٢ ظ

ثم خَرَج[5] عمر بن الخطاب وعَيَّاش بن أَبي ربيعة فى عشرين راكبا ، فقدموا المدينة ، فنزلوا فى العوالى فى بنى أُمية بن زيد . وكان يُصَلِّى بهم سالم مولى أَبى حُذَيفة وكان أَكثرهم قرآنا . وكان هشام بن العاص بن وائل قد أَسلم ، وواعد عمر بن الخطاب أَن يهاجر معه ، وقال : تجدنى أَو أَجدك عند أَضاة[6] بنى غِفار ، ففطن لهشام قومه ، فحبسوه عن الهجرة . ثم إن أَبا جهل والحارث بن هشام أَتيا المدينة[7] ، فكلَّما عياش بن أَبى ربيعة ، وكان أَخاهما لأُمهما وابن عمهما ، وأَخبراه : أَن أُمه قد نذرت أَن لاتغسل رأْسها ولا تستظلَّ حتى تراه ، فرقَّت نفسه وصدَّقهما وخرج راجعا معهما فكتَّفاه فى الطريق ، وبلَّغاد[8] مكة ، فحبساه بها مسجونا ، إلى أَن خلَّصه الله بعد ذلك بدعاءِ رسول الله صلى الله عليه وسلم له فى قنوت الصلاة : اللهم أَنْج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أَبى ربيعة والمُسْتَضْعفِينَ من المؤمنين ، اللهم اشدد وَطْأَتك على مُضَر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف . ثم استنقذ الله عياش بن أَبى ربيعة وسائرهم وهاجر إلى المدينة .

---

(١) هى أم المؤمنين وكانت أولا عند زيد بن حارثة ، ثم اقترن بها بعده الرسول .

(٢) واضح أن ابن عبد البر جعل لزينب أختين ، هما حمنة وأم حبيب أو حبيبة وتابعه فى ذلك السهيلى قائلا أن حمنة كانت تحت مصعب بن عمير وكانت أم حبيب تحت عبدالرحمن بن عوف . وعند ابن عساكر ان حمنة كانت تكنى بأم حبيبة لا أم حبيب ، أى أنهمـا فقط زينب وحمنة أم حبيبة .

(٣) استظهر السهيلى أن تكون جدامة بنت وهب بن محصن . انظر الروض الأنف ١/٢٨٧ .

(٤) فى ابن سيد الناس واكثر المصادر : أمينة .

(٥) نقل ابن سيد الناس فى ١/١٧٤ هذه الفقرة عن ابن عبد البر .

(٦) كلمة الاضاة تمد وتقصر وهى الغدير وكانت اضاة بنى غفار خارج مكة على بعد بضعة أميال منها .

(٧) عند بعض أهل السير أنه كان معهمـا العاص بن هشام .

(٨) هكذا فى الاصل ، وفى ابن سيد الناس وبلغا به .

وكان من جملة القادمين مع عمر بن الخطاب أخوه زيد بن الخطاب ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ، وعمرو وعبد الله ابنا سُراقة بن المعتمر ، وكلهم من بنى عَدِىّ بن كعب ، وواقد / ابن عبد الله التميمىّ (١) ، وخَوْلِى ومالك ابنا أَبى (٢) خَوْلِىّ من بنى عِجْل بن لُجَيْم حُلَفاء بنى عدى بن كعب ، وإياس وعاقل وعامر وخالد بنو البُكَيْر اللَّيْثى (٣) حلفاء بنى عدى بن كعب ، وخُنَيْس بن حُذافة السَّهْمى وزوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب . نزلوا بقُباء على رفاعة بن عبد المنذر فى بنى عمرو بن عوف .

٣٠ و

ثم قدم طَلحة بن عُبَيْد الله ، فنزل هو وصُهيب بن سِنان على خُبَيْب بن إساف (٤) فى بنى الحارث بن الخزرج (٥) ، ويقال : بل نزل طلحة على أَبى أُمامة أَسعد بن زرارة . وكان صُهَيْب ذا مال ، فاتبعته قريش ليقتلوه ويأْخذوا ماله ، فلما أَشرفوا عليه ونظر منهم ونظروا إليه قال لهم : قد تعلمون أَنى من أَرماكم رجلا ، ووالله لا تصلون إلى أَو يموت منكم من شاءَ الله أَن يموتَ ، قالوا : فاترك مالك ، وانهض . قال : مالى خلَّفته بمكة ، وأَنا أعطيكم أمارة فتأْخذونه ، فعلموا صدقه ، وانصرفوا عنه إلى مكة بما أَعطاهم من الأَمارة ، فأَخذوا ماله ، فنزلت فيه : (ومن الناس مَنْ يَشْرِى نفسه ابتغاءَ مرضاة الله والله رءُوفٌ بالعباد ـ الآية) .

---

(١) هكذا فى ابن هشام وغيره ، وهو يتطابق مع ما ذكره ابن عبد البر فى حديثه عن اول الناس ايمانا بالرسول وفى ترجمته بكتابه الاستيعاب وفى الأصل : التيمى .

(٢) اسم أبى خولى عمرو بن زهير ، وقيل انه جعفى لاعجلى

(٣) الليثى : أى من بنى سعد بن الليث

(٤) فى الاستيعاب ص ١٦٨ : يقال فيه يساف بالياء ، ولم يكن خبيب مسلما حين نزل عليه طلحة وصهيب وقد تأخر اسلامه الى أن خرج الرسول الى غزوة بدر فلحقه فى الطريق وأسلم وشهد بدرا وسائر المشاهد ، وقد قتل امية بن خلف يوم بدر فيما ذكر الرواة .

(٥) فى ابن هشام أن بنى الحارث بن الخزرج كانوا ينزلون فى السنح ، وهو أطم أو حصن لهم كان على مسافة ميل من المسجد النبوى .

ونزل حمزة بن عبد المطلب وحليفاه : أَبُو مَرْثد الغَنوى ، وابنه مَرْثد بن أبي مرثد ، وزيد بن حارثة وأَنَسة[1] وأَبو كبشة[2] موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهِدْم / أخى بنى عمرو بن عوف بقباء . ويقال : بل نزلوا على سعْد بن خَيْثمة ، وقيل : إن حمزة نزل على أبي أمامة أسعد بن زُرارة .

٣٠ ظ

ونزل عبيدة ، والطُّفَيْل والحُصَيْن ، بنو الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، ومِسْطَح[3] ابن أُثاثة بن عباد بن المطلب ، وسُوَيْبط بن سعد بن حَرْملة[4] العبْدرِىّ ، وطُلَيْب بن عمير من بنى عبد بن قصى ، وخَبَّاب بن الأَرتّ مولى عتبة بن غزوان[5] ، على عبد الله بن سلمة العَجْلانى بِقُبَاء .

ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع فى بنى الحارث بن الخزرج .

ونزل الزُّبَيْر بن العوَّام وأَبو سَبْرة بن أَبى رُهْم على المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحة بن الجُلاح فى بنى جَحْجَبى[6] .

ونزل مصعب بن عُمَيْر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار على سعد بن معاذ بن النعمان الأَشهلى فى بنى عبد الأَشهل .

ونزل أَبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولى أَبى حذيفة وعتبة بن غزوان المازنى على عبَّاد بن بشر بن وَقْش فى بنى عبد الأَشهل .

---

(١) من مولدى السراة ، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم سائر المشاهد وتوفى فى خلافة أبى بكر .

(٢) يقال ان أصله من الفرس ، وله بلاء حسن مع الرسول فى المشاهد كلها . مات فى خلافة عمر .

(٣) هكذا فى ابن هشام وجميع المصادر ، وفى الأصل : مسلم ، وهو تصحيف

(٤) هكذا فى الأصل والاستيعاب ص ٥٩٩ وفى ابن هشام : حريملة .

(٥) فى الاصل : عبدان ، وهو تحريف .

(٦) جحجبى : جد احيحة ، وكانت دارهم التى نزلها الزبير وأبو سلمة تسمى العصبة كهمزة وكانت بقباء .

ونزل عثمان بن عفّان على أوس بن ثابت أخى حَسّان بن ثابت فى بنى النّجّار .

ونزل العُزّاب على سعْد بن خَيْثَمَة وكان عَزَبًا .

ولم يَبْقَ بمكة أحد من المسلمين إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلى [1] ، أقاما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بـأمره . وحُبِس قوم كرها ، حبسهم قومهم ، فكتب الله لهم أجر المجاهدين بما كانوا عليه / من حِرْصهم على الهجرة .

٣١

فلما رأت قريش أن المسلمين قد صاروا إلى المدينة ، وقد دخل أهلها فى الإسلام قالوا هذا شر شاغل لا يُطاق ، فأجمعوا أمرهم على قَتْل [2] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبيّتوه ، ورصدوه على باب منزلهم طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج . فأمر النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب أن ينام على فراشه ، ودعا الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُعمّى عليهم أثره ، فطمس الله على أبصارهم ، فخرج وقد غشيهم النوم ، فوضع على رءوسهم ترابا ونهض [3] . فلما أصبحوا خرج عليهم علىٌّ وأخبرهم أن ليس فى الدار ديّار ، فعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فات ونجا [4] .

---

(١) وأيضا الا من حبس كرها كما سيذكر ابن عبد البر والا من فتن عن دينه الحنيف .

(٢) فى ابن هشام وغيره من كتب السير أن قريشا لما رأت الرسالة النبوية تشيع فى العرب ورأوا خروج أصحابه الى المدينة خشوا عاقبة ذلك، وخاصة أن المدينة كانت فى طريق قوافلهم التجارية الى الشام ، فتداعوا للاجتماع بدار الندوة كى يتشاوروا فيما يصنعون بالرسول ويقال ان أبا البخترى بن هشام أشار بحبسه، وأشار أبو الاسود ربيعة بن عمير باخراجه ونفيه . ورفض المجتمعون الرأيين ، واتفقوا على قتله، وأن تقوم بذلك مجموعة من قريش تتألف من كل عشيرة فيها ، بحيث تنتدب عنها شابا فتيا ، ويعمدون اليه فيضربونه بسيوفهم ـ شلت ايديهم ـ ضربة رجل واحد ، وبذلك يتوزع دمه فى جميع العشائر ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم .

(٣) فى بعض الروايات أن الرسول كان يحثو على رءوسهم التراب وهو يتلو الآيات الاولى من سورة يس حتى قوله تعالى : (فأغشيناهم فهم لا يبصرون)

(٤) أشار القرآن الكريم الى ماكانت تبيته قريش من قتل الرسول فى قوله تعالى : (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقوله جل شأنه : (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) .

وتواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أَبي بكر الصِّدِّيق للهجرة ، فدفعا راحلتيهما إلى عبد الله ابن أَرقط ، ويقال ابن أُرَيْقط ، الدِّيلِيّ ، وكان كافرا لكنهما وثِقا به ، وكان دليلا بالطرق ، جاءَ فى الصحيح [1] أنه كان هاديا خِرِّيتا ، فاستأْجراه ليدلَّ بهما إلى المدينة (*) .

خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم للهجرة [2]

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خَوْخَةٍ [3] فى ظهر دار أَبي بكر التى فى بنى جُمَح ، ونهضا نحو الغار فى جبل [4] ثَوْر (*)

وأمر أَبو بكر ابنه عبد الله أَن يتسمَّع ما يقول الناس ، وأَمر مولاه عامر بن فُهَيْرة أَن يَرْعى غنمه ويُريحها عليهما ليلا ، ليأْخذا منها حاجتهما . ثم نهضا فدخلا الغار ، وكانت أَسماءُ بنت

(١) فى الصحيح :أى فى الحديث الصحيح.

* قلت : يؤخذ من ذلك جواز الاعتماد على الكافر فى الأمور الخطيرة اذا غلب على الظن انه لا يخون ، كالاعتماد على الكافر فى الكحل وعلى النصارى فى الطب والكتابة والحساب ونحو ذلك ما لم تكن ولاية فيها عز ، فلا يجوز الاعتماد عليهم فيها . ولا يلزم من مجرد كونه كافرا أن لا يوثق به فى شيء ، فانه لاشيء أخطر من الدلالة فى الطرق ، ولاسيما فى مثل الهجرة، ومع ذلك فقد اعتمد فيها على هذا الديلى وهو كافر وحمدت العاقبة فى ذلك والحمد لله. والخريت : الحاذق الذى يعرف مضايق الطرق ولو مثل خرت (ثقب) الابرة . وجاء فى بعض الطرق : فأخذ بهم يد بحر أى طريق الساحل . وجاء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر : لا أركب الراحلة الا بالثمن، فقال أبوبكر : بالثمن يا رسول الله . وقال بعض أهل العلم : قد ورد أن أبابكر أنفق على النبى صلى الله عليه وسلم ماله كله ، وقال عليه السلام : ان آمنكم على فى ماله أبوبكر. فما وجه كونه امتنع ان يركب الراحلة الا بالثمن وأجيب انه عليه السلام أراد ان تكون هجرته لله بنفسه وبماله ، لايستعين فى ذلك بالخلق . استحسنه السهيلى [انظر الروض الانف ٢/ ٣] . ويقويه عندى انه عليه السلام قال فى المريد الذى اتخذه مسجدا : لا آخذه الا بالثمن . ولم يقل ذلك فى منزل أبى أيوب . ويحتمل عندى أن يكون انفاق ابى بكر على النبى صلى الله عليه وسلم من ماله انما أريد به الانفاق فى سبيل الله لأجل رسول الله ومواساة أصحابه عليهم السلام لمكانهم منه عليه السلام ، ولا يريد الانفاق عليه فى ذاته ولا فى قوام حياته ، فلهذا أعطاه ثمن الراحلة .

(٢) انظر فى هجرة الرسول الى المدينة ابن هشام ٢/ ١٢٣ وابن سعد ج١ ق١ ص١٥٣ وصحيح البخارى ٥/ ٥٦ والطبرى ٢/ ٣٧٥ وما بعدها وأنساب الاشراف ١/ ١٢٠ وابن سيد الناس ١/ ١٨١ وابن حزم ص ٩٠ وابن كثير ٣/ ١٧٤ والنويرى ١٦/ ٣٣٠

(٣) الخوخة : مخترق ما بين كل دارين . (٤) جبل ثور بأسفل مكة .

* وروى انه عليه السلام رقى على ثبير (فى الأصل : منبر) ، فقال له : يامحمد انزل من على ظهرى لئلا تقتل علي ، فأعذب ، فناداه حراء : يا رسول الله الى الى . وقيل ان ثورا ناداه أيضا . فكان غار التعبد فى حراء وغار التستر فى ثور ، وكان لهما فضيلة الايواء واحتمال الخطر فى ذات الله بخلاف ثبير فانه خاف على نفسه . فهذان الجبلان فازا بالكرامة وثبير طلب السلامة

أَبِي بكر تـأْتيهما بالطعام ، ويأْتيهما عبد الله بن أَبِي بكر بالأَخبار ، ثم يتلوهما عامر بن فُهيْرة بالغنم فيعفِّى آثارهما .

فلما فقدته[1] قريش جعلت تطلبه بقائف[2] معروف ، فقفا[3] الأَثر حتى وقف على الغار ، فقال : هنا انقطع الأَثر . فنظروا فإذا بالعنكبوت قد نُسج على فم الغار من ساعته ، فلما رأَوا نَسْج العنكبوت أَيقنوا أَن لا أَحد فيه ، فرجعوا . وجعلوا فى النبى صلى الله عليه وسلم مائة ناقة لمن ردَّه عليهم . وقد رُوِى من حديث أَبِى الدَّرداءِ وثوبان :

أَن الله عزَّ وَجلَّ أَمر حمامة فباضَتْ على نَسْج العنكبوت ، وجعلت ترقد على بيضها ، فلما نظر الكفَّار إليها على فم الغار ردَّهم ذلك عن الغار (*) .

حدثنا أَحمد بن قاسم بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا قاسم بن أَصبغ ، قال : حدثنا الحارث ابن أَبِى أُسامة . وحدثنا سعيد بن نصر ، قال : أَنبأَنا قاسم بن أَصبغ ، قال : أَنبأَنا محمد بن إسماعيل الترمذى ، قالا : أَنبأَنا عفان ، قال : أَنبأَنا همام ، قال : أَخبرنا ثابت عن أَنس أَن أَبا بكر حدَّثه ، قال :

قلت للنبى عليه السلام ونحن فى الغار : لو كان أَحدهم نظر إلى قدميه لأَبصرنا تحت قدميه ، فقال : يا أَبا بكر : ما ظنُّك باثنين ، الله ثالثهما (*)

(١) فقدته : أى الرسول صلى الله عليـه وسلم .
(٢) القائف : متتبع الأثر .
(٣) قفا : تبع .

* قلت : وجاء فى الأثر أن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين اللتين وكرتا على فم الغار ، فلذلك احترم حمام الحرم ، وهو من جنس قوله تعالى : (وكان أبوهما صالحا) قيل جدهما السابع ، فحفظ الله الأعقـاب ، رعاية للأسلاف ، وان طالت الاحقاب .

* وتمادت الرافضة على الصفاقة والمكابرة، فقالوا ، ما نهى أبو بكر عن الحـزن الا وهـو معصية [يشيرون بذلك الى ما جاء فى الذكر الحكيم من قول الرسول له : (لاتحزن ان الله معنا] ونقض عليهم السهيلى [فى ٢/٥] قولهم بقول الله تعالى لانبيائه [فى السهيلى لمحمد] :(فلايحزنك قولهم) (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) [وقال لموسى] (خذها ولاتخف) [وقال الملائكة للوط](لاتخف ولا تحزن) . والتحقيق ان النهى انما يتناول المستقبل ، وفى المستقبل ما دفع الحزن، بل الواقع فى الاستقبال الطمأنينة والسكينة والفرح [و] ورد عن عائشة انها قالت [عن ابيها فى يوم الهجرة حين علم من الرسول انه مهاجر معه] ما علمت أن أحدا يبكى من شدة الفرح حتى رأيت أبا بكر (حينئذ) يبكى من شدة الفرح . ثم كان من آثار المعية الالهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر انه يقال الى الابد : قال رسول الله ، وقال خليفة رسول الله . فالله يذكر معهما وليس ذلك لأحد غيرهما

فلما مضت لبقائهما فى الغار ثلاثة أيام أتاهما عبد الله بن أُريْقِط براحلتيهما وأتتهما أسماءُ بسُفْرتهما [١] ، وكانت قد شَقَّت نطاقها فربطت بنصفه السفرة ، وانتطقت النصف الاخر ، ومن هنا سميت ذات النِّطاقين (*) .

فركبا الراحلتين ، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة ، وحمل أبو بكر مع نفسه جميع ماله ، وذلك نحو ستة آلاف درهم (*) . فمروا فى مسيرهم بناحية موضع سراقة بن مالك بن جُعْشُم ، فركب فرسه ، واتبعهم ، ليردّهم بزعمه . فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه ، فساخت يدا فرسه فى الأَرض ، ثم استقلَّ ، فأَتبع يديه دخان . فعلم أنها آية ، فناداهم : قِفوا علىّ وأنتم آمنون . فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحق بهم . ثم همَّ به فساختْ يدا فرسه فى الأَرض ، فقال له : ادْعُ الله لى فلن ترى منى ما تكره . فدعا له ، فاستقلت فرسه . ورغب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب له كتابا [٢] ، فأَمر أبا بكر ، فكتب [٣] له (*) .

---

(١) السفرة : الزاد ٠

* قلت : النطاق فى اللغة كالازار : ثوب تلبسه المراة ، ثم تشد وسطها ، ثم ترسل الآعلى على الأسفل ٠ قال الهروى : وبه سميت أسماء ذات النطاقين لانها كانت تطارق بين نطاقين مبالغة ٠ وقيل : بل كانت تلبس احدهما وتحمل الزاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الآخر الى الغار ٠ والتفسير الذى ذكر فى السيرة (النبوية) قريب من هذا ٠

* راحلة النبى صلى الله عليه وسلم التى اشتراها من أبى بكر هى الجدعاء وهى غير العضباء ٠ وجاء فى حديث انه عليه السلام ذكر أن ناقة صالح تحشر معه ــ أى فيركبها والله اعلم ــ فقال رجل : يارسول الله وأنت على العضباء ، فقال : لا فاطمة على العضباء وأنا على البراق ، وهذا ــ وأشار الى بلال ــ على ناقة من نوق الجنة [انظر الروض الانف ٢/٣] . واعلم ان العضباء اسم علم ولم تكن معضوبة الأذن ٠

(٢) كتابا : أى كتاب امن ، وكأنه وقع فى نفس سراقة ان سيظهر أمر الرسول ، وكان لقاؤه له ــ كما قال اصحاب السير ــ بقديد ، اذ اتخذ الرسول الى المدينة طريق الساحل ٠

(٣) فى بعض الروايات أن الذى كتب له هذا الكتاب عامر بن فهيرة .

* أصل الجعشم [يشير الى اسم جد سراقة] لغة المنتفخ . ويقال انه عليه السلام وعد سراقة حينئذ أن يلبسه الله تاج كسرى وسواريه ٠ فعجب من ذلك . فانجز الله وعده على يد عمر رضى الله عنه ، وذلك ان عامله على المدائن وجد فيها صنما فى بعض بيوت كسرى عاقدا صورة واحد واربعين مشيرا بأصبعه الى الارض ، فقال: ما هذه الاشارة الا لشىء ، فاحتفر تحته ، فاذا سفط فيه تاج كسرى وسواراه ونحو ذلك ٠ فبعث به الى عمر مختوما ، وقال : هذا مما لم يؤخذ غلبة بخيل ولا ركاب ، وقد بعثته لامير المؤمنين يختص به ٠ فرأى عمر تلك الليلة كان نارا أججت ، وكأنه يراد عليها ويستعيذ بالله ، فأمر بالسفط ، فوضع بختمه فى بيت المال =

ثم مَرُّوا (١) على خيمة أُمِّ معبد ، فكان من حديثها ما هو منقول مشهور عن الثقات (*) ، ونهضوا قاصدين على غير الطريق المعهودة . وقد وصف بعض أَهل السير مراحله يوما فيوما ، ولم أَرَ لذكرها وجها .

=واستدعى العامل من العراق . قال : فصادفت عمر يطوف فى أهل الصدقة فطفت معه الى ان ارتفع النهار ، ثم عاد الى منزله فدعا بماء ، فاغتسل واغتسلت ثم قدمت له صحفة فيها طعام غليظ ، فأكل ، وجعلت آكل ، فلا أسيغ ذلك الطعام ، وقد كنت اعتدت درمك العراق اذا وضعته فى فى سبقنى الى بطنى . ثم فرغ ودعا بالسفط ، وقال : اتعرف ختمك ؟ فقلت : هو هذا . فحكى لى القصة . ثم دعا سراقة بن مالك بن جعشم وكان طوالا جدا ، فالبسه حلة كسرى وتوجه بتاجه وسوره بسواره ثم قال : الحمد لله الذى ألبس تاج عدو الله لسراقة .. قال السهيلى [الروض الانف ٢/٦] : وكان سراقة اعرابيا جلفا بوالا على عقبيه . ثم اقسم عمر ذلك بين المسلمين . وكان مما قوم بمال عظيم لما فيه من الجواهر . وما ندرى هل كان عمر سمع بوعد النبى صلى الله عليه وسلم أم وافق ذلك خاطره ، وكان محدثا (ملهما) رضى الله عنه موفقا رحمه الله .

(١) واضح أن ابن عبد البر يقدم لقاء الرسول لسراقة على قصة أم معبد ، وأكثر أهل السير يؤخرون هذا اللقاء الى ما بعد قصتها ، وربما قدمه ابن عبد البر لانه ورد فى الحديث الصحيح الوثيق ، بخلاف قصة أم معبد فلم ترو عند البخارى ولا عند مسلم . وام معبد هى عاتكة بنت خالد احدى بنى كعب من خزاعة كان منزلها بقُديد حيث آخذ الرسول كما أسلفنا طريق الساحل . وانظر قصتها فى كتب السيرة والاستيعاب ص ٧٩٦ وقد نقلها المعلق عنه .

* قلت : ونحن نذكر حديث أم معبد ، فلا غنى عن ذكره فى هذا الموطن :

مر النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ودليلهما على خيمتى أم معبد فى طريق هجرته . وكانت أم معبد بَرْزة (تَظهر للناس وتَلْقاهم) جَلْوة ، تحتبى (تجلس مؤتزرة بثيابها) بفِناء القبة ، وتَسقي وتُطعم ، فسألوها لحما وتمرا يشرونه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئا ، وكان القوم مُرملين مسنتين ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجَهد عن الغنم . فقال : هل بها من لبن ؟ قالت هى أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين لى أن أحلُبها ؟ قالت : بأبى أنت وأمى ان رأيت بها حلبا [لبنا يحلب] فأحلبها . فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمسح بيده ضرعها ، وسمى الله عز وجل ، ودعا لها فى شاتها ، فتفاجت عليه ، ودرت واجترت . ودعا باناء يُربض الرهط حتى علاه البهاء ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رَوُوا ، وشرب آخرَهم صلى الله عليه وسلم ، ثم أراضوا . ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء ، حتى ملأ الاناء . ثم غادره عندها ، ثم بايعها [على الاسلام] ثم ارتحلوا عنها . فقلّ ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا (هزيلة) تشاركن هزلا ، مخهن قليل . فلما رأى أبو معبد اللبن عجب ، وقال: من أين لكِ هذا والشاء عازب حيال (لاتدر) ولا حلوب [شاة مُبِرّة فى البيت ؟ قالت : لا والله ، الا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا. فقال : صفيه لى يا أم معبد. فقالت : رأيت رجلا =

وعَبروا على عُسْفان ، وهو وادٍ تعتسفه السيول ، وكان مأوى الجُذَماء قديما ، ويقال إنه عليه السلام أَسرع [فى] مشيه حين سلكه . وقال : إن كان من العلل شىء بعدى فهذه العلة ، نعوذ بالله من كل سوء .

= ظاهر الوضاءة ، ابلج الوجه ، حسن الخَلْق ، لم تعبه نحلة [وفى الاستيعاب والمصادر الاخرى: ثجلة وهى ضخم البطن] ولم تُزر به صعلة ، وسيما قسيما ، فى عينيه دعج ، وفى اشفاره [شعر اجفانه] عطف [هكذا فى الاستيعاب] أو غطف ، وفى صوته صَحَل ، وفى عنقه سطع [طول] وفى لحيته كثاثة ، ازج [دقيق الحاجبين فى طول] اقرن [مقرون الحاجبين] ان صمت فعليه الوقار ، وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، واحسنه واجمله من قريب ، حلو المنطق ، فصل [محكم] لانزر ولاهذر كأنما منطقه خرزات نظم يتحدرن ، ربعة ، لا بائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر . غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، ان قال أنصتوا لقوله ، أو أمر تبادروا لأمره ، محشود ، محفود ، لاعابس ولا مُفَنَّد (لايخطأ رأيه) . قال أبو معبد : هو والله صاحب قريش ، لقد هممت ان أصحبه ، ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا . فأصبح صوت بمكة عال يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه ، وهو يقول :

جَزَى اللهُ ربُّ الناسِ خير جَزائهِ ... رفيقين قالا خَيْمَتَىْ أمِّ مَعْبَدِ

هما نزلاها بالهُدَى فاهتدتْ بهِ ... فقد فاز من أَمسى رفيقَ محمَّدِ

فيا لِقُصَىٍّ ما زَوَى الله عنكمُ ... بهِ من فِعالٍ لا تجارَى وسُؤْدَدِ

لِيَهْنِ بنى كعبٍ مكانُ فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بِمَرْصَدِ

دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلَّبَتْ ... له بصَريح ضَرَّةِ الشاة مُزْبِدِ

فغادرها رَهْنا لديها لحالبٍ ... يرِدِّدها فى مصدرٍ ثم موردِ

تفسير غريبه : البرزة : المسنة التى برزت ولم تنحدر لسنها ، وقال بعضهم : البرزة الجليلة الكريمة مسنة أو غيرها ، وكذلك البرز : الكامل المبرز فى الاوصاف الحسنة . مرملين : نفد زادهم . مسنتين : أصابتهم السنة أى الجدب . وروى مشتين دخلوا فى الشتاء ، وحينئذ يقل الطعام عند العرب . كسر الخيمة : جانبها . تفاجت : فتحت ما بين رجليها وتفجحت . ويربض الرهط : يرويهم حتى يثقلوا فيركضوا . والرهط : الى العشرة . ثجا : سيلانا قويا . والبهاء : وميض الرغوة . وأراضوا :

ولما أتوا إلى موضع يسمّى العَرْج [على نحو ثمانين ميلا من المدينة] وقف بهم بعض ظَهْرهم [إبلهم] فألفوا رجلا من أسلم يقال له أَوس بن حَجر ، فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل له ، وبعث معه غلاما له يُقال له مسعود بن هُنَيْدة ليردّه إليه من المدينة ، فاحتملوا (١) إلى بطن رِئْمٍ حتى نزلوا بقُباء ، وذلك يوم الإثنين ضحى - وقد قيل عند استواء الشمس - وذلك / لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل (*) .

٣٧

= من قولهم أراض الوادى اذا روى واستنقع الماء فيه • والشاء عازب : أى بعيدة عن المرعى • وابلج : مضىء الوجه . والنحلة : الدقة . والصعلة : انتفاخ الاضلاع . وقيل الدقة ، وقيل صغر الراس ، واختير فى هذه الكلمة فتح العين ، ذكره الهروى . والوسيم : القسيم الحسن الجميل . والدعج : سواد العين والغطف بالمعجمة طول الأشفار ولم يعرفه الرياشي بغير المعجمة . وفى رواية : وفى اشفاره وطف أى طول ايضا . والصحل : بحة لطيفة مليحة تنكسر بها حدة الصوت • وسما : علا برأسه أو بيده . لانزر ولا هدر [هكذا بالدال وفى الاستيعاب بالذال ، والهذر : الكلام فيه فضول] لا قليل جدا ولاكثير جدا ، بل وسط . ومحشود : تنحشد اليه الناس ويألفونه . محفود : مخدوم [قالا : نزلا وقت القيلولة . زوى : صرف] والضريح : الخالص . والضرة : لحمة الضرع ، وقال الهروى : أصل الضرع . والله أعلم . [وقد روى الشطر الاخير فى الابيات هكذا : تدر لها فى مصدر ثم مورد . وتابع المعلق الاستيعاب فى روايته] .

وفى هذا الحديث من الفقه : أنه لايسوغ التصرف فى ملك الغير ولو لاصلاحه وتنميته الا باذن صاحبه . ولهذا استأذنها (الرسول) فى اصلاح شأنها • وفيه لطيفة عجيبة ، وهى أن اللبن المحتلب من الشاة المذكورة لابد ان يفرض مملوكا . والملك ههنا دائر بين صاحبة الشاة وبين النبى صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قسم اللبن . واشبه شىء بذلك المساقاة ، فانها تكرمة للاصل واصلاح بحر (بخالص) من الثمرة ، وكذلك فعل النبى صلى الله عليه وسلم كرم الشاة وأصلحها بحر من اللبن • ويحتمل أن يقال ان اللبن مملوك للنبى صلى الله عليه وسلم ، وسقاها تفضلا لأنه ببركته كان ، وعن دعائه وجد • والفقه الأول أدق والطف • وفى الشعر لطيفة عجيبة ، وهى قوله : رفيقين ، وكانوا ثلاثة ، ولكنه أسقط ذكر الدليل ، لانه كان كافرا لم يدخل فى الدعوة . والله أعلم . وقيل ان شاة أم معبد هذه استمرت بهذه الصفة ، واستقرت فيها البركة . سئل بعض الصحابة فقيل له : ترى آستمرت شاة أم معبد على هذا ؟ فقال : نعم انا رأيتها تأدم أم معبد والصرم (الحى) الذى هى فيه بجملتهم . والله أعلم •

[وانظر فى هذا الحديث ابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٥٥]

(١) احتملوا : رحلوا

* وقد قيل غير ذلك على ما ذكر ابن عبد البر فى صدر كتاب الصحابة (انظر الاستيعاب ص ١٣) .

وأول منْ رآه رجل من اليهود ، وكان أكثر أهل المدينة قد خرجوا ينظرون إليه ، فلما ارتفع النهار وقَلِصَت الظِّلال واشتد الحر يئسوا منه فانصرفوا . ورآه رجل من اليهود وكان فى نَخْلٍ[1] له فصاح بأعلى صوته : يا بنى[2] قَيْلَة هذا جَدُّكم قد جاء - يعنى حظكم - فخرجوا وتلقوه ودخل معهم المدينة . فقيل إنه نزل على سعْد بن خَيْثَمة ، وقيل إنه نزل على كلثوم بن الهِدْم ، ونزل أبو بكر على خُبَيْب بن إساف وقيل : بل نزل على خارجة بن زيد بن أبى زهير وكلاهما من بنى الحارث بن الخزرج . وكان فيمن خرج لينظر إليه قوم من اليهود وكان فيهم عبد الله بن سلام ، قال عبد الله بن سلام : فلما نظرت إليه علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول ما سمعت منه : أيها الناس أفْشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلوا الأرْحام ، وَصلُّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

وأقام علىٌّ بمكة رضى الله عنه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدَّى ودائع كانت عنده صلَّى الله عليه وسلم أمره بأدائها إلى أهلها ثم يلحق به ، ففعل علىٌّ ذلك . ثم لحق بالمدينة ، فنزل مع النبى صلى / الله عليه وسلم بقُباء . فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما[3] ، وأسس مسجدها[4] وهو أول مسجد أُسِّس على التقوى (*) .

٣٧ ظ

---

(١) ذكر بعض أصحاب السير أنه كان على سطح اطمه (حصنه) .

(٢) بنو قيله : هم الاوس والخزرج

(٣) اختلف الرواة فى عدد الأيام التى أقامها الرسول فى قباء حيث لحق به على فقيل أربعة وقيل أربعة عشر ، وقيل اثنان وعشرون .

(٤) مسجدها : أى مسجد قباء .

* قال الله سبحانه وتعالى (من أول يوم) [يشير الى الآية الكريمة : لمسجد اسس على التقوى من اول يوم أحق ان تقوم فيه] . قال السهيلى : [الروض الانف ٢/١١] : فيه تعريض بأن التاريخ المختص بهذه الأمة يكون مبدؤه الهجرة ، وفيه أيضا تصويب لذلك لانه تعالى قال : (من اول يوم) ولا يريد سائر الأيام . وليس فى الآية مايعين يوما مخصوصا، فلم يبق الا صرفه لما وقع بعد ذلك ، كانه قال : من أول يوم من التاريخ . قلت : وهذا عندى تكلف وتعسف وخروج عن تقدير الائمة المتقدمين ، فانهم قدروه: من تأسيس أول يوم ، فكأنه قال : من أول يوم وقع التأسيس فيه . وهذا تقدير تقتضيه العربية وتشهد له الآية ، ويحققه استعمال هذا الكلام فيما ليس مبدأ للتاريخ مثل أن تقول : عمر بن عبد العزيز خليفه صالح من أول يوم أى من أول يوم خلافته ، وهلم جرا الى أمثال ذلك .

ثم خرج منها راكبا ناقته، متوجها حيث أمره الله ، فأدركته الجمعة فى بنى سالم [بن عوف] فصلَّاها فى بطن الوادى (١) ، فخرج إليه رجال من بنى سالم ، منهم العباس بن عُبادة وعِتْبان ابن مالك ، فسألوه أن ينزل عندهم ويقيم ، فقال : خَلُّوا الناقة (٢) فإنها مأمورة . ونهض الأنصار حوله حتى أتى [دور] بنى بياضة ، فتلقاه زياد بن لَبيد وفَرْوة بن عمرو فى رجال منهم / فدعوه إلى النزول والبقاء عندهم ، فقال عليه السلام : دعوا الناقة فإنها مأمورة . ومضى حتى أتى [دور] بنى ساعدة ، فتلقاه سعد بن عُبادة والمنذر بن عمرو ورجال من بنى ساعدة ، فدعوه إلى النزول والبقاء عندهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : دَعوا الناقة فإنها مأمورة . ومضى حتى أتى دور بنى الحارث ابن الخزرج ، فتلقاه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رَواحة ، فدعوه صلى الله عليه وسلم إلى البقاء عندهم ، فقال : دَعوا الناقة فإنها مأمورة . ومضى صلى الله عليه وسلم حتى أتى دور [بنى] عدى بن النجار وهم أخوال عبد المطلب ، فتلقَّاه سَلِيط بن قيس وأبو سليط يُسَيْرَة (٣) بن أبى خارجة ورجال من بنى عدى بن النجار ، فدعوه إلى النزول عندهم والبقاء ، فقال : دعوها إنها مأمورة .

٣٨

ومضى صلى الله عليه وسلم حتى أتى دور بنى مالك بن النجار ، فبركت الناقة فى موضع مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مِرْبد تَمْرٍ لغلامين يتيمين من بنى مالك بن النجار وهما : سهل وسهيل ، كانا فى حِجْر معاذ بن عفْراء ، وكان فيه وحواليه نَخْلٌ وخِرَبٌ وقبور للمشركين ، فبركت الناقة ، فبقى عليه السلام على ظهرها لم ينزل ، فقامت ومشت قليلا وهو لا يهيجها ثم التفتت [خَلْفها] فكرَّت إلى مكانها وبركتْ فيه واستقرَّت ، فنزل عنها / صلى الله عليه [وسلم] (*) .

٣٨

---

(١) وادى بنى سالم ، وقيل انه صلى فى وادى رانوناء . انظر ابن هشام ١٣٩/٢
(٢) وكان عليه السلام راكبا ناقته .
(٣) فى بعض الروايات : اسيرة .

* قلت : الحكمه البالغة من الله عزوجل فى احالة الامر على الناقة ان يكون تخصيصه عليه السلام لمن خصه الله بالنزول عنده آية ومعجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ولايحيك ذلك فى صدر أحد منهم شيئا . والله أعلم .

وقد قِيل إن جبَّار بن صخْر من بنى سَلِمة ، وكان من صالحى المسلمين ، جعل ينخسها منافسة على بنى النجار فى نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهم ، فانتهره أَبو أَيوب على ذلك وأَوعده . فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ناقته أَخذ أَبو أَيوب رَحْله ، فحمله إِلى داره . ونزل صلى الله عليه وسلم دار أَبى أَيوب فى بيت منها : عُلِّيَّته[1] مسكن أَبى أَيوب . وكان أَبو أَيوب قد أَراد أَن ينزل له عن ذلك المسكن ويُسْكنه فيه ، فأَبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما كان بعد أَيام سقط شيء من ماء أَو غبار على رأْس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك البيت ، فنزل أَبو أَيوب وأَقسم على رسول الله وأَبدى الرغبة له ليطلعن إِلى منزله ويهبط أَبو أَيوب عنه . ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكنا عند أَبى أَيوب حتى بنى مسجده[2] ، وحُجَره ومنازل / أَزواجه . ثم انتقل عنه إِلى ما بنى فى ذلك المِرْبَد . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأَل عنه فقيل هو لغلامين ، فأَراد شراءه ، فأَبت بنو النجار من بيعه ، وبذلوه لله ، وعاوضوا اليتيمين بما هو أَفضل . وقد رُوِىَ أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبى أَن يأْخذه إِلا بثمن ، والله أَعلم (*) .

٢ و

---

(١) واضح من السياق ان الرسول لما نزل فى بيت ابى أيوب نزل فى السفل وبقى ابوايوب مع زوجه فى العلو . حتى اذا سقط الماء أو الغبار على الرسول فزع أبو أيوب وظل يتوسل اليه أن ينزل مع زوجه الى السفل ويصعد الرسول مع أهله الى العلو حتى أجابه .

(٢) ويقال انه مكث فى دار ابى أيوب سبعة أشهر .

* قلت : فيه ما يدل على جواز بيع عقار اليتيم وان لم يكن محتاجا للنفقة ، اذا كان فى البيع مصلحة ، اما للتعويض بما هو اولى واما ان تدعو حاجة المسلمين الى ذلك لبناء مسجد أو سور ونحوه . فتأمله . ونبش قبور المشركين وتعويض الأرض عنهم بتعبدات المسلمين وبركاتهم أصل فى جعل الكنائس المفتتحة مساجد وجوامع . وهى سنة المسلمين فيما يفتحونه من البلاد . وفيه دليل على طهارة المقابر الدوائر . والله أعلم .

[بناءُ[1] مسجد رسول الله]

فَبَنَى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده ، وجعل عِضَادتيه[2] الحجارة وسواريه[3] جذوع النَّخْل وسقْفه جَرِيدها بعد أن نبش قبور المشركين وسوَّاها وسَوَّى الخِرَب وقطع النخل . وعمل فيه المسلمون حِسْبَةً .

ومات أَبو أُمامة أَسعد بن زُرارة فى الأَيام التى كان / رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى [فيها] مسجده وبيوته[4] ، فوجد[5] عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا ، وقد كان كواه من ذُبْحة نزلت به ، وكان نقيبا فى بنى النجار ، فلم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده عليهم نقيبا[6] .

٣٩ ظ

---

(١) انظر فى بناءهذاالمسجد ابن‌هشام ٢/ ١٤٠ وابن سعد ج١ق٢ص١ وصحيح البخارى ٨٩/١ ومابعدها والطبرى٢/٣٩٤ وابن سيد الناس ١/١٩٥ وابن كثير٣/٢١٤والنويرى١٦/٣٤٤ وقد ظل الرسول فى بنائه من حين نزوله بالمدينة حتى شهر صفر من السنة الثانية للهجرة وبنى معه منازله ، وكانت مادة البناء اللبن . ووسعه عمر ، وبناه عثمان بالحجارة ، وتأنق الوليد ابن عبد الملك فى بنائه بالفسيفساء والرخام على ماهو معروف مشهور .

(٢) عضادة الباب : جانب عتبته المنصوب عن يمين الداخل وشماله .

(٣) سوارى المسجد : اعمدته .

(٤) انظر فى بيوت الرسول الروض الانف ٢/ ١٣ .

(٥) وجد : حزن .

(٦) ويقال ان الرسول قال لبنى النجار بعد وفاة أسعد : انا نقيبكم فكانت من مفاخرهم .

مؤاخاة رسول الله[1] صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم أجمعين

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بنائه المسجد بين الأنصار والمهاجرين . وقد قيل إن المؤاخاة كانت ، والمسجد يُبْنَى ، بين المهاجرين والأنصار على المواساة والحق ، فكانوا يتوارثون بذلك دون القرابات حتى نزلت[2] : (وأُولُو الأَرْحام بعضُهم أولى ببعض فى كتاب الله) .

روى أبو داود الطيالسى عن سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس ، قال :

آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه : المهاجرين والأنصار ، وورث بعضهم من بعض ، حتى نزلت : (وأُولو الأَرحام بعضهم أولى ببعض) .

وذكر سعيد بن داود ، قال : بلغنا وكتبنا عن شيوخنا أنه صلى الله عليه وسلم :

آخى يومئذ بين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أبي زهير وبين عمر بن الخطاب وعويمر[3] بن ساعدة ، قال : ويقال بين عمر بن الخطاب ومعاذ بن عفراء . قال : وقيل

(١) انظر فى هذه المؤاخاة ابن هشام ٢/. ١٥ والمحبر لابن حبيب ص ٧١ وابن سعد ج ١ ق ٢ ص ١ والبخارى ٥/٣١ ، ٦٩ وابن سيد الناس ١/١٩٩ وابن كثير ٣/٢٢٦ والنويرى ١٦/٣٤٧

والمشهور أن هذه المؤاخاة كانت بعد قدوم الرسول الى المدينة بخمسه أشهر ، وكانوا تسعين رجلا : خمسة واربعين من المهاجرين وخمسة واربعين من الانصار ، ويقال كانوا مائة : خمسين من المهاجرين وخمسين من الانصار . وواضح من السياق أن هذه المؤاخاة كانت على الحق والمواساة والتوارث وسيذكر ابن عبد البر مؤاخاة تسبقها بين المهاجرين بعضهم وبعض وكانت على الحق والمواساة فقط دون التوارث .

(٢) واضح أن الآية نسخت ما فرضته هذه المؤاخاة من التوارث ، اما ماوراءها من الحق والمواساة فقد ظلا قائمين

(٣) فى ابن هشام : ان الرسول انما آخى بين عويمر بن ساعدة وحاطب بن أبى بلتعة

أيضا بين عمر وعِتبان[1] بن مالك ، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت ، وبين على ابن أبي طالب / وسهل[2] بن حنيف ، وبين زيد بن حارثة وأُسيد[3] بن الحُضَيْر ، وبين أبي مَرْثد الغنوى وعبادة بن الصامت ، وبين الزبير وكعب[4] بن مالك ، وبين طلحة وأُبي[5] بن كعب ، وبين سعد [بن أبي وقاص] وسعد بن معاذ ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وبين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت ، وبين أبي حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر ، وبين عتبة بن غَزْوان وأبي دُجانة ، وبين مصعب بن عُمَير وأبي أيوب ، وبين ابن مسعود ومعاذ[6] بن جبل ، وبين أبي سَلمة بن عبد الأسد وسعد بن خَيْثَمَة ، وبين عمار وحذيفة [ابن اليمان] ، وبين أبي عبيدة ومحمد[7] بن مسلمة ، وبين عثمان بن مظعون وأبي الهيثم بن التَّيهان ، وبين سلمان [الفارسى] وأبي الدرداء .

قال الحافظ أبو عمر رضى الله عنه :

ذكر هذا سُنَيْد ، ولم يسنده إلى أحد ، إلا أنه بلغه[8] . والصحيح عند أهل السير والعلم بالآثار والخبر فى المؤاخاة التى عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فى حين قدومه إلى المدينة أنه : آخى بين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أبي زُهَيْر ، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك ، وبين عثمان بن عَفّان وأوس بن ثابت

(١) هو قول ابن هشام ، وعتبان وخارجة بن زيد خزرجيان ، وكذلك اكثر هؤلاء المتآخين الأنصار من الخزرج

(٢) فى ابن هشام ان الرسول آخى بين علىّ ونفسه ، وسيعنى ابن عبد البر عما قليل برواية الأخبار الواردة فى ذلك .

(٣) فى ابن هشام أن الرسول آخى بين زيد بن حارثة وحمزة بن عبد المطلب عمه . وتلك كانت مؤاخاة قديمة بينهما قبل الهجرة ، وسيذكرها ابن عبد البر فى آخر هذا الفصل .

(٤) فى ابن هشام أن الرسول آخى بين الزبير وسلمة بن سلامة بن وقش ، وسنرى ابن عبد البر يأخذ بهذه الرواية .

(٥) فى ابن هشام : بين طلحة وكعب بن مالك . وسيأخذ ابن عبد البر بهذه الرواية

(٦) فى ابن هشام : بين جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل .

(٧) فى ابن هشام : بين أبى عبيدة وسعد بن معاذ . وبذلك أخذ ابن عبد البر

(٨) واضح أن ابن عبد البر يضعف رواية سنيد . على أنه آخذ ببعض روايته .

٤٠

٤٠ ظ ابن المنذر أخي[1] حسان بن ثابت . وآخى بين على بن أبي طالب / وبين نفسه صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أنت أخي فى الدنيا والآخرة .

حدثنا سعيد بن نصر ، قال : أنبأنا قاسم بن أصْبغ ، قال : أنبأنا محمد بن وضاح ، قال : حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ، قال : أنبأنا عبد الله بن نمير ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس :

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلى : أنت أخي وصاحبي (*) .

أخبرنا محمد بن إبراهيم ، قال : أخبرنا محمد بن معاوية ، قال : أخبرنا أحمد بن شعيب ، قال : أخبرنا محمد بن يحيي بن عبد الله النيسابورى ، وأحمد بن عثمان بن حكيم ، قالا : حدثنا عمرو بن طلحة ، قال : أنبأنا أسباط ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس :

أن عليا كان يقول : والله إني لأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووليُّه .

حدثنا سعيد ، قال : حدثنا قاسم ، قال : أخبرنا ابن وضاح ، قال : أخبرنا أبو بكر ، قال : أنبأنا عبد الله بن نمير ، عن العلاء بن صالح ، عن المنهال ، عن عباد بن عبد الله ، قال :

٤١ و سمعت عليا / يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، ولا يقولها بعدى إلا كذَّاب مُفْتَرٍ .

وحدثنا سعيد ، قال : أنبأنا قاسم ، قال : أنبأنا محمد ، قال : أنبأنا أبو بكر ، قال : أنبأنا عبد الله بن نمير ، عن الحارث بن حضيرة ، قال : حدثنى أبو سليمان الجُهَنى يعنى زيد ابن وهب ، قال :

سمعت عليا يقول على المنبر : أنا عبد الله وأخو رسوله لم يقلها أحد قبلى ، ولا يقولها أحد بعدى إلا كذاب مفتر .

---

(١) فى الأصل : أخا

* قلت : ولا يلزم سنيدا احتجاج أبى عمر ، لأن المؤاخاة المتقدمة نسخت بآية المواريث وغيرها وهذه اخوة موثقة عامة بالاسلام وخاصة بأسباب غير المؤاخاة الاولى .. وقد (اخاه) عليه السلام ، ولكن آخوة الاسلام ، وأبو بكر أيضا أخو رسول الله بهذا الاعتبار .

[واضح من هذا التعليق ان صاحبه ينفى أخوة على للرسول فى تلك المؤاخاة التى عقدها بين المهاجرين والانصار ، حتى لا يتعلق الشيعة بمثل هذا الخبر فى تفضيل على على أبى بكر . وفى بعض الأخبار أن مؤاخاة الرسول لعلى كانت فى المؤاخاة الأولى بين المهاجرين بعضهم وبعض قبل هجرتهم . انظر ابن سيد الناس ١/٢٠٠]

وآخى بين جعفر بن أبي طالب وهو بأرض[1] الحبشة ومعاذ بن جبل ، وبين عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع ، وبين الزبير وسلمة بن سلامة بن وقش ، وبين طلحة وكعب بن مالك ، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ ، وبين سعد ومحمد[2] بن مسلمة ، وبين سعيد بن زيد وأبىّ ابن كعب ، وبين مصعب بن عُمَيْر وأبي أيوب ، وبين عمار وحذيفة بن اليمان حليف بنى عبد الأشهل ، وقد قيل بين عمار[3] وثابت بن قيس ، وبين أبي حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر ، وبين أبي[4] ذرّ والمنذر بن عمرو ، وبين ابن مسعود وسهل بن حنيف ، وبين سلمان الفارسى وأبي الدَّرْداء ، وبين بلال وأبي رُوَيحة الخثعمى حليف الأنصار ، وبين حاطب بن أبي بَلْتعة وعُوَيْم بن ساعدة ، وبين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت ، وبين عبيدة[5] بن الحارث وعمير بن الحُمام ، وبين الطفيل بن الحارث أخيه وسفيان / بن بشر[6] بن زيد من بنى جشم ابن الحارث بن الخزرج ، وبين الحصين بن الحارث أخيهما وعبد الله بن جبير ، وبين عثمان ابن مظعون والعباس بن عبادة ، وبين عتبة بن غزوان ومعاذ بن ماعص ، وبين صفوان بن بيضاء ورافع بن المعلى ، وبين المقداد بن عمرو وعبد الله بن رَواحة ، وبين ذى الشمالين ويزيد بن الحارث من بنى حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، وبين أبي سلمة بن عبد الأسد وسعيد بن خيثمة ، وبين عمير بن أبي وقَّاص وخُبَيْب بن عدى ، وبين عبد الله بن مظعون وقُطْبة بن عامر بن حَديدة ، وبين شَمَّاس بن عثمان وحنظلة بن أبي عامر ، وبين الأرقم بن أبي الأرقم وطلحة بن زيد

٤١

---

(١) مر بنا ان المؤاخاة عند سنيد كانت بين ابن مسعود ومعاذ بن جبل ، وقد انكر الواقدى مؤاخاة جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل لغيبة جعفر بالحبشة . انظر ابن سيد الناس ١/٢٠١ .

(٢) عند ابن سنيد كما مر بنا ان المؤاخاة كانت بين سعد وسعد بن معاذ .

(٣) انظر فى ذلك ابن هشام نقلا عن ابن اسحق .

(٤) أنكر الواقدى هذه المؤاخاة لغيبة أبى ذر عن المدينة الى ما بعد غزوة الخندق وأثبت مكانها مؤاخاة طليب بن عمير والمنذر بن عمرو

(٥) ذكر ابن سيد الناس ١/٢٠١ ـ ٢٠٢ :أن ابن عبد البر انفرد بذكر المؤاخاة بين المهاجرين والانصار الباقين ما عدا المؤاخاة بين عتبة بن غزوان ومعاذ بن ماعص ، وبين أبى سلمة بن عبد الأسد وسعيد بن خيثمة ، وبين أبى مرثد الغنوى وعبادة بن الصامت

(٦) اختلف الرواة هل هو بشر أو بشير أو نسر . انظر الاستيعاب ص ٥٧٤ .

الأنصارى ، وبين زيد بن الخطاب ومعن بن عدى ، وبين عمرو بن سُراقة وسعيد[1] بن زيد من بنى عبد الأشهل ، وبين عاقل بن البُكير ومبشر بن عبد المنذر ، وبين عبد الله بن مخرمة وفروة بن عمرو البياضى ، وبين خُنَيْس بن حذافة والمنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحَة بن الجُلاح ، وبين أَبى سَبْرة بن أَبى رُهْم وعبادة بن الخشخاش[2] ، وبين مِسْطح بن أُثاثة وزيد ابن المزَيَّن[3] ، وبين أَبى مرثد الغنوى وعبادة بن الصامت ، وبين عكاشة بن مِحْصَن والمجذَّر ابن ذياد البلوىّ حليف الأَنصار ، وبين عامر / بن فُهَيْرة والحارث بن الصِّمَّة ، وبين مِهْجَع مولى عمر وسراقة بن عمرو بن عطية من بنى غَنْم بن مالك بن النجار .

٤ و

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين بعضهم[4] وبعض قبل الهجرة على الحق والمواساة أيضا ، فآخى بين أَبى بكر وعمر ، وبين حمزة وزيد بن حارثة ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين الزبير وعبد الله بن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث وبلال ؛ وبين مصعب بن عمير وسعد بن أَبى وقَّاص ، وبين أَبى عبيدة وسالم مولى أَبى حذيفة ، وبين سعيد ابن زيد وطلحة بن عبيد الله[5] . فلما نزل المدينة آخى بين المهاجرين والأَنصار على ما تقدم ذكرُنا له .

---

(١) فى الاصل : سعد ، وهو تحريف ، انظر الاستيعاب ص ٥٦٥ .

(٢) ضبطه الواقدى : الحسحاس بالحاء والسين المهملتين ، ويقال فيه عباد بن الخشخاش بدون هاء . انظر الاستيعاب ص ٤٢٥

(٣) هكذا ضبطه ابن عبد البر ، وضبطه بعض الرواة بكسر الميم وسكون الزاى وفتح الياء انظر ابن سيد الناس ٢٠٢/١

(٤) فى الأصل : آخى بين المهاجرين والأنصار وهو تحريف ينقضه الكلام التالى وما جاء فى نهاية الفقرة ، وقد احتفظ بها ابن سيد الناس فى ١٩٩/١ .

(٥) زاد ابن سيد الناس المؤاخاة بين الرسول وعلى بن أبى طالب .

(فرض[1] الزكاة)

ثم فرضت الزكاة ـ وأسلم عبد الله بن سلام وطائفة من اليهود .

[كفار[2] اليهود والمنافقون]

وكفر جمهور اليهود ، ونافق قوم من الأوس والخزرج ، فأظهروا الإسلام مداراة لقومهم من الأنصار وأبطنوا الكفر ، ففضحهم الله عَزَّ وجَلَّ بالقرآن .

وممن ذُكر منهم من بنى عمرو بن عوف أهل قُباء : الحارث[3] بن سُوَيْد بن الصامت منافق وكان أخوه خلَّاد بن سويد من فضلاءِ الأنصار وكان أخوهما الخُلَاس بن سويد ممن اتُّهم بالنفاق لنَزْغَةٍ نزغ بها ثم لم / يظهر بعدُ منه إلا النصح للمسلمين والخير والصلاح . ونَبْتَل[4] بن الحارث ، وبِجاد بن عثمان بن عامر ، وأبو حبيبة بن الأَزْعر وهو أحد الذين بنوا مسجد[5] الضِّرار ، وعباد بن حُنَيْف أخو سهل بن حنيف وكان أخواه سهل وعثمان من فضلاءِ الأنصار وصالحيهم . وجارية بن عامر ابن العَطَّاف ، وابناه : زيد ومجمِّع . وقد قيل إن مجمع بن جارية لم يصح عنه النفاق ، بل صحَّ عنه الإسلام وحَمْل القرآن ، وإنما ذُكر منهم لأن قومه الذين بنوا مسجد الضِّرار اتخذوه إماما فيه .

ومن بنى أُمية بن زيد : وَديعة بن ثابت وهو من أصحاب مسجد الضرار اتخذوه إماما ، وبشر بن زيد وأخوه رافع بن زيد .

42

---

(١) اختلف الرواة فى أول وقت فرضت فيه الزكاة ، ورأى الجمهور أنها فرضت عقب الهجرة وبعد ما تم من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وهو ظاهر قول ابن عبد البر ثم فرضت الزكاة.

(٢) انظر فى هؤلاء الكفار والمنافقين ابن هشام ٢/١٦٠ وما بعدها وابن حزم ص ٩٧ وابن سيد الناس ١/٢٠٨ والنويرى ١٦/٣٥١

(٣) انضم الى صفوف قريش فى يوم أحد وقتل المجذر بن ذياد البلوى ولحق بهم حتى اذا كان فتح مكة قتله الرسول بالمجذر قودا .

(٤) هو الذى كان يقول انما محمد أذن من حدثه شيئا صدقه وفيه نزلت الآية الكريمة (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن)

(٥) بنى هذا المسجد أثنا عشر رجلا عند منصرف رسول الله من غزوة تبوك وقد أمر الرسول باحراقه وهدمه . وفيهم وفيه نزل قوله تعالى : (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون) .

ومن النَّبيت من بنى حارثة : مِرْبَع بن قَيْظيّ ، وأخوه أوس[1] بن قَيْظى ، وحاطب بن أمية ابن رافع وكان ابنه يزيد بن حاطب من الفضلاء ، وقزمان حليف لهم قتل نفسه يوم أحد بعد أن أنكى فى المشركين[2] .

ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة : رجل ولا امرأة ، إلا أن الضحاك بن ثابت اتُّهم بشىء ، لم[3] يصح عليه .

ومن الخزرج من بنى النجار : رافع بن وَديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو[4] بن قيس .

ومن بنى جُشم بن الخزرج : الجدّ بن قيس .

ومن بنى عوف بن الخزرج : عبد[5] الله بن أُبىّ بن سَلول كان رئيس المنافقين وكهفا لهم يأوون إليه / وكان ابنه عبدالله بن عبد الله من صُلَحاءِ المسلمين وفضلائهم . ووديعة ، وسويد ، وداعس ومالك . وهولاء من القواقل . وقيس بن فهر ممن اتُّهم بالنفاق . والله أعلم .

٤ و

وكان قوم من اليهود نافقوا بعد أن أظهروا الإيمان بالله ورسوله واستبطنوا الكفر ، منهم : سعد ابن حُنَيف ، وزيد بن اللُّصَيْت[6] ، ورافع بن حريملة ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وكِنانة ابن صُوريا .

---

(١) هو الذى قال للرسول صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : ان بيوتنا عورة فأذن لنا فلنرجع اليها ، فأنزل الله فيه : (يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ...) الآية .

(٢) ذكر قزمان لرسول الله وهو ينكى فى الكفار فقال انه من أهل النار ، فعجب أصحابه من قوله ، وسرعان ماجاءهم نبأ قتله لنفسه .

(٣) فى الأصل : لا .

(٤) زاد ابن هشام فى ١٧٣/٢ وغيره من المصادر على هذه المجموعة قيس بن عمرو بن سهل .

(٥) هو الذى قال فى غزوة بنى المصطلق : (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) وفيه نزلت سورة المنافقين بأسرها .

(٦) هكذا : اللصيت بالتاء فى الأصل وفى ابن هشام وغيره من المراجع ، وضبطه ابن حجر فى الاصابة : اللصيب بالباء بدلا من التاء

[مغازى[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعوثه]

غزوة [2] وَدَّان

ويقال لها غزوة الأَبْواء

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم داعيا بالمدينة إلى الله ومعلما مما علَّمه الله باقى شهر ربيع الأول الشهر الذى قدم فيه المدينة وباقى العام كله إلى صفر من سنة اثنتين من الهجرة ، ثم خرج غازيا فى صفر المؤرخ ، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة ، حتى بلغ وَدَّان . فوادع [3] بنى ضمرة بن عبد مَناة [4] بن كِنانة ، وعقد [5] ذلك معه سيدهم مخْشِىّ بن عمرو . ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حَرْبا . وهى أول غزوة غزاها بنفسه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) كان عدد غزوات الرسول التى خرج فيها بنفسه غازيا سبعا وعشرين ، وقد قاتل بنفسه فى سبع منها هى : بدر واحد والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف . وبلغ عدد بعوثه أو سراياه سبعا وأربعين ،وقيل بل نحو من ستين . وفى اصطلاح الرواة وأصحاب السير أن الغزوة هى الحرب التى يحضرها الرسول بنفسه ، أما البعث أو السرية فانه يرسل فيهما طائفة من أصحابه . وأول آية نزلت فى الاذن بالقتال قوله تعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير) . ونزل بعدها: (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله) أى حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، وحتى يعبد الله ولا يعبد سواه ، فغزا الرسول وبعث البعوث والسرايا حتى دخل الناس فى دين الله افواجا .

(٢) انظر فى هذه الغزوة ابن هشام ٢/٢٤١ وابن سعد ج٢ق١ص٣ وتاريخ الطبرى ٢/٤٠٣ وابن حزم ص١٠٠ وابن سيد الناس ١/٢٢٤ وابن كثير ٣/٢٤١ والنويرى ١٧/٤ . وودان : قرية من نواحى الفرع على الطريق من المدينة الى مكة، ومثلها الأبواء .

(٣) وادع : صالح .

(٤) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل : مناف ، وهو تحريف

(٥) عقد : أى عقد المصالحة وكتبها ، وكانت على أن لايغزوه بنو ضمرة ولا يغزوهم ولا يكثروا عليه جمعا ولايعينوا عدوا

باب

/ بعث[1] حمزة وبعث عبيدة

٤٢ ظ

ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الأَبواء أَقام بالمدينة بقية صفر وربيع الأَول وصدرا من ربيع الآخر . وفى هذه المدة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأَنصار أَحد ، إلى سيف[2] البحر من ناحية العِيص[3] ، فلقى أَبا جهل فى ثلاثمائة[4] راكب من كفار أَهل مكة ، فحَجَز بينهم مَجْدِىّ بن عمرو الجُهَنى . وتوادع الفريقان على يديه ، فلم يكن بينهم قتال .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه المدة أَيضا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عبد مناف فى ستين راكبا من المهاجرين أَو ثمانين ليس فيهم من الأَنصار أَحد ، فنهض حتى بلغ أَحياء[5] وهى ماء بالحجاز بأَسفل ثَنِيَّة المرَة . فتلقَّى بها جمعا من قريش عليهم عكرمة بن أَبى جهل ، وقيل : كان عليهم مِكْرَز بن أَبى حفص . فلَم يكن بينهم قتال ، إلا أَن سعد بن أَبى وقَّاص وكان فى ذلك البعث رُمِىَ بسهم فكان أَول سهم رُمِىَ به فى سبيل الله . وفَرَّ من الكفار يومئذ إلى المسلمين المقداد بن عمرو وعقبة بن غَزْوان وكانا قديمى الإِسلام إلا أَنهما لم يجدا السبيل إلى اللحاق بالنبىِ عليه السلام إلى يومئذ .

---

(١) انظر فى البعثين ابن هشام ٢٤١/٢ ومابعدها والطبرى ٤٠٤/٢ وابن سعد ج٢ق١ص٢ وقد قدمهما على غزوة الابواء ، وانظر ايضا ابن حزم ص ١٠٠ وابن سيد الناس ٢٢٤/١ وابن كثير ٢٣٤/٣ وهو ممن قدمهما على غزوة الأبواء وكذلك صنع النويرى ٢/١٧ وقد قيل ان سرية حمزة كانت فى رمضان وتلتها سرية عبيدة فى شوال من السنة الأولى للهجرة .

(٢) سيف : ساحل .

(٣) العيص : موضع بساحل البحر فى ناحية ذى المروة .

(٤) كان أبو جهل فى قافلة لقريش من قوا فلها التجارية

(٥) هكذا فى ابن سعد وغيره من المراجع ، وفى الأصل : ابنى . وأحياء : ماء فى بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة .

واختلف أهل السير فى أى البعثين كان أول : أبعث حمزة / أو بعث عبيدة ، فقال ابن إسحق : أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول سَرِيَّة بعثها عبيدة بن الحارث . قال ابن إسحق : وبعض الناس يزعمون أن راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال المدائنى : أول سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب فى ربيع الأول من سنة اثنتين إلى سِيف البحر من أرض جهينة .

٤٤

(فرض صوم رمضان)

ثم فُرض صوم رمضان سنة إحدى[١] قبل صَرْف القبلة بعام .

غزوة[٢] بُوَاط

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ربيع الآخر[٣] إلى تمام[٤] عام من مقدمه المدينة ، واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون ، حتى بلغ بواط من ناحية رَضْوَى . ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حربا .

غزوة[٥] العُشَيْرَة

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقية ربيع الآخر وبعض جُمادى[٦] الأولى ثم

(١) المشهور ان فرض صوم رمضان كان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة، وان صرف قبلة الصلاة عن بيت المقدس الى الكعبة كان قبله بشهر أو بشهرين . وانظر الطبرى ٢/٤١٧ .

(٢) انظر فى هذه الغزوة ابن هشام ٢/٢٤٨ وابن سعد ج٢ق١ص٣ والطبرى٢/٤٠٥ ، ٤٠٧ وانساب الأشراف ١/١٣٥ وابن حزم ص ١٠٢ وابن سيد الناس ١/٢٢٦ وابن كثير ٣/٢٤٦ والسيرة الحلبية ٢/١٦٦ والنويرى ١٧/٤ . وبواط : من جبال جهينة قرب ينبع . وكان الرسول فى مائتين من أصحابه لطلب عير لقريش فيها أمية بن خلف .

(٣) فى ابن هشام وبعض المصادر : فى شهر ربيع الأول .

(٤) هكذا فى الاصل ، وكان ابن عبد البر يكون أدق لو لو قال : فى صدر السنة الثانية للهجرة ، لان الرسول ــ كما مر بنا ــ هاجر الى المدينة ونزل بها فى ربيع الاول .

(٥) انظر فى هذه الغزوة ابن هشام ٢/٢٤٨ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤ والطبرى ٢/٤٠٨ وأنساب الأشراف ١/١٣٥ وصحيح البخارى ٥/٧١ وابن حزم ص١٠٢ وابن سيد الناس ١/٢٢٦ وابن كثير ٣/٢٤٦ والنويرى ١٧/٥ والسيرة الحلبية ٢/١٦٧ . وقد خرج الرسول لهذه الغزوة فى مائة وخمسين ويقال فى مائتين من المهاجرين يعترض عيرا لقريش. ويروى انه كنى عليا فيها بأبى تراب ، وكان قد رآه نائما وعلق به بعض التراب .

(٦) فى ابن سعد أن هذه الغزوة كانت فى جمادى الآخرة وأنه حمل لواء رسول الله فيها حمزة بن عبد المطلب وانه كانت بسببها وقعة بدر الكبرى .

٤ ظ خرج غازيا / واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد . وأخذ على طريق إلى العشيرة ، فأقام هنالك بقية جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة . ووادع فيها بنى مُدْلِج . ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق حربا .

غزوة[1] بَدْر الأولى

ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من العُشَيْرة لم يقم بالمدينة إلا عشر ليال أو نحوها ، حتى أغار كُرْز[2] بن جابر الفِهْرِىّ على سرْح[3] المدينة . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له : سفَوان فى ناحية بدر . وفاته كرز ، فرجع إلى المدينة .

بعث[4] سعد بن أَبى وَقَّاص

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فى حين خروجه لطلب كرز بن جابر سعدَ بن أَبى وقَّاص فى ثمانية[5] رهط من المهاجرين ، فبلغ إلى الخَرَّار[6] . ثم رجع [إلى] المدينة ولم يلق حربا . وقيل[7] إنما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلب كرز بن جابر الفِهْرى .

---

(١) انظر فى هذه الغزوة ابن هشام ٢٥١/٢ وابن سعد ج٢ق١ص٤ والطبرى ٤٠٦/٢ وما بعدها وابن حزم ص ١٠٣ وابن سيد الناس ٢٢٧/١ وابن كثير ٢٤٧/٣ والنويرى ٥/١٧ والسيرة الحلبية ١٧٠/٢ . وبدر : بئر على أربع مراحل من المدينة . وقد سمت بعض المصادر هذه الغزوة باسم غزوة سفوان .

(٢) هو كرز بن جابر بن حسيل بن لاحب الفهرى القرشى . وقد اسلم بعد هذا الحادث وهاجر الى المدينة وحسن اسلامه واشترك فى بعض الحروب تحت لواء الرسول ، وقتل يوم فتح مكة سنة ثمان للهجرة قتله المشركون ، وكان فى خيل خالد بن الوليد . انظر الاستيعاب ص ٢٣٠ .

(٣) السرح : الابل والأغنام .

(٤) انظر فى هذا البعث ابن هشام ٢٥١/٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣ وابن حزم ص ١٠٣ وابن سيد الناس ٢٢٥/١ والنويرى ٣/١٧ . وقال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد بعث حمزة . ومن ثم جعله بعض أهل السير على رأس تسعة أشهر فى السنة الاولى للهجرة ، كما جعلوا بعث حمزة كما قدمنا فى رمضان . وقد جعله ابن عبد البر كما هو واضح فى جمادى الاولى من السنة الثانية للهجرة .

(٥) فى بعض المراجع : أنه كان فى عشرين رجلا من المهاجرين .

(٦) الخرار : من الأودية بين المدينة ومكة .

(٧) يشير ابن عبد البر الى اختلاف الرواة فى هذا البعث ، فقد قال بعضهم انه كان فى طلب كرز . وقال آخرون أنه كان فى طلب عير لقريش كانت تحمل بعض عروضهم ، ويقال ان الرسول عهد اليه ان لايجاوز الخرار .

بعث[1] عبد الله بن جحش

٤٥ و / ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب كُرْز بن جابر ، وتُعْرَف تلك الخرجة ببَدْر الأُولى ، أقام بالمدينة بقية جمادى الآخرة ورجبا . وبعث فى رجب عبد الله بن جحْش بن رِئاب ومعه ثمانية[2] رجال من المهاجرين ، وهم : أبو حذيفة بن عتبة ، وعُكاشة بن مِحْصن ، وعتبة بن غَزْوان ، وسُهَيل بن بيضاء الفِهْرِىّ ، وسعد بن أَبى وَقَّاص ، وعامر بن ربيعة[3] ، وواقد بن عبد الله التميمى[4] ، وخالد بن البُكَيْر الليثى[5] .

وكتب لعبد الله بن جحش كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه ، ولا يستكره أحدا من أصحابه ، وكان أميرهم . ففعل عبد الله بن جحش ما أمره به ، فلما فتح الكتاب وقرأه وجد فيه :

«إذا نظرت فى كتابى هذا فامْضِ حتى تنزل نَخْلة[6] بين مكة والطائف فترصَّدْ بها قريشا ، وتعلَّمْ لنا من أخبارهم » (*) .

---

(١) انظر فى هذا البعث ابن هشام ٢٥٢/٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٥ والطبرى ٤١٠/٢ وابن حزم ص ١٠٤ وابن سيد الناس ٢٢٧/١ وابن كثير ٢٤٨/٣ والنويرى ٦/١٧ .

(٢) فى بعض المراجع : فى اثنى عشر رجلا من المهاجرين .

(٣) هكذا فى ابن هشام وبقية المراجع ، وفى الأصل : أبى ربيعة .

(٤) هكذا فى ابن هشام وبقيه المراجع ، وفى الأصل : التيمى .

(٥) زاد ابن سعد على هؤلاء الثمانية المقداد بن عمرو .

(٦) نخلة : موضع على ليلة من مكة .

(*) قلت : فى هذا الحديث من الفقه جواز شهادة التقليد ، وهى مسألة خلاف بين العلماء : اذا قال له اشهد على بمافيه ولا تقرأه ، فقيل يصح ذلك ، وقيل لا . وظاهر هذا الحديث صحته . وفيه أيضا جواز تراخى القبول عن الايجاب . وفيه جواز العقد والتولية على الامر المجهول حين العقد بخلاف عقود المعاوضات كالاجارات ونحوها . ولو قال فى الاجارات : استأجرتك بكذا على أن تعمل لى بمقتضى ما فى هذا الكتاب ولا تقرأه الا بعد كذا لما جاز لان الغرر لا يحتمل فى المعاوضة . وفيه من السياسة كتمان ما يضر اعلانه قبل وقته . ويأخذ بهذا الادب كثير من الملوك فى كثير من الأحوال . وأخذ منه أصل حسن فى صحة الاجازة والمناولة واعتماد المجاز على ذلك وان لم يعرف ما الكتاب . قال السهيلى [الروض الأنف ٥٩/٢] : لكن شرطه على مقتضى هذا الحديث أن يستمر الكتاب بيد المجاز وأن لا يستعيده المجيز ، وهذا غير لازم . ومتى صح للمجاز أن النسخة على ما كانت عليه وقت الاجازة والمناولة لم تبدل ولم تغير اكتفى بذلك . وقرائن الاحوال فيه محكمة (لا) تلزم على سياق ما التزم السهيلى أن لايخرج الكتاب من يد المجاز الى أحد ابدا . وهذا العسف لايقول به غيره .

فلما قرأ الكتاب قال سمعا وطاعة . ثم أخبر أصحابه بذلك وأنه لا يستكره أحدا منهم وأنه ناهض لوجهه [مع] مَنْ طاوعه وأنه إن لم يطعه أحد مضى وحده ، فمن أحبَّ الشهادة فلينهضْ ومن كره الموت فليرجعْ . فقالوا : كلنا نرغب فيما ترغب ، وما منا أحد إلا وهو سامع مطيع لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ونهض ونهضوا معه ، فسلك على الحجاز . وشَرَد لسعد بن أبي وقاص وعتبة ابن غزوان جمل كانا يعتقبانه [1] ، فتخلَّفا فى طلبه . ونفَذ عبد الله بن جحش مع سائرهم لوجهه ، حتى نزل بنخلة . فمرَّتْ بهم عِيرٌ لقريش تحمل زَبِيبًا [2] / وتجارة فيها عمرو [بن] الحضرمى – واسم الحضرمى عبد الله بن عباد من الصَّدف والصدف بطن من حضرموت – وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان ، والحكم بن كَيْسان مولى بنى المغيرة . فتشاور المسلمون وقالوا : نحن فى آخر يوم من رجب الشهر الحرام ، فإن نحن قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام ، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم . ثم اتفقوا على لقائهم . فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحَضْرمى [بسهم] فقتله ، وأسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله . ثم قدموا بالعِير والأسيرين . وقال لهم عبد الله ابن جحش : اعْزِلوا مما غنمنا الخُمْسَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعلوا . فكان أول خُمْس [3] فى الإسلام ، ثم نزل القرآن : (واعلموا أنَّ ما غنمتم من شيء فأنَّ لله خُمُسَه) . فأقرَّ الله ورسوله فعل عبد الله بن جحش فى ذلك ، ورضيه وسنَّه للأُمة إلى يوم القيامة .

وهى أول غنيمة غُنِمَتْ فى الإسلام ، وأول أسيرين ، وعمرو بن الحضرمى أول قتيل . وأنكر رسول الله قتل عمرو بن الحضرمى فى الشهر الحرام ، فسُقِطَ فى أيدى القوم ، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ : (يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ وصَدٌّ عن سبيل الله

---

(١) يعتقبان البعير : يتناوبان ركوبه .

(٢) فى بعض الروايات : تحمل زبيبا وأدما وتجارة .

(٣) ويقال : بل وقف الرسول غنائم هذه السرية أو هذا البعث حتى رجع من بدر ، فقسمها مع غنائم بدر ، وأعطى كل قوم حقهم .

وكفرٌ به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا ومَنْ يرتدد منكم عن دينه فَيَمُتْ وهو كافر فأُولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأُولئك أصحابُ النار هم فيها خالدون) (*) .

وقَبِل رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداءَ فى الأَسيرين ، فأَما عثمان بن عبد الله فمات بمكة كافرا ، وأَما الحكم بن كَيْسان فأَسلم وأَقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد ببئر مَعُونة . ورجع سعد وعتبة إلى المدينة سالمين .

صرف(1) القِبْلة

وصُرِفَت القبلة عن البيت المقدس إلى الكعبة فى السنة الثانية على رأس ستة عشر شهرا وقيل سبعة عشر شهرا من مقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وذلك قبل بَدْرَ بشهرين (*) . ورُوى أَن أَول من صَلَّى إلى الكعبة حين صُرِفت القبلة عن البيت المقدس أَبو سعيد بن المعلَّى ، وذلك أَنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بتحويل القبلة ، فقام فصلى ركعتين إلى الكعبة .

---

* قلت : فى هذا الحديث (أى حديث الغزوة) دليل على تسويغ الاجتهاد فى زمنه عليه السلام ،فان عبد الله بن حجش أداه اجتهاده الى قسمة الغنيمة كما شاء وتخصيص الرسول صلى الله وسلم عليه وسلم بالخمس . فصوب الحق اجتهاده وأمضاه . فان قلت : كيف أنكر النبى صلى الله عليه وسلم قتلهم لمن قتلوه فى الشهر الحرام ثم نزل القرآن بتصويب فعلهم قلت : لم يصوب القرآن شيئا أنكره الرسول عليه السلام، ولكنه قرر أن القتال منكر كما أنكره الرسول عليه السلام ، ولكنه قرر أيضا أن فعل الجاهلية أشد نكرا ، لان فعلهم الكفر وقطع الطريق على الحجاج واثارة الفتنة ، فقطع الله احتجاجهم على المسلمين بأن الجاهلية أولى بالانكار وأجدر برد الاعذار . والله المستعان .

(1) انظر فى صرف القبلة ابن هشام ٢/٢٥٧ وابن سعد ج١ق٢ص٣ وصحيح مسلم بشرح النووى ٥/٩ وصحيح البخارى ١/٨٤ والطبرى ٢/٤١٥ وابن حزم ص ١٠٦ وابن سيد الناس ١/٢٣٠ وابن كثير ٣/٢٥٢ والنويرى ١٦/٣٩٧ .

* وقد ذكر ابو عمر الاختلاف فى الصلاة بمكة قبل الهجرة هل كانت الى الكعبة أو الى بيت المقدس ، والروايات بالوجهين فى كتاب التمهيد وفى كتاب الاستذكار . اهـ .

[وقد نقل ابن سيد الناس الروايات المذكورة عنه فى ذلك واختلافها فى أن الرسول كان أول ما صلى يستقبل الكعبة وهو لايزال بمكة ثم تحول عنها فى المدينة الى بيت المقدس ، وقيل انه تحول عنها وهو لا يزال بمكة ، وقيل بل كان يصلى فى مكة مستقبلا بيت المقدس حتى صرفه الله عنه فى المدينة الى الكعبة . واستحسن ابن عبد البر قول من قال انه كان بمكة يصلى مستقبل القبلتين معا بجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس . انظر ابن سيد الناس ١/٢٣٦]

غزوة[1] بدر الثانية

وهى أعظم المشاهد فضلا لمن شهدها

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد بَعْث عبد الله بن جَحْش باقى رجب وشعبان . ثم اتصل به فى رمضان أن عِيرًا لقريش عظيمة ، فيها أموال لهم كثيرة مقبلة من الشام إلى مكة معها ثلاثون[2] أو أربعون رجلا ، رئيسهم أبو سفيان بن حَرْب ، وفيهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزُّهرىّ . فنَدَب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى تلك العِير ، وأمر مَنْ كان ظهره[3] حاضرا بالخروج . ولم يحتفل صَلَّى الله عليه وسلم [فى الحشْد] لأنه أراد العِير ولم يعلم أنه يلقى حربا .

فاتصل بأبى سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج فى طلبهم ، فاستأجر ضَمْضم[4] ابن عمرو الغِفارى ، فبعثه إلى مكة مستصرخا لهم إلى نَصْر عِيرِهم . فنهض إلى مكة وهتف بها ، واستنفر . فخرج أكثر أهل مكة فى ذلك النفير ، ولم يتخلف من أشرافهم إلا أقلهم . وكان فيمن تخلَّف / من أشرافهم أبو لهب . ٤٧ ظ

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لثمان[5] خلون من رمضان ، واستعمل على المدينة عمرو[6] بن أُم مكتوم العامرى ليصلّى بالمسلمين . ثم ردّ أبا لُبابة من الرَّوْحاء[7] واستعمله على المدينة . ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير . ودفع الراية : الواحدة إلى على والثانية إلى رجل من الأنصار ، وكانتا سوداوين . وكانت راية الأنصار يومئذ مع سعد بن[8] معاذ . وكان مع

---

(١) انظر فى غزوة بدر الكبرى أو الثانية ابن هشام ٢/٢٥٧ والواقدى ص١١ وابن سعد ج٢ ق١ ص٦ وانساب الاشراف ١/١٣٥ والطبرى ٢/٤٢١ وصحيح البخارى ٥/٧٣ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١٢٤ وابن حزم ص ١٠٧ وابن سيد الناس ١/٢٤١ وابن كثير ٣/٢٥٦ والسيرة الحلبية ٢/١٨٩ والنويرى ١٧/١٠ .

(٢) فى بعض المصادر أنه كان مع أبى سفيان سبعون رجلا وان العير كانت تضم ألف بعير .

(٣) ظهره : بعيره .

(٤) احد أدلاء القوافل فى الجاهلية .

(٥) هكذا قال ابن هشام نقلا عن ابن اسحق ، وقال ابن سعد ان هذا الخروج كان لاثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان .

(٦) ويسمى أيضا عبد الله بن أم مكتوم .

(٧) الروحاء : موضع على نحو ثلاثين ميلا من المدينة

(٨) قال ابن سعد : كان لواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد بن معاذ .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعون بعيرا يعتقبونها(١) . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليّ ومرْثَد بن أبي مَرْثَد يعتقبون بعيرا . وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا . وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن ابن عوف يعتقبون بعيرا . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقة قيس بن أبي صعصعة من بنى النجار .

وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريق العقيق إلى ذى الحُلَيْفَةِ إلى ذات الجيش إلى فَجِّ الرَّوْحاء إلى مضيق الصفراء(٢) . فلما قرب من الصفراء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بَسْبَسَ بن عمرو الجُهَنى حليف بنى ساعدة وعدى بن أبي الزَّغْبَاء الجُهَنى حليف بنى النجار إلى بدر يتجسّسان أخبار أبي سفيان وعِيره . واستخبر النبى عليه السلام عن جبلى الصفراء هل لهما اسم يعرفان به / فأُخبر عنهما وعن سكانهما بأسماء كرهها : بنو النار ، وبنو حُراق : بطنان من غِفار . فتركهما على يساره ، وأخذ على يمينه .

٤٨ و

فلما خرج من ذلك الوادى وأتاه الخبر بخروج نفير قريش لِنَصْر العِير ، فأخبر أصحابه بذلك واستشارهم فيما يعملون ، فتكلم كثير من المهاجرين(٣) . فتمادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشورته وهو يريد ماتقول الأنصار . فبدر سعد بن معاذ ، وقال : يا رسول الله والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخُضْناه معك ، فسِرْ بنا يا رسول الله ، على بركة الله ، حيث شئت . فَسَرَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قولُه ، وقال : سِيروا وأَبْشِرُوا ، فإن الله عَزَّ وَجَل قد وعدنى إحْدى الطائفتين(٤)

---

(١) يعتقبونها كما مر فى غير هذا الموضع : يتناوبونها ، وكانوا حينئذ كل ثلاثة يتناوبون بعيرا . وقال ابن سعد كان معهما فرسان : فرس للمقداد وفرس لمرثد بن أبى مرثد وقال ابن اسحق : وفرس للزبير بن العوام .

(٢) الصفراء : واد فوق ينبع مما يلى المدينة بينه وبين بدر مرحله .

(٣) يروى أن أبا بكر قام يومئذ فقال وأحسن ، وكذلك عمر ، وقام المقداد فقال : يارسول الله امض لما أمر الله ، فنحن معك ، والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : (اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون .

(٤) الطائفتان هنا : العير وقريش .

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من بدر . وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رجال من أصحابه مستخبرا ، ثم انصرف . فلما أمسى بعث عليا والزبير وسعد بن أبي وقّاص فى نفر إلى بدر يلتمسون الخبر ، فأصابوا راوية [1] لقريش ، فيها أَسْلَمُ غلام بنى الحجاج السهميين وأبو يَسار عَرِيضٌ غلام بنى سعيد بن العاص بن أُمية . فأتوا بهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلّى ، فسألوهما : من أنتما ؟ فقالا : نحن سُقاة قريش . فكَرِهَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الخبر وكانوا يرجون أن يكونا من العِير لما فى العير من الغنيمة وقلة المئونة ولأن شوكة قريش شديدة . فجعلوا يضربونهما ، فإذا آلمهما الضرب قالا : نحن من عير أبى سفيان . فسلّم رسول الله / صلى الله عليه وسلم من صلاته ، وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما . ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبرانى أين قريش ؟ قالا : هم وراءَ هذا الكَثِيب . فسألهما : كم يَنْحُرون كل يوم من الإبل ؟ قالا : عشرا من الإبل يوما ، وتسعا يوما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة إلى الألف .

٤٨ ظ

وكان بَسبَس بن عمرو وعدى بن أبى الزَّغْباء اللذان بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخبرين قد وصلا إلى ماء بدر ، فأناخا بقرب الماء ، ثم استقيا فى شَنِّهما [2] ومجدىٌّ بن عمرو بقربهما لم يفطنا به ، فسمع بسبس وعدى جاريتين من جوارى الحى وإحداهما تقول للأُخرى : [أعطينى [3] دينى ، فقالت الأُخرى] إنما تأتى العير غدًا أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضيك . فصدَّقهما مجدى — وكان عَيْنا لأبى سفيان — ورجع بَسبس وعدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا .

ولما قرب أبو سفيان من بدر تقدم وحده ، حتى أتى ماء بدر ، فقال لمجدىّ : هل أحسست أحدا ؟ فقال : لا إلا راكبين أناخا إلى هذا التلّ ، واستقيا الماءَ ونهضا . فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعار بعيريهما ، ففتّه ، فإذا فيه النَّوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع

---

(١) الراوية : الابل التى تحمل الماء .

(٢) شنهما : قربتهما .

(٣) زيادة من ابن حزم للسياق .

سريعا حذرا فصرف العِير عن طريقها ، وأخذ طريق الساحل ، فنجا . وأوحى[1] إلى قريش يخبرهم بأنه قد / نَجَا هو والعِير ، فارْجِعوا . فأَبى أبو جهل ، وقال : والله لا نرجع حتى نرى ماءَ بدر ونقيم عليه ثلاثا ، فتهابنا العرب أبدا . ورجع الأَخْنس بن شَرِيق الثَّقَفى حليف بنى زُهْرة بجميع بنى زهرة ، فلم يشهد بدرا أَحدٌ منهم وكان الأَخنس مطاعا فيهم ، فقال لهم : إنما خرجتم تمنعون أموالكم وقد نجت . وكان قد نَفَر من جميع بطون قريش جماعة إلا عَدِى[2] ابن كعب فلم يكن نَفَر منهم أحد . فلم يحضر بدرا من المشركين عَدَوِىٌّ ولا زُهْرِىٌّ .

49

فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا إلى ماء بدر ، ومنع قريشا من السبق إليه مطر ـ أَنزله الله عليهم ـ عظيم . ولم يصب منه المسلمين إلا ماشَدَّ[3] لهم دَهَس (*) الوادى ، وأعانهم على السير . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة ، فأشار عليه الحُباب بن المنذر بن عمرو بن الجَموح بغير ذلك ، وقال لرسول الله : أرأيت هذا المنزل أمنزلٌ أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه أم هو الرَّأىُ والحربُ والمكيدة فقال عليه السلام : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . فقال : يا رسول الله إن هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بنا حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ، ونغوِّر ما وراءه من القُلُبِ[4] ، ثم نبنى عليه حَوْضا ، فنملؤه ماء فنشرب / ولا يشربون . فاستحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من رأيه وفعله . وبُنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَرِيش يكون فيه . ومشى رسول الله صلى الله عليه وسلم على مواضع الوَقْعة يعرض على أصحابه مصارع رءُوس الكفار من قريش مصرعا مصرعا ، يقول : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فما عَدَا واحد منهم مصرعه ذلك الذى حدَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما نزلت قريش فيما يليهم بعثوا عُمَيْر بن وهب الجُمَحى ، فحزَر لهم

49 ظ

(1) أوحى : بعث رسولا .
(2) هم عشيرة عمر بن الخطاب .
(3) فى ابن هشام وغيره : لبد .
* الدهس : ماليس برمل ولا تراب ولا طين أى انه المكان السهل .
(4) القلب : جمع قليب وهو البئر

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا منهم فارسان : المقداد والزبير . ثم انصرف . وأراد حكيم بن حزام وعتبة بن ربيعة قريشا على الرجوع وترك الحرب ، وراما بهم كل مرام ، فأبوا . وكان أبو جهل هو الذى أبى ذلك وساعدوه على رأيه .

وبدأت الحرب ، فخرج عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة يطلبون البراز ، فخرج إليهم عوْف ومعوِّذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة الأنصارى . فقالوا : لستم لنا بأكْفاء ، وأبوا إلا قومهم ، فخرج إليهم حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث وعلى بن أبى طالب . فقتل الله عتبة وشيبة والوليد وسَلِمَ حمزة وعبيدة وعلى ، إلا أن عبيدة ضربه عتبة فقطع رجله وارْتُثَّ[1] منها فمات بالصَّفراء . وعدَّل / رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ورجع إلى العَرِيش ومعه أبو بكر ، وسائر أصحابه بارزون للقتال ، إلا سعد بن[2] معاذ فى قوم من الأنصار فإنهم كانوا وقوفا على باب العريش يحمون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥٠ و

وكان أول قتيل قُتل من المسلمين مِهْجع[3] مولى عمر بن الخطاب أصابه سهم فقتله . وسمع عُمَيْر بن الحُمَام رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثُّ على القتال ويرغِّب فى الجهاد ويشوِّق إلى الجنة وفى يده تمرات يأْكلهن فقال : بَخٍ بَخٍ أما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء . ثم رَمى بالتمرات وقاتل حتى قُتل .

ثم منح الله عَزَّ وَجَلَّ المسلمين النَّصْر وهزَم المشركين . وانقطع يومئذ سيف عُكَّاشة بن مِحْصن ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جِذْلا من حَطَب ، وقال له : دونك هذا ، فصار فى يده سيفا لم يكد الناس يرون مثله أبيض كالمِلْح . فلم يزل عنده يقاتل به حتى قُتل فى الرِّدَّة ، رضى الله عنه .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلتْ من رمضان .

---

(١) ارتث : حمل من المعركة جريحا .

(٢) واضح أن سعد بن معاذ كان يومئذ من حرس الرسول فى العريش ، واذن فما سبق من أن لواء الأنصار كان معه فى تلك الغزوة يحتاج شيئا من التوقف . وربما حمله فى المسير لا فى الغزوة نفسها ، فقد كان فيها يحرس رسول الله قائما على العريش خشية ان يكر العدو عليه .

(٣) قال ابن سعد : كان أول من جرح من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب ، وكان أول قتيل قتل من الانصار حارثة بن سراقة ويقال عمير بن الحمام .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلى المشركين ، فسُحبوا إلى القليب ورُموا فيه وضُمّ(١) عليهم الترابُ ، ثم وقف عليهم فناداهم : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإنى قد وجدت / ما وعدنى ربى حقا . فقيل له : يا رسول الله تنادى أقواما أمواتا قد جيَّفوا ؟ فقال : ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون . ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الميت إذا دُفن وانصرف الناس عنه إنه ليسمع خَفْق نِعالهم إذا ولَّوا عنه مدبرين .

٥٠ ظ

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنفال (٢) عبد الله بن كعب بن عمرو الأنصارى . ثم انصرف . فلما نزل الصَّفراءَ قَسَم بها الغنائم كما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ . وضرب بها عُنُقَ النَّضْر ابن الحارث بن علقمة بن كَلَدة العَبْدرى ، وهو الذى جاءت(٣) ابنته قُتَيْلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشدته :

يا راكبًا إن الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ ... من صُبْح خامسةٍ وأنت موفَّقُ (٤)

أَبلغْ به مَيْتًا بأَن تحيَّةً ... ما إن تزال بها النجائب تَخْفق (٥)

منى إليه(٦) وعَبرةً مَسْفُوحةً ... جادتْ بواكفها وأُخرى تخنق (٧)

ظَلَّتْ سيوفُ بنى أَبيه تَنُوشُهُ ... لله أَرحامٌ هناك تشقَّقُ (٨)

/ أَمحمدٌ يا خير ضِنْءِ كريمةٍ ... من قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ (٩)

٥١ و

ما كان ضَرَّك لو مَنَنْتَ وربما ... مَنَّ الفَتى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ

والنَّضْرُ أَقربُ من قتلتَ قرابةً ... وأَحقهم إن كان عِتْقٌ يُعْتَقُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنى لو سمعت هذا قبل قتله لم أقتله (*) .

---

(١) فى ابن حزم : وطم عليهم التراب . (٢) الأنفال : الغنائم

(٣) المشهور أنها كتبت للرسول بهذه القصيدة حين جاءها نعى أبيها . وانظر الاستيعاب ص ٧٧٧ .

(٤) الأثيل : موضع قرب المدينه . (٥) النجائب : الابل الكريمة .

(٦) فى الأصل : اليك ، وهكذا : اليه فى المصادر الآخرى .

(٧) جادت : من الجود وهو المطر . وواكف الدمع : سائله .

(٨) تنوشه : تتناوله . (٩) الضنء : الاصل . مُعْرِق : كريم الاصل .

* وليس معناه الندم ، لأنه عليه السلام لا يقول ولا يفعل الا حقا ، لكن معناه لو شفعت عندى بهذا القول لقبلت شفاعتها . وفيه تنبيه على حق الشفاعة والضراعة ، ولاسيما الاستعطاف بالشعر ، فان مكارم الأخلاق تقتضى اجازة الشاعر وتبليغه قصده . والله أعلم .

ثم لما نزل عِرْق[1] الظُّبْيَة ضرب عُنُق عقبة بن أَبي مُعَيْط .

قال أَبو عمر :

رُوِيَ عن عُبادة بن الصَّامت قال :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، فلقوا العدو . فلما هزمهم الله اتبعتهم طائفة من المسلمين يقتلونهم ، وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستلوت طائفة على العسكر والنهب . فلما نفى الله العدوَّ ورجع / الذين طلبوهم قالوا لنا النَّفَل ، نحن طلبنا العدو ، وبنا نفاهم الله وهزمهم . وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أَنتم أَحق به منا ، بل هو لنا ، نحن أَحْدَقْنَا برسول الله صلى الله عليه وسلم لئلَّا ينال العدوُّ منه غِرَّة . وقال الذين استلوا [على] العسكر والنهب : ما أَنتم أَحق به منا ، هو لنا ، نحن حويناه واستلوينا عليه . فأَنزل الله عز وجل : (يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ والرَّسُولِ فاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُم وأَطِيعُوا اللهَ ورسُولَه إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) . فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فُواق بينهم .

قال أَبو عمر : قال أَهل العلم بلسان العرب : استلوا : أَطافوا وأَحاطوا ، يقال : الموت مستَلٍو على العباد . وقوله : فقسمه عن فواق يعنى عن سرعة . قالوا : والفواق : ما بين حلبتى الناقة ، يقال : انتظره فُواقَ ناقةٍ أى هذا المقدار . ويقولونها بالفتح والضم : فُواق ، فَوَاق .

وكان هذا قبل أَن ينزل : (واعلموا أَن ما غنمتم من شىءٍ فأَنَّ لله خُمُسَه ــ الآية) . وكان المعنى[2] عند العلماء : أَى إلى الله وإلى الرسول الحكم فيها والعمل بها بما يقرب من الله .

وذكر محمد بن إسحق ، قال : حدثنى عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أَصحابنا عن سليمان بن موسى أَبى الأَشدق ، عن مكحول ، عن أَبى أُمامة الباهلى ، قال : سأَلت عبادة بن الصامت / عن الأَنفال[3] ، فقال : فينا معشر أَصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النَّفْل وساءت فيه أَخلاقنا ، فنزعه الله من أَيدينا وجعله إلى الرسول . فقسَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بَواء ، يقول على السواءِ . فكان [فى] ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين .

(١) عرق الظبية : موضع قرب الروحاء .
(٢) المعنى : أى معنى آية : (يسألونك عن الانفال)
(٣) الانفال : أى سورة الانفال . وفى ذلك ما يدل على أن آية : (واعلموا انما غنمتم) لم تنزل عقب سرية عبد الله بن جحش كما قد يتبادر من رواية نزولها عقبها كما مر بنا ، وانما نزلت بعد غزوة بدر الكبرى .

تسمية مَن استشهد[1] ببدر من المسلمين (*)

عُبَيْدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وعُمَيْر بن أبى وقاص وكانت سِنُّه فيما ذكروا يوم قُتل ستة عشر أو سبعة عشر عاما ، وعُمَيْر بن الحُمام من بنى سَلِمة من الأنصار ، وسعد ابن خَيْثَمَة من بنى عمرو بن عوف من الأوس ، وذو الشِّمالين بن عبد عمرو بن نَضْلة الخزاعى حليف بنى زهرة وهو غير / ذى اليدين [2] ذاك سُلَمِىٌّ اسمه خِرْباق وهو صاحب حديث السهو[3] . ووَهِم فيه الزُّهرى على جلالة قدره ، لأنه بنى على أنه لقب واحد ، واعتمد أبو العباس المبرد[4] ذلك من كلام ابن شهاب فغلط ؛ ويحقق ذلك أن ذا اليدين روى حديثه أبو هريرة وكان إسلام أبى هريرة بعد قتل ذى الشمالين بسنين عدة .

52

ومبشر بن عبد المنذر الأنصارى من بنى عمرو بن عوف ، وعاقل بن البُكير الليثى حليف بنى عدى بن كعب ، ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وصفوان بن بيضاء الفِهْرى ، ويزيد بن الحارث الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج ، ورافع بن المعلَّى الأنصارى ، وحارثة ابن سراقة الأنصارى من بنى النجار ، وعوف ومعوِّذ ابنا عفراء .

الجميع أربعة عشر رجلا : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار : ستة من الأوس واثنان من الخزرج .

---

(1) انظر فى شهداء بدر ابن هشام ٣٦٤/٢ والواقدى ص ١٤١ وابن حزم ص ١٤٦ وابن سيد الناس ٢٨٤/١ وابن كثير ٣٢٧/٣ والنويرى ٤٤/١٧

* فائدة : هذه التسمية معرفة الحق لأهل الحق وفضيلة السبق لأهل السبق وحسن العهد وتجديد الذكر والمسارعة الى الدعاء لهم بالرضوان والغفران على اليقين .

(2) لقب بذى اليدين لطولهما ، بينما لقب ذو الشمالين بلقبه لأنه كان يعمل بيديه جميعا.

(3) حديث السهو المذكور هو ما روى عن خرباق من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر فسلم من ركعتين فقال له خرباق :أشككت أم قصرت الصلاة يا رسول الله ؟ فقال الرسول : ما شككت ولا قصرت الصلاة ، وقال :أصدق ذو اليدين ؟ قالوا نعم . فصلى الركعتين، ثم سلم ثم سجد سجدتين وهو جالس ، ثم سلم . انظر الاستيعاب ص ١٧١ ، ١٧٧

(4) ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب ص ١٧٨ خطأ المبرد فى جعله ذا الشمالين هو ذا اليدين وذلك فى كتابه الأذواء من اليمن فى الاسلام . وقد اعترض عليه فى آخرين جعلهم من الأذواء ، ولم يكونوا منهم

تسمية من[1] قتل ببدر من كفار قريش

وهم سبعون رجلا ، منهم :

حَنْظَلة بن أَبي سفيان [بن صخر] بن حرب قتله زيد بن حارثة ، وعبيدة بن سعيد بن العاص قتله الزبير ، وأخوه العاص بن سعيد بن العاص قتله على[2] ، وعتبة بن ربيعة قتله على ، وشيبة بن ربيعة قتله حمزة ، والوليد بن عتبة / بن ربيعة قتله عبيدة بن الحارث وقيل قتله على وقيل اشترك على وحمزة فى قتل عتبة والوليد وشيبة .

٥٣ و

وعقبة بن أَبي مُعَيْط قتله عاصم بن ثابت صَبْرًا ، وقيل : بل قتله علىّ صبرا بأَمر الرسول صلى الله عليه وسلم له بذلك ، والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف قتله علىّ[3] . وطُعَيْمَة ابن عدى بن نوفل قتله حمزة[4] ، وقيل : بل قُتل صبرا ، والأَول أَصح .

وزَمَعة بن الأَسود بن المطلب بن أَسد ، وابنه الحارث بن زمعة ، وأَخوه عقيل بن الأَسود ، وأَبو البَخْتَرِىّ العاص بن هشام بن الحارث بن أَسد ، ونوفل بن خويلد بن أَسد ، قتله علىّ ، وقيل قتله الزبير .

والنَّضْر بن الحارث قُتل صبرا بالصفراءِ ، وعمير بن عثمان عم طلحة بن عبيد الله بن عثمان ، وأَبو جهل بن هشام اشترك فى قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوِّذ بن عفراء ، وأَجهز عليه عبد الله بن مسعود وجدَ [ه] وبه رمقٌ فحزَّ رأسه ، وأَخوه العاص بن هشام قتله عمر بن الخطاب وهو خاله .

ومسعود بن أَبي أُمية المخزومى أَخو أُم سلمة ، وأَبو قيس بن الوليد بن المغيرة أَخو خالد بن الوليد ، وأَبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والسائب بن [أَبي] السائب المخزومى وقد قيل لم يُقْتَل السائب / يومئذ بل أَسلم بعد ذلك[5] .

٥٣ ظ

(١) انظر فى قتلى قريش ببدر ابن هشام ٢/٣٦٥ والواقدى ١٤٣ وابن حزم ص ١٤٧ وقد اكتفى بمشاهيرهم نقلا عن ابن عبد البر وصنع صنيعه ابن سيد الناس ١/٢٨٥ مصرحا بنقله لهم عن ابن عبد البر . وانظر النويرى ١٧/٤٤

(٢) وقيل : قتله عاصم بن ثابت .

(٣) وقيل : قتله خبيب بن اساف .

(٤) وقيل : قتله على .

(٥) فى ابن هشام ٢/٣٦٩ أنه أسلم فحسن اسلامه وأن الرسول أعطاه من غنائم حنين فيمن اعطى من المؤلفة قلوبهم .

ومنبِّه ونُبَيْه ابنا الحجاج بن عامر السَّهْمى ، والعاصى والحارث ابنا منبه بن الحجاج ، وأُمية بن خَلَف الْجُمحِىّ ، وابنه علىّ بن أُمية . وسائر السبعين قد ذكرهم ابن إِسحق وغيره .

تسمية مَنْ[1] أُسر ببدر من كفار قريش

وأُسر مالك بن عبيد الله أَخو طلحة فمات أَسيرا ، وأُسر حذيفة بن أَبى حذيفة بن المغيرة . وأُسر من بنى مخزوم وحلفائهم يوم بدر أَربعة وعشرون رجلا ، ومن بنى عبد شمس وحلفائهم اثنا عشر رجلا ، منهم عمرو بن أَبى سفيان [بن صخر] بن حرب ، والحارث بن أَبى وَجْزَة[2] ابن أَبى عمرو بن أُمية ، وأَبو العاص بن الربيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج ابنته زينب .

وأُسر من بنى هاشم يومئذ العباس بن عبد المطلب ، وعَقيل بن أَبى طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب . ومن بنى المطلب بن عبد مناف السائب بن [عبيد بن] عبد يزيد والنعمان بن عمرو .

وأُسِر من سائر قريش عَدِىّ بن الخِيار بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، وأَبو عَزيز بن عُمَيْر بن هاشم أَخو مصعب بن عمير ، والسائب بن أَبى حُبَيْش بن المطلب بن أَسد ، والحارث ابن عامر[3] بن عثمان بن أَسد ، وخالد بن هشام بن المغيرة المخزومى ، وصَيْفِىّ بن أَبى رفاعة المخزومى ، وأَخوه أَبو المنذر بن أَبى رفاعة ، والمطلب بن حَنْطب المخزومى . ومن / ولده الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب وكان جوادا جدا وتزهَّد فى آخر عمره ومات بمنبج وكان من خيار المسلمين ، وفيه قال الشاعر يرثيه :

٥٤

(١) انظر فى هؤلاء الأسرى ابن هشام ٣/٣ وابن حزم ص ١٤٩ وابن سيد الناس ٢٨٦/١ والنويرى ٥١/١٧

(٢) فى بعض المصادر : أبى وحرة بالحاء والراء

(٣) فى بعض المصادر : عائذ

سالوا عن الجود والمعروف ما فعلا فقلت إنهما ماتا مع الحكمِ (*)

[وأسر] خالد بن الأَعلم الخزاعى وقيل إنه عُقَيْلى حليف لهم [١] ، وهو القائل :

ولسنا على الأَعقاب تَدْمَى كُلومنا ولكن على أَقدامنا تقطر الدِّما

وهو أَول من فَرَّ يوم بدر فأُدْرك وأُسِر ، وعثمان بن عبد شمس بن جابر المازنى حليف لهم ، وهو ابن عم [٢] عتبة بن غزوان ، وأُمية بن أَبى حذيفة بن المغيرة ، والوليد [٣] بن الوليد أَخو خالد بن الوليد ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأَبو عطاء عبد الله بن أَبى السائب بن عابد [٤] المخزومى ، وأَبو وداعة بن صُبيْرة [٥] السَّهْمى وهو أَول أَسير فُدِى منهم .

وعبد الله بن أُبَىّ بن خَلف الجُمَحِىّ ، وأَخوه عمرو بن أُبَىّ ، وأَبو عَزَّة عمرو بن عبد الله ابن عثمان [٦] بن أُهَيْب بن حُذَافة بن جُمَح الْجُمحِىّ ، وسهيل بن عمرو العامرى / وعبد [٧] ابن زَمَعة بن قيس العامرى ، وعبد الله [٨] بن حُمَيْد بن زهير الأَسدى .

ظ

فهؤلاءِ مشاهير من قُتل ومشاهير من أُسِرَ . ولا يختلفون فى أَن القتلى يومئذ سبعون والأَسرى [٩] سبعون فى الجملة ، وقد يختلفون فى تفصيل ذلك .

---

* ويقال انه لما احتضر عالج شدة ، فقال قائل : اللهم هون عليه الموت بكرمه ، قال ابن عشيبه : فقال : من المتكلم ؟ فقال الرجل : انا ، يقول لك ملك الموت : انى بكل سخى رفيق ، ثم كأنما كان فتيلة طفئت كأسهل ما يرى . رحمه الله

(١) لهم : أى للمخزوميين .

(٢) فى ابن سيد الناس : عمه .

(٣) فى ابن سيد الناس : أبو قيس .

(٤) فى بعض المصادر : عائذ

(٥) هكذا فى المصادر المختلفة ، وفى الأصل صهيرة .

(٦) هكذا فى الأصل وابن هشام ومصادر مختلفة وفى ابن حزم : عمير

(٧) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب ومصادر عدة وفى الاصل : عبد الله

(٨) هكذا فى الأصل وابن هشام ومصادر مختلفة وفى ابن سيد الناس : عبيد الله وقال السهيلى : هذا هو المعروف فيه .

(٩) وقد ارتضى الصحابة فيهم ما ارتضاه الرسول من الفداء وكان من ألف درهم الى اربعة آلاف ، كل على قدر حاله ، قال ابن سعد : ومن لم يوجد عنده مال أعطى عشرة من غلمان المدينة فعلمهم الكتابة فاذا حذقوها فهو فداؤه وكان أهل مكة يكتبون واهل المدينة لا يكتبون .

قال أبو عمر :

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة بن أبي مُعيْط صبرا ، كما رواه حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب ، عن عامر الشعبي ، قال :

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة بن أبي مُعَيْط عدو الله قال : أتقتلني يا محمد من بين سائر قريش ؟ قال : نعم . ثم أقبل على أصحابه ، فقال : أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام ، فوضع رجله على عنقي وجعل يغمزها ، فما رفعها حتى ظننت أن عينيّ تندران [1] أو قال تسقطان ، ثم مرة أخرى [جاء] [2] بِسَلا شاة ، فألقاه على رأسي وأنا ساجدٌ خلف المقام ، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي .

تسمية من [3] شهد بدرا من المهاجرين

من بني هاشم بن عبد مناف : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمزة ، وعلي . ومن مواليهم زيد بن حارثة الكلبي ، وأنسة : حبشي ، وأبو كبشة : فارسي . ومن حلفائهم أبو مَرثد الغنوي حليف حمزة ، وابنه / مَرْثد بن أبي مرثد . ثمانية رجال : ثلاثة من أنفسهم ، وثلاثة من مواليهم ، واثنان من حلفائهم .

٥٥ و

ومن بني المطلب بن عبد مناف : عبيدة بن الحارث ، وأخواه الطُّفَيل والحصين ابنا الحارث ابن المطلب ، ومِسْطح بن أُثاثة . أربعة رجال .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان ، يُعَدُّ فيهم لأنه تَخَلَّف على رُقَيَّة [4] ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره ، فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه : قال له : وأجْرى [5] يا رسول الله ؟ قال : وأجرك . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، قيل اسمه عامر

---

(١) تندران : تسقطان .

(٢) زيادة للسياق

(٣) انظر فيمن شهد بدرا من المهاجرين ابن هشام ٢/٣٣٣ والواقدي ١٥١ والبخاري ٥/٨٧ وابن حزم ص ١١٤ وابن سيد الناس ١/٢٧٢ وابن كثير ٣/٣١٤ والنويري ١٧/٣٣ .

(٤) كانت رقية مريضة فظل يتعهدها حتى ماتت .

(٥) اجرى هنا : ثوابي .

وقيل اسمه قيس وقيل مهشّم ، وسالم مولاه وكان يُدْعَى يومئذ ابنه . ومن مواليهم صُبَيْح مولى سعيد بن العاص بن أُمية وقيل إن صبيحا تجهَّز للخروج إلى بدر فمرض فحمَل على بعيره أبا سلمة بن عبد الأسد ثم شهد صُبَيْح بعد ذلك سائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن حلفائهم عبد الله بن جَحْش الأسدى ، وعُكَّاشة بن مِحْصن الأسدى ، وأخواه : سنان بن محصن ، وأبو سنان بن محصن ، وابنه سنان بن أبى سنان ، وشجاع بن وهب الأسدى ، وأخوه عقبة بن وهب ، ويزيد بن[1] رُقَيْش بن رِئاب[2] الأسدى ، ومحرز بن نَضْلة الأسدى ، وربيعة بن أكثم بن سَخْبَرة[3] الأسدى .

ومن حلفاء / بنى أسد بن خزيمة : ثَقْف[4] بن عمرو[5] ، ومداج وقيل مدلاج بن عمرو[6] ، وأخوهما مالك بن عمرو من بنى سليم ، وأبو مخْشىّ سُوَيْد بن مَخْشى الطائى . ثمانية عشر أو سبعة عشر[7] رجلا : اثنان من أنفسهم ، واثنان من مواليهم ، وعشرة من حلفائهم من بنى أسد بن خُزيمة ، ومن حلفاء بنى أسد بن خزيمة أربعة . ومن بنى نوفل بن عبد مناف شهدها من حلفائهم – ولم يشهدها من أنفسهم أحد – عُتْبَة بن غَزْوان بن جابر بن وهب المازنى ، وخَبَّاب مولى عتبة بن غزوان وليس بخباب بن الأرتِّ : رجلان .

٥٥ ظ

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ : الزُّبَيْر بن العَوَّام ، وحاطب بن أبى بَلْتعة حليف لهم ، وسعد مولى حاطب . ثلاثة رجال ، اثنان منهم حليفان .

ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ : مُصْعب بن عُمَير ، وسُوَيْبط بن سعد بن حَرْملة . رجلان من أنفسهم .

---

(١) قال ابن عبد البر فى الاستيعاب :وقيل فيه أربد بن رقيش وليس بشىء .

(٢) هكذا فى ابن هشام وبعض المصادر ،وفى الاستيعاب : رباب ، وفى الأصل : ذياد وهو تحريف .

(٣) على هامش الأصل : سحيم ، وهو خطأ .

(٤) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب وغيرهما من المصادر ، وفى الأصل : ثقيف . وقال ابن عبد البر يقال فيه ثقاف

(٥) هكذا فى جميع المصادر وفى الأصل : مالك

(٦) فى الأصل : مالك .

(٧) أى بإخراج عثمان لأنه لم يشهد الموقعة.

ومن بنى زُهْرَة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أَبى وقَّاص ، وأَخوه عمير ابن أَبى وقَّاص . ثلاثة رجال . ومن حلفائهم المقداد بن عمرو البَهْرَائى يُعْرَفُ بالمقداد بن الأَسود لأَن الأَسود بن عبد يغوث الزُّهْرِى كان قد تبنَّاه قبل الإِسلام ، وعبد الله بن مسعود الهُذَلىّ حليف لهم ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو القَارِىّ من ولد الهُون بن خزيمة بن مدركة وهم القارة حلفاءُ بنى زهرة ، وذو الشِّمالين عُمَيْر بن عبد / عمرو بن نَضْلة الخُزاعى حليف لهم ، وخَبَّاب ابن الأَرتِّ حليف لهم يقال إنه خُزَاعى ويقال إنه تميمى وقد ذكرنا الاختلاف فى نسبه وولائه وحلْفه فى باب اسمه من كتاب[1] الصحابة . خمسة رجال[2] تتمة ثمانية .

٥٦ و

ومن بنى تيم بن مرَّة : أَبو بكر الصِّدِّيق ، وبلال بن رَباح مولاه ، وعامر بن فُهَيْرَة مولاه وكان من مولَّدى الأَزد ، وصُهَيْب بن سنان النَّمِرِىّ حليف عبد الله بن جُدْعان التَّيْمِىّ ، وطلحة ابن عبيد الله بن عثمان كان بالشام فى تجارة فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأَجره . فيُعَدّ لذلك فى أَهل بدر . خمسة رجال : اثنان من أَنفسهم[3] واثنان من مواليهم وواحد حليف لهم .

ومن بنى مخزوم بن يَقَظَة : أَبو سَلمة بن عبد الأَسد واسمه عبد الله ، وشَمَّاس بن عثمان ابن الشَّرِيد واسمه عثمان بن عثمان ، والأَرقم بن أَبى الأَرقم واسم أَبى الأَرقم عبد مناف ، وعمار بن ياسر العَنْسِىّ مولى لهم ، ومعتِّب بن عوف السَّلولىّ ثم الخزاعى حليف لهم . خمسة رجال : ثلاثة من أَنفسهم ، وواحد مولى لهم ، وواحد من حلفائهم .

ومن بنى عدى بن كعب : عمر بن الخطَّاب بن نُفَيْل ، وأَخوه زيد بن الخطاب ، وعمرو ابن سُرَاقة بن المعتمر ، وأَخوه عبد الله بن سراقة ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل كان غائبا بالشام فضرب له / رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأَجره فهو معدود فى البدريين ، ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب . ومن حلفائهم واقد بن عبد الله اليَرْبوعى التميمى ، وخَوْلىّ ومالك

٥٦ ظ

---

(١) انظر كتاب الاستيعاب ص ١٦٤ ويقال : لحقه سباء فى الجاهلية فاشترته امراة من خزاعة واعتقته .

(٢) أى من الحلفاء .

(٣) الثانى طلحة بن عبيد الله .

ابنا[1] أبي خَوْليّ من بني عِجْل بن لُجَيْم ، وعامر بن ربيعة[2] العَنْزِيّ ، وعامر وعاقل وخالد وإياس بنو البُكير بن عبد يالِيل الليثيون من بني سعد بن لَيْث . أربعة عشر رجلا : خمسة من أنفسهم ، وواحد من مواليهم ، وثمانية من حلفائهم .

ومن بني جُمَح : عثمان ، وقدامة ، وعبد الله بنو مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذَافة بن جُمح ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، ومعمر بن الحارث بن معمر بن حبيب . خمسة رجال .

ومن بني سَهْم بن هُصيص : خُنَيْس بن حذافة . رجل واحد .

ومن بني عامر بن لُؤيّ : أبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى ، وعبد الله بن مخرمة بن عبد العُزّى ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو خرج مع المشركين فلما التقى الجمعان فَرَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووهب[3] بن سعد بن أبي سرح ، وحاطب بن عمرو ، وعُمَير[4] بن عَوْف ، وسَعد بن خَوْلة حليف لهم من اليمن . سبعة رجال : خمسة من أنفسهم ، ومولى لهم ، وحليف .

ومن بني الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجَرَّاح واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، وسهيل بن وهب بن ربيعة ، وأخوه صَفْوان بن وهب وهما ابنا / بَيْضاء ، وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة ، [وعياض بن[5] زُهَيْر] . ستة رجال كلهم من أنفسهم . ٥٧ و

---

(١) ومن أهل السير من عد معهم هلال بن ابى خولى .

(٢) فى بعض المراجع : أبى ربيعة ، وهو تحريف .

(٣) قال ابن هشام ٣٤٢/٢ لم يذكره ابن اسحق فى البدريين وذكره غيره من أهل العلم بالخبر والسير .

(٤) فى ابن سيد الناس ٢٧٣/١ : عمرو أو عمير

(٥) زيادة من ابن سيد الناس يقتضيها السياق ، وقد قال : ذكره ابن عقبة وحكاه أبو عمر عن ابن اسحق من رواية ابراهيم بن سعد عنه وانظر الاستيعاب ص٥١٠ وفيه أنه عم عياض بن غنم .

فجميع من شهد بدرا من المهاجرين ستة[1] وثمانون رجلا ، كلهم شهدها بنفسه إلا ثلاثة رجال ، وهم : عثمان وطلحة وسعيد بن زيد ، ضَرَبَ لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهامهم وأجورهم ، فهم كمن شهدها إن شاء الله . ومنهم من صليبة قريش أحد وأربعون رجلا ، وسائرهم حلفاء لهم وموال . وجميعهم مهاجرى بدر رحمهم الله ورضى عنهم .

تسمية من[2] شهد بَدْرًا من الأَنصار

[ذكر من شهد بدرا من الأوس] .

شهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر [ثم[3] من بنى عبد الأشهل] : سعد بن معاذ الأشهلى ، وأخوه عمرو بن معاذ ، وابن أخيه الحارث بن أوس بن معاذ . ومن بنى عبد الأشهل أيضا : الحارث بن أَنَس بن رافع [وسعد[4] بن زيد بن مالك بن عبيد] وسلمة بن سلامة بن وَقْش ، وعباد بن بشر بن وَقْش ، وسلمة بن ثابت بن وَقْش ، ورافع ابن يزيد بن كُرْز من بنى زَعُورا[5] بن عبد الأشهل . ومن حلفائهم الحارث بن خَزَمة بن عدى

---

(١) وقد اضاف ابن سيد الناس ثمانية رجع فيهم الى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر ، وهم وهب بن أبى سرح الفهرى أخو عمرو ، وقال ابن سيد الناس : رواه أبو عمر عن موسى بن عقبة ولم نره فى مغازيه ويشبه أن يكون وهما . ويظهر انه حدث خلط فيه وفى وهب بن سعد بن ابى سرح العامرى ، كأن رواية ابن عبد البر هنا أثبت منها فى الاستيعاب . وثانيهم - كما نص ابن عبد البر فى الاستيعاب - خريم بن فاتك الأسدى ، وقال ابن عبد البر : قيل ان خريما هذا أسلم يوم فتح مكة ، قال : وصحح البخارى وغيره أن خريما وأخاه سبرة شهدا بدرا . فهؤلاء ثلاثة . والرابع طليب بن عمير ، نص على ذلك ابن عبد البر فى ترجمته . والخامس كثير بن عمرو السلمى أخو ثقف ومالك حليفى بنى أسد كما سلف ، وقد شك فيه ابن عبد البر ، وقال لعله هو نفسه ثقف ، فاسمه كثير وثقف لقبه . على أنه ذكر لثقف - فيما مر - أخا يسمى مدلجا شهد بدرا ، فربما كان مدلج لقبه واسمه كثير . والسادس والسابع والثامن الاحسن السلمى وابنه يزيد وحفيده معن ، ولا يعرف فيمن شهد بدرا ثلاثة جد وابن وحفيد سواهم وقال ابن عبد البر فى ترجمة يزيد بن الاخنس : يقال انه شهد بدرا هو وأبوه وابنه معن ولا أعرفهم فى البدريين وقال ابن سيد الناس : اكثر أهل العلم بالسير لا يصحح شهودهم بدرا . وكأن الذين يرجح شهودهم بدرا من الثمانية هم خريم وأخوه سبرة وطليب بن عمير .

(٢) انظر فيمن شهد بدرا من الأنصار ابن هشام ٣٤٢/٢ وابن حزم ص ١٢٣ وابن سيد الناس ٢٧٤/١ والنويرى ٣٧/١٧ .

(٣) زيادة من ابن هشام يقتضيها السياق (٤) زيادة من ابن هشام

(٥) ويقال فيه زعورا بسكون العين

خرج عن قومه[١] وحالف بنى زعورا بن عبد الأشهل [ومحمد[٢] بن سلمة من بنى الحارث بن الخزرج خرج عن قومه وحالف بنى زعورا ، وسلمة بن أسلم بن حريش خرج أيضا عن قومه بنى الحارث بن الخزرج وحالف بنى زعورا] / وأبو الهيثم بن التيهان ، وأخوه عبيد ويقال عتيك بن التيهان ، وعبد الله بن سهل ويقال إنه من نفس بنى[٣] زعورا . خمسة[٤] عشر رجلا .

٥١ ظ

ومن بنى ظفر واسمه كعب بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : قتادة بن النعمان ، وعُبَيْد بن أوس ويعرف بمقرِّن لأنه أسر أربعة من المشركين فقرنهم وساقهم[٥] ، ونَصْر بن الحارث بن عبيد[٦] ، ومعتِّب بن عُبَيْد . ومن حلفائهم عبد الله بن طارق البلوى . خمسة رجال .

ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : مسعود بن سعد[٧] ابن عامر ، وأبو عبس بن جبر بن عمرو . ومن حلفائهم : أبو بُرْدة بن نِيار البلوى واسمه هانئ بن نيار بن عمرو [بن عبيد[٨]] بن كلاب من بَلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . ثلاثة رجال .

ومن بنى عوف بن مالك بن الأوس ثم من بنى ضُبَيْعة بن زيد : عاصم بن ثابت بن أبى الأقْلح واسم أبى الأقلح قيس بن عِصْمَة بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضُبَيْعَة ، ومعتِّب بن قُشَير بن مُلَيْل – وقد قيل إن معتب بن قشير من المنافقين[٩] والله أعلم – [وأبو[١٠] مُلَيْل

---

(١) هم بنو عمرو بن عوف بن الخزرج

(٢) زيادة من ابن هشام

(٣) ويقال : من غسان

(٤) يتطابق ابن عبد البر مع ابن هشام فى هذا العدد ، وهم عند ابن سيد الناس ثلاثة وعشرون بزيادة شريك بن انس بن رافع وابنه عبد الله ويزيد بن السكن بن رافع وابنه عامر وأخوه زياد وابنه عمارة بن زياد واياس بن أوس بن عتيك واخوه الحارث بن أوس .

(٥) ويقال انه آسر عقيل بن آبى طالب يومئذ . انظر ابن هشام ٣٤٣/٢

(٦) فى ابن هشام : عبد .

(٧) فى ابن هشام : وقيل : ابن عبد سعد .

(٨) زيادة من ابن هشام .

(٩) سلكه النويرى ٣٥٣/١٧ فى المنافقين وذكر قصة نفاقه ، وقد شك ابن عبد البر بقوله والله أعلم بنفاقه لانه بدرى .

(١٠) زيادة من ابن هشام .

ابن الأزعر بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبَيْعَة] وعمير[1] بن معبد بن الأزعر ، وسهل بن حُنَيْف ابن واهب . [خمسة رجال] .

ومن بنى أُمية بن زيد بن مالك بن عوف : أَبو لُبابة بشير ، وأَخوه مبشر ، وأَخوهما رفاعة بنو عبد المنذر بن زَنْبَر بن أُمية بن زيد ، وسعد بن عبيد بن النعمان / ، وعُوَيم[2] بن ساعدة بن عائش بن قيس بن [النعمان بن] زيد بن أُمية بن زيد ، ورافع بن عَنْجَدَة وهى أُمه ، وعُبَيْد بن أَبى عبيد ، وثعلبة بن حاطب . وقد قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم ردّ أَبا لبابة والحارث[3] بن حاطب إلى المدينة ، وأَمَّر أَبا لبابة عليها ، وضرب لهما بسهميهما وأَجرهما . تسعة[4] رجال . وقيل إن ثعلبة بن حاطب هو الذى نزلت فيه : (ومنهم منْ عاهد الله لئن آتانا من فضله لنَصَّدَّقَنَّ ـ الآيات) إذ منع الزكاة والله أَعلم . وما جاءَ فيمن شهد بدرا يعارضه قوله تعالى : (فأَعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أَخلفوا الله ما وعدوه ـ الآية) . ولعل قول من قال فى ثعلبة إنه مانع الزكاة الذى نزلت فيه الآية غير صحيح . والله أَعلم .

٥٨ و

ومن بنى عُبَيْدَ بن زيد بن مالك بن عوف : أُنَيْس بن قتادة بن ربيعة بن خالد[5] بن الحارث بن عبيد . ومن حلفائهم من بلِيّ : مَعْن بن عَدِىّ بن الجَدّ بن عَجْلان بن ضبيعة ، وثابت بن أَقْرم[6] بن ثعلبة [وعبد[7] الله بن سلمة بن مالك] وزيد بن أَسلم بن ثعلبة ، ورِبْعِىّ بن رافع بن زيد . وخرج عاصم بن عدى بن الجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فردَّه وضرب له بسهمه وأَجره . سبعة [8] رجال .

---

(١) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب ، وفى الأصل : عمرو ، وهو تحريف .
(٢) هكذا نسبه فى الاستيعاب ، وفى الأصل : عويم بن ساعة بن عامر ، وهو تحريف .
(٣) هكذا فى جميع المصادر وفى الاستيعاب ص ١١١ وفى الأصل : ثعلبة بن حاطب ، وهو ـ فيما نظن ـ وهم من الناسخ
(٤) فى الاصل : ثمانية وهو خطأ من الناسخ .
(٥) هكذا فى الأصل وابن هشام ، وفى ابن سيد الناس : ابن المطروف بن الحارث بن زبد ابن عبيد
(٦) فى ابن سيد الناس ويقال فيه أقرن .
(٧) زيادة من ابن هشام .
(٨) عند ابن سيد الناس : ثمانية بزيادة خداش بن قتادة بن ربيعة .

ومن بنى معاوية [بن(1) مالك] بن عوف بن عمرو بن عوف : جَبْر بن عَتِيك(2) بن الحارث / ومالك بن نُمَيْلة المُزَنىّ حليف لهم ، والنعمان بن عِصْر(3) البلوى حليف لهم . [ثلاثة رجال] .

٥٨ ظ

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبد الله بن جُبَير بن النعمان ، وأخوه خَوّات بن جبير ابن النعمان ردّه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب له بسهمه وأجره ، وعاصم بن قيس بن ثابت بن النعمان ، وأخوه أبو ضَيَّاح بن ثابت بن النعمان ، وأخوه أبو حية بن ثابت بن النعمان وسالم بن عمير بن ثابت بن النعمان ، والحارث بن النعمان بن أمية بن البَرْك واسم البرك امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف . سبعة رجال(4) .

ومن بنى جَحْجَبى بن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس : منذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيحة بن الجُلاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبى . ومن حلفائهم : أبو عَقيل بن عبد الله ابن ثعلبة البلوى . رجلان .

ومن بنى غَنْم بن السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : سَعْد بن خَيْثَمة بن الحارث ، ومولاه تميم ، والحارث بن عَرْفَجَة [ومنذر(5) بن قدامة بن عَرْفَجَة] ومالك بن قدامة بن عرفجة . [خمسة رجال] .

وجميعهم واحد(6) وستون رجلا على حسب ما ذكرنا عنهم ممن شهدها بنفسه ومَنْ أُسْهِم له فيها بسهم .

---

(1) زيادة من ابن هشام .

(2) فى ابن سيد الناس : جبر بن عتيك وعمه الحارث واذن فعدة هؤلاء اربعة

(3) قال ابن سيد الناس : عصر : بفتحتين عند ابن الكلبى ، ومكسور العين ساكن الصاد عند ابن اسحق والواقدى وابى معشر وابن عقبة .

(4) عند ابن سيد الناس : عشرة بزيادة النعمان والحارث ابنى أبى خزمة بن نعمان بن امية وابو حنة بالنون .

(5) زيادة من ابن هشام

(6) عند ابن سيد الناس : اربعة وسبعون .

ذكر مَنْ شهدَ بَدْرًا من الخزرج

٥٩ و / وشهد بدرًا من الخزرج بن حارثة ثم من بنى كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : خارجة[١] بن زيد بن أَبِي زُهَيْر بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أَبِي زهير ، وعبد الله بن رواحة [بن[٢] ثعلبة] بن امرىءِ القيس بن عمرو بن امرىءِ القيس بن مالك ، وخَلَّاد بن سُوَيد بن ثعلبة ، وبشير بن سعد بن ثعلبة ، وأخوه سماك بن سعد ، وسُبَيْع بن قيس بن عَبَسَة[٣] ويقال عَيشَةَ ، وأخوه عبَّاد بن قيس ، وعبد الله بن عَبْس ، ويزيد بن الحارث بن قيس ، يقال له : ابن فُسْحُم[٤] .

عشرة رجال .

ومن بنى جُشَم وزيد ابنى الحارث بن الخزرج وهما التَّوْأَمَان : خُبَيْب بن إساف[٥] بن عِتَبة ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة صاحب الأذان[٦] ، وأخوه حُرَيْث بن زيد ، وسفيان بن نَسْر[٧] بن عمرو . أربعة رجال .

ومن بنى جُدَارة بن عَوْف بن الحارث بن الخزرج : تميم بن يَعار بن قيس ، وعبد الله[٨] ابن عُمَيْر ، وزيد بن المُزَيْنِ بن قيس ، وعبد الله بن عُرْفُطة بن عدى بن أُمية بن جِدارة[٩] .

أربعة رجال .

---

(١) تزوج أبو بكر الصديق ابنة له ، ومنها ابنته أم كلثوم .

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب ، وفى الاصل : ابن عنبسة ويقال عنبشة وهو تحريف . وفى بعض المصادر : عائشة .

(٤) هى أمه .

(٥) فى بعض المصادر : يساف .

(٦) كان المسلمون يجتمعون للصلاة فى أوقاتها دون أذان ، ثم شرع الأذان ويقال ان عبد الله بن زيد اشار به على الرسول وان له فضل تشريعه

(٧) فى بعض المصادر بشر ، ولعله تحريف .

(٨) فى ابن سيد الناس ١/ ٢٨٠ : لم يذكره بعض الرواة فى البدريين .

(٩) هكذا نسبه ابن هشام وفى ابن سعيد :حليف لهم . وذكر ابن سيد الناس ان البخارى اضاف الى هذه المجموعة أبا مسعود البدرى ،وقال : المشهور انه لم يشهد بدرا وانه منسوب الى الماء .

ومن بنى الأَبْجر وهو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج أخو جُدارة : عبد الله بن ربيع بن قيس بن عمرو بن عبَّاد بن الأَبجر . رجل واحد . وأَصل الخدرة الخمس الثانى من الليل ، والخمس الأَول الهزيع والخمس الثالث اليعفور / والرابع السدفة ، ذكره كراع .

٥٩ ظ

ومن بنى عَوْف بن الخزرج ثم من بنى الحُبْلى (*) : عبد الله بن عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول ، وسلول أُم أُبَىّ بن مالك بن الحارث بن عبيد ، وأَوس بن خَوْلِىّ بن عبد الله بن الحارث بن عبيد . رجلان .

ومن بنى جَزْء بن عدى بن مالك بن سالم : زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جَزْء ، وعقبة بن وهب بن كَلدة ، حليف لهم من بنى عبد الله بن غطفان . رجلان .

ومن بنى ثعلب بن مالك بن سالم : رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة ، وعامر – ويقال عمرو – بن سلمة بن عامر حليف لهم من اليمن(١) . [رجلان] .

ومن بنى المقدام بن سالم بن غَنْم : أَبو حُمَيْضَة (٢) معبد بن عباد بن قُشَيْر بن المقدم بن سالم ، وعامر بن البُكير(٣) حليف لهم ويقال عاصم بن العُكَيْر . [رجلان] .

ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ثم من بنى العجلان بن زيد بن غَنْم ابن سالم : عِتْبان بن مالك بن عمرو بن العَجْلان ، و[نوفل(٤) بن عبد الله بن] نضلة بن مالك ابن العجلان . رجلان .

٦٠ و

ومن بنى أَصرَم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم / بن عوف – وقد قيل إنه غنم بن عوف أخو سالم بن عوف بن الخزرج : عبادة بن الصامت بن قيس بن أَصْرَم ، وأَخوه أَوس ابن الصامت . رجلان .

---

* وينسب « اليه » حبلى على غير قياس كأنهم ارادوا أن يغيروا صفة التانيث لبعد الحبل من الذكور . وحاصله الفرق بين الحقيقة والمجاز لان تسمية العظيم البطن حبلى مجاز .

(١) فى بعض المصادر انه من قضاعة .

(٢) هكذا فى الأصل وابن هشام ، وقيل أبو خميصة وأبو عصيمة . واختلف فى نسبه أيضا ، فقيل : معبد بن عبادة بن قشعر بن المقدم أو المفدم ، وقيل : معبد بن عبادة بن قيس بن المقدم .

(٣) قيل : مزنى .

(٤) زيادة من ابن هشام وغيره من المصادر

ومن بنى دعد بن فهر بن ثعلبة بن غَنْم : النعمان بن مالك بن ثعلبة . وثعلبَة[1] هو قَوْقَل . [رجل واحد] .

ومن بنى قِرْيوش ويقال قريوس[2] بن غَنْم بن أُمية بن لَوْذان بن سالم بن عوف : ثابت ابن هَزَّال بن ثابت بن عمرو بن قريوش . [رجل واحد] .

ومن بنى مَرْضَخة وهو عمرو بن غَنْم بن أُمية بن لَوْذان : مالك بن الدُّخْشُم بن مالك بن الدُّخْشُم بن مَرضخة ، والرَّبيع ، وورقة ، وعمرو ، بنو إياس بن عمرو بن غَنْم بن أُمية بن لَوْذَان . وقد قيل إن عمرو بن إياس ليس بأَخ لهما وإنه حليف لهم من اليمن . ومن حُلفائهم من قضاعة : المجذَّر بن ذِياد[3] بن عمرو البَلَوِىّ واسم المجذَّر عبد الله ، وعبادة[4] بن الخشخاش ابن عمرو بن زُمْزُمة ، ونحّاث[5] ــ ويقال نَحَّاب ــ بن ثعلبة بن حزَمة[6] ، وعبد الله بن ثعلبة ابن حَزَمَة ، وعتبة[7] بن ربيعة بن خالد البهرائى من قُضاعة وقيل البَهْزى من بَهْز بن سليم حليف لهم .

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ثم من بنى ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة : أَبو دُجانة سِماك بن خَرَشَة ويقال سِماك بن أَوس[8] بن خَرَشة بن لَوْذان بن عبد وَدّ بن زيد بن ثعلبة ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس[9] / بن حارثة بن لَوْذَان بن عبد وَدّ بن زيد بن ثعلبة . رجلان .

٦٠

---

(١) فى الأصل وابن هشام : النعمان ، والتصحيح من الاستيعاب ، قال ابن عبد البر فى ترجمة النعمان ص ٣٠٨ وثعلبة بن وعد وهو الذى يسمى قوقلا وكان له عز ، فكان يقول للخائف اذا جاء : قوقل حيث شئت فانت آمن (اى ارق واصعد) فقيل لبنى غنم وبنى سالم لذلك القواقل .

(٢) وقيل قربوس بالباء .

(٣) المجذر : لقبه واسمه عبد الله ، ومعنى المجذر غليظ الخلق . وفى الاستيعاب : المجذر ابن زياد بالزاى ولعله تحريف .

(٤) يقال فيه عبدة بن الحسحاس ، ويقال : عباد .

(٥) يقال فيه بحاث بالباء والثاء .

(٦) فى بعض المصادر : خزمة .

(٧) فى الاستيعاب ص ٥٠٦ : اختلف فى شهوده بدرا

(٨) فى الأصل : زيادة وهو تحريف

(٩) فى ابن هشام : يقال فيه خنبش .

ومن بنى عمرو بن الخزرج بن ساعدة : أبو أُسَيْد[1] مالك بن ربيعة بن البَدِن[2] بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، ومالك بن مسعود بن البَدِن . رجلان .

ومن بنى طريف بن الخزرج بن ساعدة : عَبْدُ ربِّه بن [حَقّ[3] بن] أوس بن وقش بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة . ومن حلفائهم : كعب بن حِمار[4] بن ثعلبة الجُهَنى ، وضَمْرة ، وزياد ، وبَسْبَس بنو عمرو[5] ، وعبد الله بن عامر من بَلِيّ .

ومن بنى سَلِمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج : خِراش ابن الصِّمَّة بن عمرو بن الجموح بن زيد[6] بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة ، وأبوه الصمة[7] بن عمرو ، والحُباب بن المنذر بن الجَموح [وعمير بن الحُمام[8]] وتميم[9] مولى خِراش بن الصِّمَّة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب ، ومعاذ ومعوِّذ ابنا عمرو بن الجَموح ، وأخوهما خلَّاد بن عمرو بن الجَموح ، وعقبة بن عامر من بنى نابى بن زيد ابن حرام [وحبيب[10] بن أسود مولى لهم] وعمير[11] بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام ،

---

(١) روى بضم الهمزة وبفتحها .

(٢) فى بعض الروايات : البدى بالياء ولعله تحريف . والبدن يروى بكسر الدال وفتحها

(٣) زيادة من ابن هشام .

(٤) ويقال : جماز ، وحماز .

(٥) فى ابن هشام : ضمرة وزياد ابنا بشر ، وبعضهم يقول : ضمرة ابن أخى زياد ، وعند ابن سعد زياد بن كعب بن عمرو بن عدى الجهنى .

(٦) فى ابن هشام : كل ما كان ههنا الجموح فهـو الجموح بن زيد بن حرام الا ما كان من جد الصمة بن عمرو فانه الجموح بن حزام .

(٧) لم يذكره ابن هشام ولا غيره فى البدريين وهو سهو من ابن عبد البر وقد نقله عنه ابن حزم (انظر هامش ص ١٣٦ فى جوامع السيرة)

(٨) زيادة من ابن هشام والمصادر المختلفة ، وابن عبد البر يتابعه فى عد هؤلاء البدريين حسب ترتيبه .

(٩) هكذا فى المصـــــادر المختلفة ، وفى الاصل : تيم بن خراش وهو تحريف .

(١٠) زيادة من ابن هشام والمصادر المختلفة .

(١١) ويقال عمرو .

وبشر بن البَراء بن مَعْرور بن صَخْر بن [مالك ابن] خَنْساء ، والطفيل بن مالك بن خنساء ، والطفيل[1] بن النعمان بن خنساء ، وسنان بن صَيْفى بن صَخْر بن خنساء ، وعبد الله ابن الجد بن قيس بن صَخْر بن خنساء ، وعتبة بن عبد الله بن صَخْر بن خنساء ، / وجبار ابن أُمية بن صخر بن خنساء وقد قيل إن جبار بن صخر بن أُمية بن خُناس وخُناس وخنساء أخوان ، وخارجة[2] بن حميِّر ، وأخوه عبد الله بن حميِّر حليفان لهم من أشجع ، ويزيد بن المنذر بن سَرْح بن خناس ، وأخوه معقل بن المنذر ، وعبد الله بن النعمان بن بَلْدَمة[3] ، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غَنْم[4] بن كعب بن سَلِمة ، وسواد بن رِزْق بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم ، ومعبد بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدى ابن غَنْم [وعبد[5] الله بن قيس بن صخر بن حرام] وعبد الله بن عبد مناف بن النعمان بن سنان بن عبيد ، وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد ، وخُلَيْدة بن قيس ابن النعمان ، والنعمان[6] بن يسار مولى لهم ، وأبو المنذر يزيد بن عامر بن حديدة بن عمرو[7] ابن سواد بن غَنم بن كعب بن سلمة ، وقطْبة بن عامر بن حديدة ، وسليم بن عمرو بن حديدة ، وعنترة مولاه ويقال إن عنترة هذا من بنى سُلَيْم ، وعبس بن عامر بن عَدِىّ بن نابى بن عمرو ابن سواد بن غَنْم ، وثعلبة بن غَنَمَة[8] بن عدى ، وأبو اليَسر كعب بن عمرو بن عبَّاد بن عمرو بن سواد[9] بن غنم ، وسهل بن سعد بن قيس بن أَبى كعب بن القَيْن بن كعب بن سواد بن غنم ، وعمرو بن طَلْق بن زيد بن أُمية بن سنان بن كعب بن غَنْم .

(١) قال ابن سعد فيمن عده : لا احسبه الا وهلا . انظر بن سيد الناس ١/٢٨٣

(٢) ويقال : حمزة ، ويقال حارثة بن حمير بتخفيف الياء وقيل خمير بالخاء .

(٣) ويقال : بلذمة

(٤) فى ابن هشام عدى

(٥) زيادة من ابن هشام والمصادر المختلفة .

(٦) فى ابن هشام والاستيعاب النعمان بن سنان

(٧) هكذا فى ابن هشام وفى الأصل : عمر .

(٨) ويقال : عنمة .

(٩) فى ابن هشام تقديم غنم على سواد .

٦ ظ ومن بنى أُدَىّ بن سعد أخى سلمة بن سعد بن على : معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس / بن عائذ[١] بن عدى[٢] بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ بن سعد أخى سلمة بن سعد .

ومن بنى زُرَيق [بن عامر بن زريق] بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج : قيْس بن مِحْصَن[٣] بن خالد بن مخلَّد بن عامر بن زُرَيق ، وأبو خالد الحارث بن قيس ابن خالد بن مخلَّد ، وجُبَيْر بن إياس بن خالد بن مخلَّد ، وأبو عبادة سعد بن عثمان بن خَلَدَة ابن مخلَّد ، وأخوه عقبة بن عثمان ، وذكْوان بن عبد قيس بن خَلَدة بن مخلَّد ، ومسعود بن خَلَدة بن عامر بن مخلد ، وعبَّاد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق ، وأسعد[٤] بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلَدة بن عامر بن زُريق ، والفاكه بن بشر[٥] بن الفاكه بن زيد ابن خَلدة ، ومعاذ بن ماعص بن قيس بن خلدة بن زريق ، وأخوه عائذ بن ماعص ، وعمهما مسعود بن [سعد[٦]] بن قيس . ومن بنى العَجْلَان بن عمرو بن عامر بن زريق : رفاعة بن رافع ابن العجلان وأخوه خَلَّاد بن رافع ، وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان .

ومن بنى بَياضة بن عامر بن زريق : زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بياضة ، وفرْوة بن عمرو بن وَدْفة[٧] بن عبيد بن عامر بن بياضة ، وخالد بن قيس[٨] ابن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة ، ورُجَيْلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة [وعطية[٩] بن نويرة بن عامر بن عطية بن عامر بن بياضة] وخليفة بن عدى بن عمرو ابن مالك بن عامر بن بياضة .

---

(١) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب ، وروى فيه ابن هشام : اوس بن عباد ، لا ابن عائذ .
(٢) فى الأصل : عدى بن عامر بن كعب ، ولعله سهو من الناسخ .
(٣) ويقال : حصن .
(٤) ويقال فيه : سعد
(٥) فى ابن هشام : بسر .
(٦) زيادة من ابن هشام .
(٧) يقال فيه وذفة بالذال ، وودقة بالقاف .
(٨) هكذا نسبه فى ابن هشام والاستيعاب ، وفى الأصل : خالد بن مالك بن قيس بن العجلان
(٩) زيادة من ابن هشام .

٦٢ ومن بنى حبيب بن عبد حارثة / أخى زريق : رافع بن المُعَلَّى بن لَوْذَان بن حارثة ابن عدى بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج .

ومن بنى النَّجار وهو تَيْمُ الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ثم من بنى غَنْم بن مالك ابن النجار : أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عَوْف بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عُسَيْرة[1] بن عبد بن عوف بن غَنْم بن مالك ابن النجار ، وعمارة بن حزم بن زيد بن لَوْذان بن عمرو بن عبد [بن] عوف بن غَنْم بن مالك ابن النجار ، وسراقة بن كعب بن عبد العُزَّى بن غَزِيَّة بن عمرو بن عبد بن عَوْف بن غَنْم ، وحارثة ابن النعمان بن نفع[2] بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم [وسليم[3] بن قَيْس بن قَهْد] وسُهَيل بن رافع بن أَبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غَنْم ، وعدى بن أَبى الزَّغْباء حليف لهم من جُهَيْنَة ، ومسعود بن أَوس بن زيد [ابن[4] أصرم بن زيد] بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وأبو خزيمة بن أَوس بن زيد بن أَصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم ، ورافع بن الحارث ابن سواد[5] بن زيد بن ثعلبة بن غنم ، وعوف ، ومعوَّذ[6] ، ومعاذ بنو الحارث بن رفاعة ابن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار وهم بنو عَفْرَاء ، ويقال إن أَبا الحمراء مولى الحارث بن عَفْراء شهد بدرا ، والنعمان / بن عمرو بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم ٦٢ ابن مالك بن النجار ، وعامر بن مخلّد بن الحارث بن سواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجار

(١) فى ابن هشام : ويقال عشيرة .

(٢) فى بعض الروايات : نقع ، وفى بعضها : يفع .

(٣) زيادة من ابن هشــــام ، وفى بعض الروايات : فهد بالفاء .

(٤) زيادة من ابن هشام ويدل عليها نسب اخيه بعده ، وانظر الاستيعاب ص ٢٨١ .

(٥) فى بعض الروايات : الأســـود . انظر ابن سيد الناس ٢٧٧/١

(٦) فى الأصل : ابن زيد بن ثعلبة بن غنم ،وهوخطأ جاء من أن رافع بن الحارث الســـابق لهم فى اسماء نسبه سواد بن زيد بن ثعلبــة ، وكأنمــا تبادر الى النــاسخ ان ســـوادا دائمــا ابن زيد بن ثعلبــة ، ومضى يصنع نفس الصنيع بالنعمان بن عمــرو بن رفاعــة وعامر بن مخلد وعبد الله بن قيس ووديعة بن عمرو . وكلهــم ــ كما فى ابن هشام ٣٦٠/١ وابن سيد الناس ٢٧٨/١ ــ من بنى ســـواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار . وقد روى ابن عبد البر نسبهم جميعا صحيحا فى الاستيعاب . انظرهم بترتيب اسمائهم على حروف المعجم

وعبد الله بن قيس بن خالد بن خلدة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وعصيمة حليف لهم من أشجع ، وديعة[1] بن عمرو حليف لهم من جهنية ، وثابت بن عمرو ابن زيد بن عدى بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار .

ومن بنى مبذول واسمه عامر بن مالك بن النجار ثم من بنى عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول : ثعلبة بن عمرو بن مِحْصن بن عمرو بن عَتيك ، وسهل بن عتيك بن النعمان[2] بن عمرو بن عتيك ، والحارث بن الصِّمَّة بن عمرو بن عَتيك كُسِر به بالرَّوحاء فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه .

ومن بنى معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار وهم بنو حُدَيْلة : أُبَيٌّ بن كعب بن قس ابن عبيد بن زيد بن معاوية ، وأَنَس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية ابن عمرو بن مالك بن النجار .

ومن بنى عدى بن عمرو بن مالك بن النجار وهم بنو مُغَالة فنُسبوا إلى أُمهم امرأة من كنانة : أَوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار ، وأَبو شيخ بن أبى بن ثابت وقيل أبو شيخ بن ثابت أخو حَسَّان / بن ثابت وأَوس بن ثابت ، وأَبو طلحة زيد بن سهل بن الأَسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك ابن النجار . انقضى بنو مالك بن النجار .

٦ و

ومن بنى عدى بن النجار : حارثة[3] بن سُراقة بن الحارث بن عدىّ بن مالك بن عدى بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار ، وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار وهو أبو حكيم ، وسليط بن قيس بن عمرو بن عَتيك بن مالك ابن عدى بنِ عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار ، وأَبو سليط أُسَيْرة[4] بن عمرو وهو أَبو خارجة بن قيس بن مالك بن عدى بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار ، وثابت بن خنساء

(١) فى بعض الروايات : رفاعة .

(٢) فى ابن هشام : سهل بن عتيك بن عمرو بن النعمان . وانظر الاستيعاب ص ٥٨٥

(٣) قيل – كما سلف – انه أول قتيل ببدر .

(٤) فى بعض الروايات : عسيرة . انظر ابن سيد الناس ٢٧٨/١

ابن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار ، وعامر بن أُمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، ومحرز بن عامر بن مالك ابن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، وسواد [1] بن غَزِيَّة بن أُهَيْب حليف لهم من بَلِيّ ، وأبو زيد قيس بن سَكَن بن قيس بن زعوراء بن حرام بن جندب بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار ، وأبو الأعور الحارث بن ظالم ويقال أبو الأعور [2] بن الحارث بن ظالم بن عَبْس بن حرام ابن جُنْدب ، وسليم ، وحرام ، ابنا مِلْحان [3] واسم ملحان : مالك بن خالد ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر / بن غَنْم بن عدى بن النجار .

٦٣ ظ

ومن بنى مازن بن النجار : قيس بن أَبي صعصعة واسم أَبي صعصعة عمرو بن زيد ابن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار ، وعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول ، وعُصَيْمة [4] حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة ، وأبو داود عمير بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبذول ، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول ، وقيس بن مخلد بن ثعلبه بن صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار .

ومن بنى دينار بن النجار : النعمان بن عبد عمرو بن مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة ابن دينار بن النجار ، وأخوه الضحاك بن عبد عمرو ، وسليم [5] بن الحارث بن ثعلبة بن كعب ابن [عبد [6] الأشهل بن] حارثة بن دينار بن النجار ، وجابر بن خالد [بن مسعود] بن عبد الاشهل بن حارثة بن دينار ، وسعد [7] بن سهيل بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار ،

(١) هو الذى اسر اخوة ابى جهل الثلاثة : خالدا والعاصى والحارث .

(٢) فى الاستيعاب على هذه الرواية اسمه كعب .

(٣) اسم امهما مليكة بنت مالك بن عدى بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار .

(٤) فى بعض الروايات : عصمة .

(٥) أخو الضحاك والنعمان لامهما .

(٦) زيادة من الاستيعاب ص ٥٧٧

(٧) ويقال فى سعد سعيد وفى سهيل سهل .

وكعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار ، وبُجَيْر بن أبي بجير حليف لهم من بنى عبْس بن بَغِيض .

فجميع مَنْ شهد بدرا – على ما وصفنا – من الخزرج بن حارثة مائة [1] وسبعون رجلا ، وجميع أهل بدر – على ما ذكرنا – ثلاثمائة رجل وسبعة [2] عشر رجلا . وقد ذكرنا من غاب عنها وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره فيها (*) .

---

(١) هم عند ابن سيد الناس : مائة وخمسة وتسعون .

(٢) عند ابن سيد الناس : ثلاثمائة وثلاثة وستون ، يقول : وهذا العدد أكثر من عدد أهل بدر ، وانما جاء ذلك من جهة الخلاف فى بعض من ذكرناه

* وفى هذه الجملة شىء من خلاف قد ذكره ابن عبد البر فى كتابه (الاستيعاب) فى الصحابة رحمهم الله ، وقد اختلف فى شهود عتبان بن مالك و «هلال» بن المعلى بن لوذان ومليل بن وبرة وطائفة قد ذكرهم هناك والحمد لله .

ويلاحظ أن المعلق لم يضبط سوى الاسم الأول ، اما الاسم الثانى فقد سقط منه فيه هلال، والاسم الثالث محرف ، وهو عصمة بن وبرة . انظر ابن حزم ص ١٤٦

فصل

قال الفقيه[1] أبو عمر رضى الله عنه :

فلما أوقع الله عز وجل بالمشركين يوم بدر واستأصل وجوههم قالوا إن ثأرنا بأرض الحبشة فلنرسلْ إلى ملكها يدفَعْ إلينا من عنده من أتباع محمد ، فنقتلهم بمن قتل منا ببدر .

بعث مشركى قريش عمرو بن العاص وابن أبى ربيعة إلى النجاشى

وبالإسناد قال الفقيه أبو عمر :

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : أنبأنا محمد بن بكر ، قال : أنبأنا أبو داود ، قال : أنبأنا ابن السَّرح ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس عن ابن شهاب ، قال :

بلغنى أن مخرج عمرو بن العاص وابن أبى ربيعة إلى أرض الحبشة فيمن كان بأرضهم من المسلمين كان بعد وقعة بدر . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مخرجهما بعث عمرو بن أمية الضمرى من المدينة إلى النجاشى بكتاب[2] .

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : أنبأنا محمد بن بكر ، قال : أنبأنا أبو داود ، قال : أنبأنا محمد بن سلمة المرادى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن يونس عن ابن شهاب ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعن سعيد بن المسيب ، وعن عروة بن الزبير :

---

(١) نقل هذه الفقرة بما جاء فيها من الحديث الأول ابن سيد الناس فى عيون الأثر ٢٩٢/١ وقد استشكل على هذا الحديث لما جاء فيه من ذكر توجيه الرسول لعمرو بن أمية الضمرى الىَ النجاشى بكتاب بعد وقعة بدر قائلا ان توجهه اليه كان فى سنة سبع أو فى سنة ست كما حكاه أبو عمر عن الواقدى . وقال ايضا ان عمرو بن امية شهد بدرا واحدا مع المشركين ثم أسلم بعد ذلك . وواضح أن ابن عبدالبر أقحم ـ كما لاحظ ابن سيد الناس ـ هذه القصة على المغازى

(٢) هكذا فى ابن سيد الناس . وفى الأصل : بكتابه .

٦٤ ظ / أن الهجرة الأُولى هجرة المسلمين إلى أرض الحبشة ، وأنه هاجر فى تلك الهجرة جعفر ابن أَبى طالب بامرأته أسماء بنت عُمَيْس ، وعثمان بن عفان بامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأَبو سلمة بن عبد الأَسد بامرأته أُم سلمة بنت أَبى أمية ، وخالد بن سعيد بن العاص بامرأته . وهاجر فيها رجال من قريش ذوو عدد[١] ليس معهم نساؤهم . فلما أُرِىَ رسول الله دار هجرتهم قال لأَصحابه : قد أُرِيت دار هجرتكم : سَبِخَةً ذات نخل بين لابَتَيْن[٢] وهى المدينة . فهاجر إليها مَنْ كان معه ، ورجع رجال من أَرض الحبشة حين سمعوا بذلك ، فهاجروا إلى المدينة ، منهم عثمان بابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأَبو سلمة بامرأَته أُم سلمة وحُبِسَ (مكث) بأَرض الحبشة جعفر بن أَبى طالب ، وحاطب بن الحارث ، ومعمر بن عبدالله العدوى ، وعبد الله بن شهاب ، ورجال ذوو عدد من المهاجرين من قريش الذين هاجروا إلى أَرض الحبشة حالت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربُ . فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار قال كفار قريش : إن ثأركم بأَرض الحبشة ، فأَهدوا إلى النجاشى وابعثوا

٦٥ و إليه / رجلين من ذوى رأيكم ، لعله يعطيكم مَنْ عنده من قريش ، فتقتلونهم بمن قُتل منكم ببدر . فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أَبى ربيعة[٣] ، وأَهدوا للنجاشى ولعظماء الحبشة هدايا . فلما قدما على النجاشى قَبِل هداياهم ، وأَجلس معه عمرو بن العاص على سريره . فقال لهم[٤] النجاشى : ما دينكم ؟ أَنصارى أَنتم ؟ قالوا : لا . قال : فما دينكم ؟ قالوا : ديننا الإسلام ، قال : وما الإسلام ؟ قالوا : نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، قال : ومَنْ جاءكم بهذا ؟ قالوا : جاءنا به رجل من أَنفسنا قد عرفنا وجهه ونسبه أَنزل الله عليه كتابه ، فعرَّفنا كلام الله وصَدَّقناه . قال لهم النجاشى : فبِمَ يأْمركم ؟ قالوا يأْمرنا أَن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، ويأْمرنا أَن نترك ما كان يعبد آباؤنا ، ويأْمرنا بالصلاة وبالوفاء وبأَداءِ الأَمانة وبالعفاف .

---

(١) مر بنا ان عدد المهاجرين الى الحبشة فى الهجرة الثانية كان ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة

(٢) اللابة : الحرة ، المدينة تقع بين لابتين أو حرتين بتشديد الراء .

(٣) فى بعض الروايات أن الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص هو عمارة بن الوليد وانظر الروض الأنف ٢١٢/١ و ابن سيد الناس ١١٨/١ والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى فى (طبعة دار الكتب) ٥٥/٩ وسيشير الى ذلك ابن عبد البر فى نهاية القصة .

(٤) لهم : أى للمسلمين الذين نزلوا ببلده

قال النجاشي : فوالله إن[1] خرج هذا إلا من المشكاة[2] التي خرج منها أمر موسى عليه السلام ، ٦٥ ظ
فقال عمرو بن العاص حين سمع ذلك من النجاشي : إن هؤلاء يزعمون أن ابن مريم إلٰهك الذى تعبد عَبْدٌ . فقال النجاشي لجعفر ومَنْ معه من المهاجرين : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟ قالوا : نقول هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وابن العَذْرَاء البَتُول[3] . فخفض النجاشي يده إلى الأرض ، فأخذ عودا وقال : والله ما زاد على ذلك قَدْرَ هذا العود[4] . فقال عُظَماءُ الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة بهذا لتخلعنَّك . فقال النجاشي : والله لا أقول فى ابن مريم غير هذا القول أبدا ، إن الله لم يُطِع فىَّ الناسَ حين رَدَّ إلىَّ ملكى فأنا أُطيع الناس فى الله ، معاذَ الله من ذلك . ارجعوا إلى هذا هديته ، فوالله لو رَشَوْنى دَبْرًا من ذهب ما قبلته . والدبر : الجبل ، قال الهروى : لا أدرى عربى أم لا . ثم قال : من نظر إلى هؤلاءِ الرَّهط نظرة يؤذيهم بها فقد غرم - ومعنى غرم هلك فى قوله تعالى : (إن عذابها كان غراما) - فخرج عمرو ابن العاص وابن أبى ربيعة (*) وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعث قريش عمرو بن العاص إلى النجاشي ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أُمية الضَّمْرِى وكتب معه إلى النجاشي ، فقدم على النجاشي ، فقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا جعفر بن أبى طالب والمهاجرين ، وأرسل إلى الرُّهْبان والقِسِّيسين ، فجمعهم ، ثم أمر جعفرا يقرأُ عليهم القرآن ،

---

(١) ان هنا بمعنى ما النافية .
(٢) المشكاة : كل كوة - بتشديد الواو - نافذة
(٣) البتول : الطاهرة .
(٤) يريد : ما زادت المسيحية على ذلك .

* قلت : وكان من شأنه أن نزع من الملك مرة وباعه قومه واشتراه العرب ، فوقع لرجل من بنى مرة ، فاسترعاه الغنم . ولما سمع بانتصار النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر بعث الى من عنده من المسلمين يبشرهم بذلك ، فحضروا ، فاذا عليه مسح أسود وقد افترش الرماد وجلس عليه ، وذكر أن السبب فى ذلك انه يجد عنده [أى فى الانجيل] أن من اصابته نعمة عظيمة تواضع لله بقدر تلك النعمة ، وقص عليهم الخبر ، فقال : ان الواقعة كانت ببدر واد كثير الأراك ، وقال : انا اعرف الوادى كنت أرعى فيه الغنم على سيدى أحد بنى ضمرة (هكذا) . وأقام النجاشي مستعبدا ما شاء الله . فلما اختلط أمر الحبشة لفقده بعثوا فى طلبه فأعادوه الى ملكه بعد العبودية . فهذا ما أشار اليه حيث يقول : « فوالله ما أطاع الله فى الناس حين رد على ملكى » والله أعلم .

فقرأ سورة مريم : (كهيعص) وقاموا تفيض أعينهم من الدمع ، فهم الذين أنزل الله فيهم :
٦٦ظ (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) / وقرأ عليهم إلى الشاهدين[١] .

وحدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : أنبأنا أبو داود ، قال : حدثنا محمد بن عمرو المرادى ، قال : أنبأنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنى محمد بن إسحق ، عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزُّهْرى ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت[٢] :

لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار [النجاشى[٣]] ، أَمِنَّا على ديننا ، وعبدنا الله عَزَّ وَجَلَّ لا نُؤْذَى ، ولا نسمع شيئا نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى فينا رجلين منهم جَلْدَين وأن يهدوا إلى النجاشى ما يُسْتَطْرَفُ من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأْتيه منها الأَدَم ، فجمعوا له[٤] أدما كثيرا ، ولم يتركوا من بطارقته بِطْريقا إلا أهدوا إليه هدية . ثم بعثوا [بذلك][٥] عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل ، وقالوا لهما : ادْفَعا إلى كل بِطْريق هديته قبل أن تكلِّما النجاشىَّ فيهم ، ثم قَدِّما إلى النجاشىِّ هداياه ، ثم سَلاه أن يسلِّمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشى ونحن عنده بخير دار ، فلم يبق بطْريقٌ إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشى ، وقالا لكل بطريق : إنه قد ضَوَى[٦] إلى بلد / الملك منا غلمان سفهاء خالفوا[٧] دين قومهم ولم ٦٧و يدخلوا فى دينكم ، وجاءُوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم لنردَّهم[٨] إليهم ، فإذا كلمنا الملك [فيهم] فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عَيْنًا — يريد أقعد علما بهم ، العين : العلم ههنا ، أى فوقهم فى العلم بهم وأعلى

(١) أى الى نهاية الآية التالية لهذه الآية.
(٢) انظر فى هذا الحديث ابن هشام ١/٣٥٨ والنويرى ١٧/٢٤٧ .
(٣) زيادة من ابن هشام والنويرى .
(٤) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل : فجمعوا له منها .
(٥) زيادة من ابن هشام .
(٦) ضوى : لجأ .
(٧) فى ابن هشام : فارقوا
(٨) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل :ليردوهم .

من غيرهم – فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدَّما هداياهما إلى النجاشى فقبلها منهما . ثم كلَّماه ، فقالا : أيها الملك إنه قد ضَوَى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، جاءُوا بدين ابتدعوه لانعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم عليهم وهم أعْلى بهم عَيْنًا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم[1] فيه . قالت : ولم يكن شىء أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشى . فقالت[2] بطارقته حوله : صَدقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عَيْنًا وأعلم بما عابوا عليهم [وعاتبوهم[3] فيه] . فأَسْلِمْهم[4] إليهم ليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم . قالت[5] : فغضب النجاشى ، ثم قال : لاها الله أبدا لا أُسلمهم إليهما[6] ولا يُكاد قوم جاورونى ونزلوا ببلادى واختارونى على مَنْ / سِواى ، حتى أَدعوهم فأَسأَلهم عما يقول هذان فى أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان[7] أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك مَنَعْتهم منهما[8] وأحسنت جوارهم ما جاورونى . ٦٧ ظ

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم ، فلما جاءهم[9] رسوله اجتمعوا وقال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه[10] ؟ قالوا : نقول والله : ماعلمنا الله وما أمرنا به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم كائنا فى ذلك ما هو كائن ، فلما جاءُوه – وقد دعا النجاشىّ أساقفته ونشروا مصاحفهم حوله – سأَلهم ، فقال لهم : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ . قالت : فكان الذى

(١) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل : يعاتبونهم .
(٢) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل : قالت .
(٣) زيادة من ابن هشام .
(٤) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل : فارسلهم .
(٥) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل : فقال .
(٦) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل : اليهم .
(٧) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل : يقولون .
(٨) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل : منهم
(٩) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل : جاء .
(١٠) فى نهاية الارب : اجبتموه .

كلَّمه جعفر بن أَبي طالب ، فقال : أَيها الملك كُنَّا قوما أَهل جاهلية نعبد الأَصنام ونأْكل المَيْتَةَ ونأْتي الفواحش ونقطع الأَرحام ونسِيءُ إلى الجار(١) ويأْكل القوى منا الضعيف . كُنَّا على ذلك حتى بعث الله عَزَّ وَجَلَّ إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأَمانته وعفافه ، فدعا [نا](٢) إلى الله لنوحِّده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأَوثان . وأَمرنا بصدق / الحديث وأداء الأَمانة وصلة الرحم وحُسْن الجِوار والكفِّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقَوْل الزور وأَكل مال اليتيم وقذف المُحْصَنَة ، وأَمرنا أَن نعبد الله(٣) لانشرك به شيئا ، وأَمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قالت : فعدَّد [عليه(٤)] أُمور الإسلام ، وقال : فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاءَ به عن الله عز وجل ، فعبَدنا الله وحده ولم نشرك به شيئا ، وحرَّمنا ما حرَّم علينا ، وأَحللنا ما حلَّل لنا . فَعدَا علينا قومنا فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادةِ الأَوثان [من عبادة الله] وأَن نستحلَّ ماكنا نستحلُّ من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك وآثرناك على مَنْ سواك ، ورغبنا(٥) فى جوارك ، ورجونا أَن لا نُظْلَم عندك أَيها الملك . قالت : فقال : هل معك مما جاءَ به عن الله شىء ؟ قال جعفر : نعم ، فقال له النجاشي : فاقرأْه علىّ . فقرأَ عليه : (كهيعص) . قالت : فبكى النجاشي حتى والله اخضلَّت(٦) لحيته ، وبكت أَساقفته حتى اخضلت لحاهم(٧) حين سمعوا ما يتلى(٨) عليهم . فقال النجاشي : إن هذا والذى جاءَ به موسى(٩) ليخرج من مشْكاة واحدة ، انْطلِقا فوالله لا أسلمهم إليكما أَبدا .

قالت : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينَّه غدا بما أَستأْصل به خَضْرَاءهم .

(١) فى ابن هشام وغيره : ونسىء الجوار .
(٢) زيادة من ابن هشام وغيره .
(٣) فى ابن هشام : ولا .
(٤) زيادة من ابن هشام .
(٥) فى الأصل : فرغبنا .
(٦) فى الأصل : اخضل .
(٧) فى ابن هشام وغيره : مصاحفهم .
(٨) فى ابن هشام : تلا .
(٩) فى النويرى : عيسى .

/ قالت : فقال له عبد الله بن أبى ربيعة ، وكان أبْقى الرجلين فينا ، لا تفعَلْ ، فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى عَبْدٌ . قالت : ثم غدا عليه من الغد ، فقال : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ليسألهم [1] عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى إذا سألكم [عنه[2]] ؟ . قالوا : نقول ما قال الله عَزَّ وَجَلَّ وما جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنا فى ذلك ما هو كائن . ٦٨

قالت : فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاء[نا] به نبينا عليه السلام : عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتُول . قالت : فضرب النجاشى بيده إلى الأرض وأخذ منها عودا ، وقال : ما عَدا [3] عيسى بن مريم مما [4] قلت هذا المقدار [5] . قال : فتناخرت بطارقته حين قال ما قال : فقال : وإن نَخرْتم والله . ثم قال لجعفر وأصحابه : اذهبوا فأنتم شُيُومٌ بأرضى – والشيوم : الآمنون – مَنْ سَبَّكم غرم ثم قال : ما أحب أن لى دَبْر ذهب [و[6]] أنى آذيت واحدا منكم ، والدَّبر بلسان الحبشة : الجبل . / رُدُّوا عليهما هديتهما فلا حاجة لنا فيها . فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد إلىَّ ملكى فآخذُالرشوة [فيه[7]] وما أطاع الناسَ فىَّ فأطيعهم فيه . قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به . فأقمنا عنده بخير دار وخير جار قالت : فوالله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه . قالت : فوالله ما علمنا حزنا قط كان أشد من حزن حزنَّاه عند ذلك خوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشى ، فيأْتينا رجل لايعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف منه . وسار إليه النجاشى وبينهما عرض النيل . قالت : فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأْتينا بالخبر ؟ فقال الزبير بن العوام : أنا أخرج . قالت : وكان من أحدث القوم سِنًّا . قالت : فنفخوا له ٦٩

---

(١) فى ابن هشام : فسألهم .
(٢) زيادة من ابن هشام .
(٣) عدا : تجاوز .
(٤) هكذا فى ابن هشام وفى الأصل : ما .
(٥) فى بعض الروايات : العود .
(٦) زيادة من ابن هشام .
(٧) زيادة من ابن هشام .

قِرْبَةً ، فجعلها فى صدره ثم سَبَحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها مُلْتَقَى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم . قالت : فدعونا الله عَزَّ وَجلَّ للنجاشى بالظهور على عدوه والتمكين له فى بلاده ، فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبير يسعى ويلوِّح بثوبه ويقول : ألا أَبْشِروا فقد ظهر النجاشى وأهلك الله عدوه ومكَّن له فى بلاده . قالت : فوالله ما علتنا فرحة قط مثلها . قالت : ورجع النجاشى سالما وأهلك الله عدوه ، واستوسق له أمر / الحبشة ، فكنا عنده فى خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة .

٦٩ ظ

قال الفقيه الحافظ أبو عمر رضى الله عنه :

هؤلاء[1] قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثم هاجروا إلى المدينة ، وجعفر وأصحابه بقوا بأرض الحبشة إلى عام خَيْبر . وقد قيل إن إرسال قريش إلى النجاشى فى أمر المسلمين المهاجرين إليها كان مرتين فى زمانين : المرة الواحدة كان الرسول مع عمرو بن العاص عبد الله ابن أبى ربيعة المخزومى . والمرة الثانية كان مع عمرو بن العاص عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى . وقد ذكر الخبر بذلك كله ابن إسحق وغيره ، وذكروا مادار لعمرو مع عمارة بن الوليد من رميه إياه فى البحر وسَعْى عمرو به إلى النجاشى فى بعض وصوله إلى بعض حُرمه أو خدمه وأنه ظهر ذلك فى ظهور طِيب الملك عليه وأن الملك دعا بسحرةٍ ، فسحروه ونفخوا فى إحليله ، فتشرد ولزم البرية وفارق الإنس وهام حتى وصل إلى موضع رام أهله أخذه فيه ، فلما قربوا منه فاضت نفسه ومات . هذا معنى الخبر . قال أبو عمرو : ولم أرَ لإيراده على وجهه معنى اكتفاء بما كتبناه فى الكتاب ، ولأن ابن إسحق قد ذكره بتمامه . والله الموفق للصواب (*) .

---

(١) يشير الى من رجع من أرض الحبشة .

* قلت : وحاصل الخبر أن عمارة كان جميلا وسيما ، وكان عمرو استصحب امراته معه ، فهويها عمارة وهويته . وهم عمارة ان يطرح عمرا فى البحر . فأسرها عمرو فى نفسه ، فلما وصلا الحبشة قال له عمرو : اننى كتبت الى قومى أن لا يطالبوك بدمى ، فاكتب الى قومك أن لا يطالبونى بدمك ، لتنمى فى قريش منا المصافاة والاتفاق على ما بعثونا اليه ، ففعل عمارة ذلك . فيقال ان شيخا من قريش عندما سمع ذلك قال : قتل عمارة ، والله ، أن هذه مكيدة من عمرو ثم ان عمرا حسن لعمارة أن يتصل بزوجة الملك لتعينهما عند النجاشى ، فاتصل بها ، الى أن عرف عمرو انها طيبته من طيب الملك ، وكان له طيب خاص . فالقى حينئذ الى الملك ان عمارة تعرض لحريمه بأمارة كذا ، فكشف الملك ، فصحت له الأمارة ، ففعل به ما فعل والله أعلم بذلك . وبالجملة فهذا ان صح فهو من أمور الجاهلية التى لا يلتمس لها التأويل . غير أن =

غزوة (١) بنى سُلَيْم

ولم يَتِمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مُنْصَرفه عن بدر إلا سبعة أيام ، ثم خرج بنفسه الكريمة يريد بنى سليم ، واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفُطَة الغِفارى ، وقيل : ابنَ أُمّ مَكْتوم ، فبلغ ماءً(٢) يقال له الكُدْر ، فأقام عليه ثلاث ليال ثم انصرف ولم يلق أحدا .

غزوة (٣) السَّويق

٧١ ثم إن أبا سفيان لما انصرف فَلُّ بدر آلى أن يغزو / رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج فى مائتى راكب حتى أتى العُرَيض فى طرف المدينة ، فحرق أصوارًا (٤) من النخل ، وقتل رجلا من الأنصار وحليفا له وجدهما فى حَرْثٍ لهما ، ثم كرَّ راجعا .

ثم نَفَر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى أثره ، واستعمل على المدينة أبا لُبابة ابن عبد المنذر . وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَرْقَرَة الكُدْر . وفاته أبو سفيان والمشركون ،

= فى هذه القصة نكتة ، وذلك أن عمارة هذا كان من قريش يضاهى بهالنبى صلى الله عليهوسلم فى جمال صورته وقبول على وجهه حتى قالوالأبى طالب : خذ عمارة هذا عوضا من محمد ، فقال : والله لا أعدل بمحمد أحدا . . فكأنالله عز وجل آخذ عمارة وآخذ قريشا فيه حتى ساءت عاقبته ، وانتقل من جمال البشر الى بشاعةالوحش وصار الشيطان أشبه به من الانسان . يقال انه صار يغطى وجهه شعر حاجبيه ،وطالت أظفاره طولا فاحشا ، وساءت حاله ، ونفر من الآدميين ونفروا منه ، وناهيك بانسانيرى الانسان فيموت . وطلبت قريش أن تؤلف عليه الناسعنادا به لرسول الله صلى الله عليهوسلم فابتلاه الله بهذه الفرقة وبهذه الوحشة ، وقبضه عليها ، والأمر بيد الله ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . والحمد لله رب العالمين .

(١) انظر فى غزوة بنى سليم ابن هشام ٤٦/٣ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٢٤ والطبرى ٤٨٢/٢ وابن حزم ص ١٥٢ وابن سيد الناس١/٢٩٤ وابن كثير ٣٤٤/٣ والسيرة الحلبية ٢٧٠/٢ .

(٢) فى ابن هشام : فبلغ ماء من مياههم .

(٣) انظر فى غزوة السويق ابن هشام ٤٧/٣ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٢٠ والواقدى ص ١٨٢ والطبرى ٤٨٣/٢ وأنساب الأشراف ١٤٧/١ وابن حزم ص١٥٢ وابن سيد الناس٣٤٤/١ وابن كثير ٣٤٤/٣ والنويرى ٧٠/١٧ والسيرة الحلبية ٢٧٧/٢

(٤) أصوار : جمع صور وهو صغار النخل المجتمعة

وقد طرحوا سَوِيقا (١) كثيرا من أزوادهم ، يتخففون بذلك ، فأخذه المسلمون . فسمّيت غزوة السَّويق . وكان ذلك فى السنة الثانية من الهجرة بعد بدر بشهرين(٢) وأيام .

قال المصنف رضى الله عنه :

ولعمر ، رضى الله عنه ، حديث حسن فى غزوة قرقرة الكدر(٣) ، يقال إن عمران بن سوادة قال له وهو خليفة : إن رعيتك تشكو منك عُنْفَ السِّياق وقهر الرعية ، فدَقَرَ على الدِّرَّة وجعل يمسح سيورها ، ثم قال : قد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قرقرة الكُدْر ، فكنت أرتع فأشبع وأسقى فأروى ، وأُكْثر الزَّجر ، وأُقِلُّ الضرب ، وأردُّ العَنود ، وأزجر العروض ، وأضِمُ اللَّفوت ، وأسِمُ بالعصا ، وأضرب باليد ، ولولا ذلك لأعذرت أى تركت ، فضيَّعت .

٧ ظ / يذكر حسن سياسته حينئذ . والعنود : الحائد . والعروض : المستصعب من الرجال والدّواب . والقرقرة : الأرض الواسعة الملساء . والكدر : طيور غُبْر كأنها القطا .

غزوة (٤) ذى أَمَرّ

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقية ذى الحجة ، ثم غزا نجدا يريد غطفان ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، فأقام صلى الله عليه وسلم بنجد صَفرا كله ، ثم انصرف ، ولم يلق حَرْبا .

---

(١) السويق : مطحون الحنطة او الشعير .

(٢) كانت هذه الغزوة لخمس خلون من ذى الحجة فى السنة الثانية للهجرة .

(٣) لم يفرد ابن عبد البر لهذه الغزوة كلاما متابعا فى ذلك ابن هشام وكأنه يجعلها نفس غزوة السويق التى بلغ فيها الرسول قرقرة الكدر ، وكثير من اصحاب السير يجعلهما غزوتين ، أما غزوة السويق ففى ذى الحجة كما سلف ، واما غزوة قرقرة الكدر ففى نصف المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من الهجرة . وقرقرة الكدر : على بعد ثمانية برد من المدينة ، وربما سميت غزوة بنى سليم باسمها كما صنع ابن هشام اذ سماها غزوة الكدر

(٤) انظر فى غزوة ذى أمر ابن هشام ٣/٤٩ والواقدى ١٩٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٢٤ والطبرى ٢/٤٨٧ وابن حزم ص ١٥٣ وابن سيدالناس ١/٢٠٣ وابن كثير ٤/٢ والنويرى ١٧/٧٧ والسيرة الحلبية ٢/٢٧٩ . وقال ابن سعد : ذوامر : موضع بناحية النخيل . وتسمى فى بعض كتب السير : غزوة غطفان . وقيل : كانت فى المحرم . وقيل : بل فى ربيع الأول . ويظهر ان الرسول خرج فى اواخر المحرم وعاد فى أوائل ربيع الأول . وكان سببها أن الرسول علم أن بعض عشائر غطفان تجمعت لغزو المدينة .

غزوة[1] بُحْران

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ربيعًا الأول ، ثم غَزَا يريد قريشا ، واستخلف على المدينة ابن أُمِّ مكتوم ، فبلغ بُحْران ، معدنا بالحجاز ، ولم يلق حربا . فأقام هنالك ربيعا الآخر وجمادى الأولى من السنة الثالثة . ثم انصرف إلى المدينة .

غزوة[2] بنى قَيْنُقَاع

72 / ونَقض بنو قَيْنُقاع من اليهود عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم صلى الله عليه وسلم وحاصرهم حتى نزلوا على حكمه . فشفع فيهم عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول ، ورغّب فى حَقْن دمائهم ، وألحَّ على رسول الله وتعلّق به حتى أدخل يده فى جَيْب دِرْعه ، فقال : أَرْسِلْنى ، فقال : والله لا أُرْسِلُك حتى تحسن إلىَّ فى موالىّ : أربعمائة حاسر[3] وثلاثمائة دارع تريد أن تحصدهم فى غداة واحدة . فشفّعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وحقن دماءهم . وهم قومُ عبد الله بن سَلام . وكان حصاره صلى الله عليه وسلم لهم خمس عشرة ليلة ، واستخلف على المدينة فى تلك المدة [أبا لُبابة] بشير بن عبد المنذر .

---

(1) انظر فى غزوة بحران ابن هشام ٣/٥٠ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٢٤ والواقدى ص ١٩٥ والطبرى ٢/٤٨٧ وابن حزم ص ١٥٣ وابن سيدالناس ١/٣٠٤ وابن كثير ٤/٣ والنويرى ١٧/٧٩ والسيرة الحلبية ٢/٢٨٠ . وبحران : موضع لبنى سليم من ناحية الفرع بفتحتين وهى قرية من قرى المدينة ، وكان الرسول بلغه أن بنى سليم تجمعوا للاغارة على يثرب فرأى أن يعالجهم ، ويقول ابن سعد انه خرج اليهم لست خلون من جمادى الاولى فى السنة الثالثة للهجرة .

(2) انظر فى غزوة بنى قينقاع ابن هشام ٣/٥٠ والواقدى ١٧٧ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ١٩ والطبرى ٢/٤٧٩ وابن حزم ص ١٥٤ وابن سيد الناس ١/٢٩٤ وابن كثير ٤/٥ والنويرى ١٧/٦٧ والسيرة الحلبية ٢/٢٧٢ . وكانت هذه الغزوة يوم السبت لنصف شوال من السنة الثانية للهجرة فكان ينبغى تقديمها على جميع الغزوات السابقة ما عدا غزوة بنى سليم الأولى . وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد من اليهود فحاربهم الرسول وحاصرهم حصارا شديدا لمدة خمسة عشر يوما حتى نزلوا على حكمه وهو ان له أموالهم وعليهم الجلاء عن المدينة ، فجلوا عنها ولحقوا بأذرعات مخلفين بحصنهم سلاحا وآلة كثيرة . ولم يكن لهم زرع ولا نخل وانما كانوا تجارا وصاغة .

(3) الحاسر ضد الدارع أى لابس الدرع .

ذكر ابن إسحاق عن عاصم بن عمر وعبد الله بن أبي بكر :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وادعته اليهود وكتب عنه وعنهم كتابا ، وألحق كل قوم بحلفائهم [1] ، وشرط عليهم فيما شرط أن لا يظاهروا عليه أحدا . فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر أتاه بنو قَيْنُقَاع ، فقالوا له : يا محمد لا يغرُّك من نفسك أن نِلْتَ من قومك ما نِلْتَ ، فإنه لا علم لهم بالحرب ، أما والله لو حاربتنا لعلمت أن حربنا ليس كحربهم وأنا لنحن الناس (*) .

قال ابن إسحق : وكان أول من نقض العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وغَدَر من يهودٍ بنو قَيُنْقاع . فسار إليهم رسول الله وحاصرهم فى حصونهم ، وقذف الله فى قلوبهم الرُّعْبَ ، فنزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم .

البعث [2] إلى كعب بن الأشرف

ولما اتصل بكعب بن الأشرف – وهو رجل من نَبْهان من طيِّىء وأمه من بنى النَّضير – قَتْل صناديد قريش ببدر قال : بَطْنُ الأَرض خير من ظهرها ، ونهض إلى مكة ، فجعل يَرْثى قَتْلَى قريش ، ويحرِّض على قتال [3] النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعرا . ثم انصرف إلى موضعه [4] فلم يزل يؤْذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو إلى خلافه ويسبُّ المسلمين حتى آذاهم .

---

(١) كان بنو قينقاع حلفاء للخزرج

* قلت : وفيهم نزل قوله تعـــالى : (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد)

وعقب الآية التى استشهد بهـــا المعلق :(قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار)

(٢) انظر فى هذا البعث ابن هشام ٥٤/٣ والواقدى ص ١٨٤ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٦١/١٢ وابن سعد ج٢ق١ص٢١ والمحبر لابن حبيب ص ٢٨٢ والطبـــرى ٤٨٧/٧ وسنن أبى داود (طبعة القاهرة) ٢٧٧/١ وابن حزم ص ١٥٤ وابن سيـــد النـــاس ٢٩٨/١ وابن كـثير ٥/٤ والنويرى ٧٢/١٧ . وكان هذا البعث لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيـــع الأول مفتتح السنة الثالثه للهجرة .

(٣) وأيضا فانه يشبب بنســـاء المســلمين قصدا لأيذاء أزواجهن .

(٤) الى موضعه : اى من المدينة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : منْ لى بابن الأَشرف فإنه يؤذى الله ورسوله والمؤمنين ؟ فقال له محمد بن مسلمة : أَنا له يا رسول الله ، أَنا أَقتله إن شاءَ الله ، قال : فافعلْ إن قدرت على ذلك . فمكث محمد بن مسلمة أَياما مشغول النفس بما / وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه فى قتل ابن الأَشرف ، وأَتَى أَبا نائلة سِلْكان [1] بن سلامة بن وَقْش وكان أَخا كعب بن الأَشرف من الرَّضَاعة وعبَّاد بن بشر بن وَقْش والحارث بن أَوس بن معاذ وأَبا عَبْس [2] ابن جَبْر ، فأَعلمهم بما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل ابن الأَشرف ، فأَجابوه إلى ذلك ، وقالوا : كلنا ــ يا رسول الله ــ نقتله . ثم أَتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله إنه لا بد لنا أَن نقول [3] ، فقال : قولوا ما بدالكم فأَنتم فى حل (*) .

٧٣

ثم قدَّموا إلى كعب بن الأَشرف أَبا نائلة ، فجاءَه وتحدث معه ساعة ، وتناشدا الشعر . وكان أَبو نائلة يقول الشعر أَيضا ، فقال له / أَبو نائلة : يا بن الأَشرف إنى جئت فى حاجة أَذكرها لك فاكتم علىَّ ، قال : أَفعل . قال : إن قدوم هذا الرجل [4] علينا بلاء من البلاءِ ، عادتْنا العرب ورمتْنا عن قوس واحدة ، وقُطِعَتْ عنا السبل حتى ضاع العيال وجُهدت الأَنفس وأَصبحنا قد جَهِدنا . فقال كعب : أَنا ابن الأَشرف أَما والله لقد كنت أُحدثك يا بن سلامة أَن أَمركم سيصير إلى هذا (*) . فقال له سلكان : إنى أُريد أَن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق

٧٣

---

(١) فى ابن سيد الناس ١/٣٠٣ أن اسمه سعد .

(٢) فى ابن سيد الناس أن اسمه عبدالرحمن .

(٣) أى يقولون فى الرسول مالا يعتقدون خدعة له على سبيل جواز ذلك مع الأعداء فى الحرب .

* قلت : وههنا لطيفة ، وذلك انهم استأذنوه عليه السلام فى أن ينالوا منه بألسنتهم استدراجا للعدو فأذن لهم . وقد استقر أن النيل من عرضه عليه السلام كفر وأن الكفر لايباح الا بالاكراه لمن قلبه مطمئن بالايمان ، واين الاكراه ههنا ؟. والجواب عن ذلك أن كعب بن الأشرف كان يحرض على قتل المسلمين ، وكان فى قتله صلاح وخلاص المسلمين من ذلك ، فكأنه اكره الناس على النطق بهذا الكلام ، بتعريضه اياهم للقتل ، فدفعوا عن انفسهم بألسنتهم مع أن قلوبهم مطمئنة بالايمان . والحمد لله .

(٤) هذا الرجل : اى الرسول صلى الله عليه وسلم

* وانظر كيف اقتصروا معه على المعاريض لأن البلاء يكون نعمة ويكون نقمة ، قال الله تعالى : (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) . والمسلمون ارادوا بلاء النعمة ، والكافر ظن أنهم ارادوا بلاء النقمة . ولهذا قال بعض العلماء : لا يكون الاكراه عذرا الا عند المعاريض ، وهو صواب ان شاء الله .

لك ونُحسن فى ذلك ، قال : أترهنونى أبناءكم أو نساءكم ، قال : لقد أردت أن تفضحنا ، أنت أجمل[1] العرب فكيف نرهنك نساءنا . وكيف نرهنك أبناءنا فيعيَّر أحدهم ، فيقال : رهْنُ وَسَق[2] ورهن وَسَقَيْن . إن معىَ أصحابا على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيك بهم ، فتبيعهم وتحسن فى ذلك ونرهنك من الحلْقة [3] ما فيه وفاء ـ وأراد أبو نائلة أن لاينكر السلاح عليهم إذا أتوه ـ قال : إن فى الحلقة لوفاء . فرجع أبو نائلة إلى أصحابه / فأخبرهم الخبر . وأمرهم أن يأخذو السلاح ويأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعلوا واجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمشى بهم إلى بقيع[4] الغَرْقَد . ثم وجَّههم ، وقال : انْطَلِقُوا على اسم الله ؛ اللهم أَعِنْهُمْ . ورجع عنهم فنهضوا ـ وكانت ليلة مقمرة ـ حتى انتهوا إلى حِصْنه . فهتف به أبو نائلة ـ وكان كعب حديث عهد بعُرْسٍ ، فوثَب فى مِلْحفة ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أهل الحرب لا ينزلون فى مثل هذه الساعة ! فقال : إنه أبو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى . فقالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشرَّ[5] ، فقال لها كعب : لو دُعى الفتى إلى طعنة أجاب[6] . فنزل فتحدث معهم ساعة ، ثم قالوا[7] له : يا ابن الأشرف لو رأيت أن نتماشى إلى شعْب[8] العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا ، قال : إن شئتم ، فخرجوا يتماشون . ثم إن أبا نائلة مَسَّ فَوْد رأسه بيده ثم شمَّها ، وقال : ما رأيت كالليلة طيبا أعطر ، ثم مشى ساعة وعاد لمثلها ، حتى اطمأَنَّ ، ثم مشى ساعة وعاد لمثلها وأخذ بفَوْدَىْ رأسه ، وقال : اضربوا عدوَّ الله ، فضربوه بأسيافهم ، فصاح صيحة منكرة سمعها أهل الحصون ،

---

(١) فى بعض الروايات : وانت اشب اهل يثرب واعطرهم .
(٢) وسق : حمل بعير .
(٣) الحلقة : السلاح .
(٤) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة .
(٥) فى حديث البخارى عن جابر بن عبد الله قالت : اسمع صوتا كانه يقطر منه الدم .
(٦) فى الروايات الأخرى : لاجاب .
(٧) فى الأصل وابن هشام : قال ، وفى المراجع الأخرى : قالوا .
(٨) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة .

فأوقدوا النيران ، واختلفت سيوفهم فلم تعمل شيئا . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مِغْوَلا [1] فى سيفى حين رأيت أسيافهم لا تُغْنى ، فأخذته ـ وقد صاح عدو الله صيحة أسمعت كل حصن / حوله ، فوضعته فى ثُنَّتِهِ [2] ثم تحاملت عليه حتى بلغتُ عانته ، فوقع عدو الله ميتا . ٧٤ ظ

وأصاب الحارثَ بن أوس يومئذ جرح فى رجله أو فى رأسه ببعض سيوف أصحابه ، فتأخر ، ونجا أصحابه ، وسلكوا على دور بنى أمية بن زيد إلى بنى قريظة إلى بُعاث إلى حَرَّة العُرَيْض . وانتظروا هنالك صاحبهم حتى وافاهم . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر الليل وهو يصلِّى ، فأخبروه ، فَتَفَل فى جرح الحارث بن أوس ، فَبَرِىء . وأطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على قَتْل اليهود . وحينئذ أسلم حُوَيِّصَة بن مسعود ، وقد كان أسلم أخوه محيِّصة قبله .

غزوة [3] أُحُد

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد قدومه من بُحْران جمادى الآخرة ورجبا وشعبان ورمضان ، فغزته كفار قريش فى شوال [4] سنة ثلاث ، وقد استمدوا بحلفائهم والأحابيش [5] من بنى كنانة . وخرجوا بنسائهم لئلا يَفِرُّوا عنهن. وقصدوا المدينة ، فنزلوا قرب أُحُد على جبل على شفير الوادى بقناة مقابل المدينة .

---

(١) المغول : سيف قصير ، وحديدة لها حد ماض .

(٢) الثنة : ما دون السرة .

(٣) انظر فى غزوة أحد ابن هشام ٣/٦٤ والواقدى ص ١٩٧ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٢٥ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١٤٧ وصحيح البخارى ٥/٩٣ والطبرى ٢/٤٩٩ وانساب الأشراف ١/١٤٨ وابن حزم ص ١٥٦ وابن سيد الناس ٢/٢ وابن كثير ٤/٩ والنويرى ١٧/٨١ والسيرة الحلبية ٢/٢٨٤

(٤) كانت فى يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال ، وعند ابن سعد : لسبع ليال خلون منه ، وقيل : للنصف منه .

(٥) الأحابيش : هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة تحالفوا عند حبشى جبل مكة فسموا أحابيش باسمه ، وقيل : سموا احابيش لاجتماعهم من التحبش وهو التجمع .

فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مَنامه أن فى سيفه ثُلْمة وأن بقرًا له تُذْبحُ وأنه أدخل يده فى دِرْع حصينة[1] . فتأوّلها أن نفرا من أصحابه يُقْتَلُون وأن رجلا من أهل بيته يصاب وأن الدِّرْع الحصينة المدينة . فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه أن لا يخرجوا إليهم وأن يتحصنوا بالمدينة / فإن قربوا منها قاتلوهم على أفواه الأزِقة . ووافق رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الرأى عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول ، وأَبَى أكثر الأنصار إلا الخروج إليهم ليكرم الله من شاء منهم بالشهادة . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزيمتهم دخل بيته ، فلبس لأْمتَه[2] ، وخرج ، وذلك يوم الجمعة ، فصلَّى على رجل من بنى النجار مات ذلك اليوم يقال له مالك بن عمرو ، وقيل : بل اسمه محرز بن عامر . وندم قوم من الذين ألحّوا فى الخروج وقالوا : يا رسول الله إن شئت فارجعْ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ينبغى لنبىٍّ إذا لَبِسَ لأْمَتَه أن يضعها حتى يقاتل .

٧٥ و

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه ، واستعمل ابن أُم مكتوم على الصلاة لمن بقى بالمدينة من المسلمين ، فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو أُحد انصرف عنه عبد الله بن أُبى بن سَلول بثُلث الناس مغاضبا ، إذ خولف رأْيه ، فاتّبعهم عبد الله بن عمرو ابن حرام ، فذكَّرهم الله والرجوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبوا عليه ، فسبَّهم ، ورجع عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين ، وذكر له قوم من الأنصار أن يستعينوا بحُلفائهم من يهود ، فأَبى عليهم . وسَلَك على حَرَّة بنى حارثة ، وشَقَّ أموالهم[3] حتى مشى على مالٍ لمِرْبع بن قَيْظى وكان ضرير البصر فقام يحثو[4] التراب فى وجوه المسلمين ويقول : إن كنت رسول الله فلا يحلّ لك أن تدخل حائطى[5] / وأكثر من القول . فابتدره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، فقال عليه

٧٥ ظ

(١) فى بعض الروايات أن الرسول رأى أيضا فى منامه انه مردف كبشا وتأوله أن حامل لواء المشركين يقتل .

(٢) اللأمة : الدرع أو جميع السلاح .

(٣) أموالهم هنا : زروعهم .

(٤) يحثو : يرمى

(٥) الحائط : بستان النخيل .

السلام : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر . وضربه سعد بن زيد أخو بنى عبد الأشهل بقوسه فشجّه فى رأسه . ونفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشِّعْب من أُحد فى عُدْوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره إلى أُحد ، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم . وسَرَّحت قريش الظهر(١) والكُراع فى زروع المسلمين بقناة . وتعبَّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال ، وهو فى سبعمائة ، وقيل : إن المشركين كانوا فى ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس ، وقيل : كان فى المسلمين يومئذ خمسون فارسا(٢) . وكان رُماة المسلمين خمسين رجلا . وأَمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرُّماة عبد الله بن جُبَيْر أخا بنى عمرو بن عوف وهو أخو خَوَّات بن جُبَيْر ، وعبد الله يومئذ مُعْلَمٌ بثياب بيض ، فرتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف الجيش ، وأمره بأن ينضح(٣) المشركين بالنَّبْل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم . وظاهر(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بين دِرْعَيْن ، ودفع اللِّواءَ(٥) إلى مصعب بن عمير أحد بنى عبد الدار . وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سَمُرة بن جُنْدب الفزارى ورافعَ ابن خَدِيج ولكل واحد منهما خمس عشرة سنة . وكان رافع راميا . وردَّ رسول الله / صلى الله عليه وسلم يومئذ عبدَ الله بن عمر وزيد بن ثابت وأُسامة بن زيد والبراءَ بن عازب وأُسَيْد بن ظُهَيْر وعرابة بن أوس وزيد بن أرقم وأبا سعيد الخُدرى(٦) ، ثم أجازهم كلهم – عليه السلام – يوم الخندق(٧) ، وقد قيل إن بعض هؤلاء إنما ردَّه يوم بدر وأجازه يوم أُحد . وإنما ردَّ من لم يبلغ خمس عشرة سنة وأجاز مَنْ بلغها . وجعلت قريش على ميمنتهم فى الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم فى الخيل عِكْرِمة بن أبى جهْل . ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سَيْفَه إلى

٧٦ و

(١) الظهر : الابل . الكراع : الخيل

(٢) قيل : لم يكن مع المسلمين فرس واحد ، وقيل بل كان معهم فرس الرسول وفرس ابى بردة

(٣) ينضح : يرمى

(٤) ظاهر بين درعين : لبس احداهما فوق الأخرى

(٥) ويقال : دفعه الى على بن ابى طالب ، وهو لواء المهاجرين ، ويقال : دفع لواء الأوس الى اسيد بن خضير ولواء الخزرج الى الحباب بن المنذر

(٦) وذكر بينهم عمرو بن حزم وسعد بن عقيب . وكانوا جميعا فى سن الرابعة عشرة .

(٧) أى بعد ذلك بعام

أبي دجانة الأنصارى سِماك بن خرشة السّاعدى وكان شجاعا يختال فى الحرب . وكان أبو عامر المعروف بالراهب – وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق واسمه عبد عمرو بن صَيْفيّ بن مالك بن النعمان أحد بنى ضُبيْعَة وهو والد حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة – قد[1] ترهب وتنسك فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام غلب عليه الشقاءُ ، ففرّ عن المدينة إذ نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومبغِّضا فيه وخرج إلى مكة فى جماعة من فتيان[2] الأوس ، وشهد يوم أُحد مع الكفار ، ووعد قريشا بانحراف[3] قومه إليه ، فكان أول / منْ خرج للقاء المسلمين فى عُبْدان[4] أهل مكة والأحابيش . فلما نادى قومه وعرَّفهم بنفسه قالوا : لا أنعم الله بك عينا يافاسق ، فقال : لقد أصاب قومى بعدى شر ، ثم قاتل المسلمين قتالا شديدا .

٧٦ ظ

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد : أَمِتْ أَمِتْ . وأَبْلى يومئذ على وحمزة وأبو دُجانة وطلحة[5] بلاءً حسنا ، وأَبْلَى أنس[6] بن النَّضْر يومئذ بلاءً حسنا وكذلك جماعة من الأنصار أبلوا وأُصيبوا يومئذ مقبلين غير مدبرين . وقاتل الناس قتالا شديدا ببصائر ثابتة ، فانهزمت قريش ، واستمرت الهزيمة عليهم . فلما رأى ذلك الرماة قالوا : قد هُزِم أعداء الله فما لقعودنا ههنا معنى . فذكَّرهم أميرهم عبد الله بن جُبَيْر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بأن لا يزولوا[7] . فقالوا : قد انهزموا ولم يلتفتوا إلى قوله ، وقاموا . ثم كَرَّ المشركون وولَّى المسلمون وثبت من أكرمه الله منهم بالشهادة . ووُصِلَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل دونه مُصْعَب بن عُميْر حتى قُتِل رضى الله عنه ، وجُرِح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى

---

(١) فى الأصل : وكان ابوه ابو عامر قد ترهب . وحذفنا الجزء الأول لاطراد السياق . وقد نقله ابن حزم عن ابن عبد البر دون نظر الى السياق . انظر ص ١٥٩ .

(٢) هكذا فى ابن حزم وفى الأصل : من الاوس فتيان .

(٣) لانه كان سيدا فيهم .

(٤) عبدان : عبيد

(٥) هو طلحة بن عبيد الله .

(٦) هكذا فى المصادر المختلفة والاستيعاب ص ٣٣ وفى الأصل : النضر بن أنس . ويظهر انه سهو من ابن عبد البر نفسه ، وسيذكر عما قليل اسمه صحيحا .

(٧) يزول : يترك مكانه .

وجهه وكُسِرت رَبَاعِيَّتُه[١] اليمنى السُّفْلى بحجر وهُشِمت البيضة[٢] [على] رأسه صَلَّى الله عليه وسلم وجزاه عن أُمته ودينه بأَفضل ما جَزَى به نبيا من أنبيائه عن صَبْره . وكان الذى تولَّى ذلك من النبي عليه السلام عمرو بن قَمِئة اللَّيْثى وعتبة / بن أَبى وقَّاص . وقد قيل إن عبد الله ابن شهاب جد[٣] الفقيه محمد بن مسلم بن شهاب هو الذى شَجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جبهته[٤] . وأكبّت الحجارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥] حتى سقط فى حفرة كان أَبو عامر الراهب قد حفرها مكيدة للمسلمين ، فخرَّ عليه السلام على جنْبه ، فأَخذ علىٌّ بيده ، واحتضنه طلحة حتى قام . ومَصَّ مالك بن سنان – والد أَبى سعيد الخُدْرِىّ – من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الدَّم . ونَشِبَتْ حلقتان من حلق المِغْفَر[٦] فى وجهه صلى الله عليه وسلم ، فانتزعهما أَبو عبيدة بن الجَرَّاح – وعضَّ عليهما – بثَنِيَّتيهِ ، فسقطتا ، وكان الهتم يزينه . وأَعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية – حين قُتل مصعب بن عمير – علىَّ بن أَبى طالب .

وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأَنصار . وشدَّ حَنْظَلَة الغَسِيل بن أَبى عامر على أَبى سفيان بن حرب ، فلما تمكن منه حمل شداد بن الأَسود الليثى – وهو ابن شَعوب – على حنظلة ، فقتله . وكان جُنُبًا فغسلته الملائكة ، أَخبر بذلك جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وأَخبر رسول الله بذلك أَصحابه ، وقال : كان حنظلة قد قام من امرأَته جُنُبًا فغسَّلته الملائكة .

وقُتل صاحب لواء المشركين ، فسقط لواؤهم ، فرفعته عَمْرة بنت علقمة الحارثية للمشركين / فاجتمعوا إليه ، وحملوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكر دونه نفر من الأَنصار ، قيل سبعة ، وقيل عشرة ، فقُتلوا كلهم ، وكان آخرهم عمارة بن يزيد بن السَّكن أَو زياد بن

٨٨ و

٧٧ ظ

---

(١) الرباعية : السن بين الثنية والناب .
(٢) البيضة : الخوذة .
(٣) فى بعض الروايات أنه عم الفقيه ابن شهاب الزهرى . وانظر الاستيعاب ص ٣٩٨ .
(٤) فى ابن هشام : ان عتبة بن ابى وقاص هو الذى رمى رسول الله فكسر رباعيته وان ابن شهاب شجه فى جبهته وأن ابن قمئة جرح وجنته .
(٥) فى الأصل زيادة : فى جبهته . ولا موضع لها . ولعلها خطأ من الناسخ .
(٦) المغفر : زرد أو حلق يتقنع به المتسلح.

السَّكن . وقاتل يومئذ طلحة قتالا شديدا ، وقاتلت أُم[1] عمّارة الأنصارية ، وهى نُسَيْبَة بنت كعب قتالا شديدا ، وضربت عمرو بن قَمِئة بالسيف ضربات فوقاه درعان كانتا عليه وضربها عمرو بالسيف فجرحها جرحا عظيما على عاتقها . وتَرَّس[2] أَبو دجانة بظهره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والنَّبْلُ يقع فيه وهو لايتحرك ، وحينئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أَبى وقّاص : ارْم فِداك أَبى وأُمى . وأُصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان الظَّفِرى فأَتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيْنه على وَجْنته ، فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وغمزها[3] فكانت أَجمل عينيه وأَصحّهما .

وانتهى أَنَس بن النَّضْر ، وهو عم أَنس بن مالك ، يومئذ إلى جماعة من الصحابة قد أَلقوا[4] بأَيديهم ، فقال [لهم] : ما يُجْلسكم ؟ قالوا : قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم : ما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم استقبل الناس ، ولقى سعد بن معاذ فقال له : يا سعد والله إنى لأَجد ريح الجنَّة من قِبل أحد ، فقاتل حتى قُتِل ، رضى الله عنه ، وُجِدَ به أَزيد من سبعين جُرْحا من بين ضَرْبة وطَعْنة / ورمْيَةٍ فما عرفتْه إلا أُخته ببنَانه ، ميَّزتْه . وجُرح يومئذ عبد الرحمن بن عَوْف نحو عشرين جراحة بعضها فى رجله ، فعرج منها – رحمه الله – إلى أَن مات .

٧٨ و

وأَوَّلُ من ميَّز رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الجوْلة كعب بن مالك الشاعر ، فنادى بأَعلى صوْته : يا معشر المسلمين أَبْشِروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأَشار إليه رسوله الله صلى الله عليه وسلم أَنْ أَنْصِتْ[5] . فلما عرفه المسلمون مالوا إليه وصاروا حوله ونهضوا معه نحو الشِّعْب ، فيهم أَبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزُّبير والحارث بن الصِّمَّة الأَنصارى وجماعة من الأَنصار . فلما أُسْنِد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب أَدركه أُبىّ بن خلف الجمحى ،

---

(١) من بنى النجار وهى أم حبيب وعبد الله ابنى زيد بن عاصم شهدت احـدا مع زوجهـا وابنيها ، كما شهدت بيعة الرضوان وابلت فى حرب اليمامة لعهد الصديق .

(٢) ترس بظهره : أى اتخذه ترســا وقاية للرسول .

(٣) فى الاستيعاب : وغمزها براحته .

(٤) كناية عن انصرافهم عن الحرب .

(٥) فى بعض المصادر : اصمت .

فتناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصِّمَّة ، ثم طعنه بها فى عنقه ، فكرَّ أبىٌّ منهزما ، فقال له المشركون : والله ما بك من بأسٍ ، فقال : والله لو بزق[١] علىّ لقتلنى ، أليس قد قال : بل أنا أقتله . وكان قد أَوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم القتل بمكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك . فمات عدو الله من ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرجعه إلى مكة بموضع يقال له : سَرِف[٢] .

وملأَ علىٌّ دَرَقَته[٣] من ماءِ المِهْراس[٤] وأتى به رسول الله ليشربه ، فوجد فيه رائحة ، فعافه وغسل به من الدم وجهه ، ونهض / إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وكان عليه درعان وكان قد بدَّن[٥] ، فلم يقدر [أن] يعلوها ، فجلس له طلحة ، وصعِد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره ، ثم استقلَّ به طلحة حتى استوى على الصخرة . وحانت الصلاة ، فصلَّى جالسا والمسلمون وراءه قعودًا .

٧٨ ظ

روى سُفيان الثَّوْرى ومعمر بن كُراع عن سعد بن إبراهيم ، عن أَبيه ، عن جده ، عن سعد ابن أَبى وقَّاص ، قال : رأيت عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وعن شماله رجلين عليهما ثياب بيض يوم أُحد لم أَرهما قَبْلُ ولا بعْدُ .

وانهزم قوم من المسلمين يومئذ ، منهم عثمان بن عَفَّان ، فعفَا الله عنهم ونزل فيهم : (إن الذين تولَّوا منكم يوم التقى الجمْعان إنما استزلَّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عَفا الله عنهم ـ الاية) . وكان الحُسَيْل بن جابر العَبْسى ـ وهو اليمان والد حذيفة بن اليمان ـ وثابت بن وقْش شيخين كبيرين قد جُعلا فى الآطام[٦] مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه : ما بقى من أعمارنا[٧] ؟ !

---

(١) فى بعض المصادر : بصق .
(٢) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .
(٣) الدرقة : الترس من جلد .
(٤) المهراس : اسم ماء بأقصى شعب احد .
(٥) بدن : أسن وضعف .
(٦) الآطام : الحصون .
(٧) فى بعض المصادر : ما بقى من أعمارنا ظمء حمار . والظمء : مابين الوردين ، والحمار : أقصر الدواب ظمأ أى ما بقى من أعمارنا الا القليل .

فلو أخذنا سيوفنا ولحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا الشهادة . وفعلا ذلك ، فدخلا فى جملة المسلمين . فأما ثابت بن وقْش فقتله المشركون ، وأما الحُسيْل فظنه المسلمون من المشركين فقتلوه خطأ ، وقيل إن الذى قتله عتبة بن مسعود . وكان حذيفة يصيح والمسلمون قد علوا أباه : أبى أبى ! ثم تصدّق بديته على المسلمين .

٧٩ و

وكان مُخَيْريق أحد بنى ثعلبة بن الفِطْيَوْن من اليهود قد دعا اليهود / إلى نصْر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم : والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم حق ، فقالوا له : إن اليوم السبت ، فقال : لا سبْتَ لكم . وأخذ سلاحه ، ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قُتل ، وأوصى : أن ماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فيُقال إن بعض صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة من مال مُخَيْريق .

وكان الحارث بن سُوَيد بن الصامت منافقا لم ينصرف مع عبد الله بن أُبىّ فى حين انصرافه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعته عن غزاة أحد ، ونهض مع المسلمين ، فلما التقى المسلمون والمشركون بأُحد عدَا على المجذَّر بن ذياد البلوى وعلى قَيْس بن زيد أحد بنى ضُبيْعَة ، فقتلهما وفرّ إلى الكفار ـ وكان المجذر قد قتل فى الجاهلية سُوَيْد بن الصامت والد الحارث المذكور فى بعض حروب الأوس والخزرج ـ ثم لحق الحارث بن سويد ـ مع الكفار بمكة ، فأقام هناك ما شاء الله ، ثم حيَّنه(١) الله فانصرف إلى المدينة إلى قومه . وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء ، نزل جبريل عليه السلام ، فأخبره أن الحارث بن سويد قد قدم فانهض إليه ، واقتصّ منه لمن قتله من المسلمين غَدْرًا يوم أُحد . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قُباء فى وقت لم يكن يأتيهم فيه ، فخرج إليه الأنصار أهل قُباءٍ فى جماعتهم وفى جملتهم الحارث بن سُوَيْد وعليه ثوب مورَّس(٢) . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عُويْم بن ساعدة ، فضرب عنقه / وقال الحارث : لِمَ يا رسول الله ؟ فقال : بقتلك المجذَّر بن ذياد وقيس بن زيد . فما راجعه بكلمة وقدَّمه عويمر ، فضرب عنقه . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل عندهم .

٧٩ ظ

وكان عمرو بن ثابت بن وقْش من بنى عبد الأشهل يُعْرَفُ بالأُصيْرم يأبى الإسلام . فلما

---

(١) حينه : كتب عليه الحين وهو الهلاك والموت .

(٢) مورس : مصبوغ بالورس وهو نبات اصفر .

كان يوم أُحد قذف الله الإسلام فى قلبه للذى أُراد من السعادة به . فأسلم وأخذ سيفه ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقاتل حتى أُثْبِت[1] بالجِراح ولم يعلم أحد بأمره . ولما انجلت الحرب طاف بنو عبد الأَشهل فى القتلى يلتمسون قتلاهم ، فوجدوا الأُصَيْرم وبه رَمَقٌ لطيف ، فقالوا : والله إن هذا الأُصَيْرم ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكرٌ لهذا الأَمر . ثم سأَلوه : يا عمرو ما الذى جاء بك إلى هذا المشهد ؟ أَحَدب على قومك أم رغبة فى الإسلام ؟ فقال : بل رغبة فى الإسلام ، آمنت بالله ورسوله ، ثم قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [حتى[2] أصابنى ما ترون . فمات من وقته ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم] فقال : هو من أَهل الجنة . ولم يُصَلِّ صلاة قط .

وكان فى بنى ظفر رجل لا يُدْرَى ممن هو يقال له قُزْمان[3] أَبْلَى يوم أُحد بلاءً شديدا ، وقتل يومئذ سبعة من وجوه المشركين ، وأُثْبِت جراحا ، فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأَمره ، فقال : هو من أَهل النار . وقيل لقزمان : أَبْشِرْ بالجنة ، فقال : بماذا ؟ وما قاتلت إلا عن أَحساب قومى . ثم لما اشتد عليه أَلم الجِراح أَخرج سهما من كِنانته ، فقطع به بعض عُروقه ، فجرى دمه حتى مات . ومُثِّل بقتلى / المسلمين . وأخذ الناس ينقلون قتلاهم بعد انصراف قريش ، فأَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أَن يُدْفَنُوا فى مضاجعهم بدمائهم وثيابهم لا يُغْسَلُون .

٨٠ و

ذكر من استُشهد[4] من المهاجرين يوم أُحد

حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عن حمزة ، قتله وحشى بن حرب مولى طُعَيْمَة بن عدى بن نوفل وقيل : مولى جُبَيْر بن مُطْعِم بن عدى ، وأَعتقه مولاه لقتاله حمزة ،

---

(١) أثبت بالجراح : عرف بين الجرحى .

(٢) زيادة من ابن حزم للسياق . وكان هنايتابع ابن عبد البر . وواضح سقوطها من الأصل

(٣) فى ابن سيد الناس ٢/٢٧ : ذكره ابن سعد فقال : قزمان بن الحارث من بنى عبس حليف لبنى ظفر .

(٤) انظر فى شهداء أحد من المهاجرين والأنصار ابن هشام ٣/١٢٩ والواقدى ٢٩١ وابن سعد ج٢ق١ص ٢٩ وابن حزم ص ١٦٦ وابن سيد الناس ٢/٢٧ وابن كثير ٤/٤٦ والنويرى ١٧/١٠٤

وكان وحشى حبشيا يرمى بالحرْبة رَمْىَ الحبشة ثم أسلم ، وقَتل بتلك الحربة مُسَيْلمَة الكذَّاب يوم اليمامة . وعبد الله بن جحش بن رئاب الأَسدى حليف بنى عبد شمس وهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم دُفن مع حمزة فى قبر واحد . وقد ذكرنا خبره عند ذكره فى [كتاب] الصحابة[1] . ويعرف بالمجدَّع فى الله لأَنه تمنَّى ذلك قبل الدخول فى القتال يوم أُحد فقُتل وجُدع أَنفه وأُذنه وجُعلا فى خيط . ومصعب بن عمير[2] قتله ابن قَمِئة اللَّيثى . وشماس[3] بن عثمان واسمه عثمان ابن عثمان[4] . وشمَّاس لقب أَربعة من المهاجرين .

تسمية منْ قُتِل[5] من الأَنصار يوم أُحد

استشهد يومئذ من الأَوس ثم من بنى عبد الأَشهل : عمرو بن معاذ أَخو سعد بن معاذ ، والحارث بن أَوس بن معاذ ابن أَخى سعد بن معاذ ، والحارث بن أَنَس بن رافع ، وعمارة بن / زياد بن السَّكن[6] ، وسلمة ، وعمرو ابنا ثابت بن وقش ، وأَبوهما ثابت بن وقش ، وأَخوه رفاعة بن وقش ، وصيْفِىّ بن قَيْظِى ، وخَباب[7] بن قيْظى ، وعَبَّاد بن سهل ، واليَمان بن جابر والد حذيفة بن اليمان واسمه حُسيْل حليف لهم من عَبْس ، وعبيد بن التَّيْهان ، وحبيب[8]

٨٠ ظ

---

(١) راجع الاستيعاب ص ٣٥٢ حيث رَوى أنه دعا ربه أن يلقى مشركا فيقتله المشرك ويجدع أنفه وأذنه فى سبيل الله ورسوله .

(٢) عبدرى : من بنى عبد الدار .

(٣) من بنى مخزوم .

(٤) قال ابن سيد الناس ٢/٢٧ زاد ابن عقبة فى شهداء المهاجرين سعدا مولى حاطب الأسدى وزاد ابن سعد عبد الله وعبد الرحمن ابنى الهبيب الليثى ووهب بن قابوس المزنى وابن اخيه الحارث ابن عقبة وملكا ونعمان ابنى خلف بن عوف، وزاد أبو عمر فى الاستيعاب ثقف بن عمرو الاسلمى حليف بنى عبد شمس .

(٥) هكذا فى الأصل وكان ينبغى أن يقال : من استشهد .

(٦) فى ابن هشام : السكن بفتح الكاف وتسكينها .

(٧) هكذا فى الأصل وفى ابن هشام : حباب ، وترجم ابن عبد البر فى الاستيعاب له باسم حباب وخباب جميعا .

(٨) هكذا فى الأصل والاستيعاب ص ١٢٥ وقال هناك انه من بنى بياضة من الأنصار ، وفى ابن هشام : حبيب بن يزيد ، وفى ابن سيد الناس : أنه من بنى بياضة وكان حليفا لبنى عبد الاشهل . وقد زاد ابن سيد الناس رجالا آخرين من بنى عبد الاشهل وغيرهم من كتب الطبقات

ابن زيد ، وإياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زعوراء بن جُشَم بن عبد الأَشهل .

ومن بنى ظَفر : زيد[1] بن حاطب بن أُمية بن رافع .

ومن بنى عمرو بن عوف ثم من بنى ضبيعة بن زيد : أَبو سفيان بن الحارث بن قيس بن يزيد[2] ، وحنظلة[3] الغَسِيل بن أَبى عامر الراهب بن صيفى بن النعمان .

ومن بنى عُبيْد بن زيد : أُنَيْس بن قتادة .

ومن بنى ثعلبة [بن] عمرو بن عوف : أَبو حبّة[4] بن عمرو بن ثابت وهو أَخو سعد بن خَيْثمة لأُمه ، وعبد الله بن جُبَيْر بن النعمان أَمير الرماة .

ومن بنى السَّلْم بن امرىءِ القيس بن مالك بن الأَوس : خيْثَمة والد سعد بن خيثمة . ومن حلفائهم من بنى العجْلان : عبد الله بن سلمة .

ومن بنى معاوية بن مالك : سُبَيْع[5] بن حاطب بن الحارث ، ومالك بن أَوس[6] حليف لهم .

ومن بنى خَطْمة واسم خطمة عبد الله بن جشم بن مالك بن الأَوس : عمير[7] بن عدى ولم يكن / يومئذ فى بنى خطمة مسلم غيره فى قول بعضهم . وقد قيل إن الحارث بن عدى بن خَرَشَة بن أُمية بن عامر بن خطمة ممن استُشْهد يومئذ . ٨١

---

(١) وقيل : يزيد .

(٢) فى ابن هشام ومصادر أخرى : زيد .

(٣) ورد نسب حنظلة فى الاصل هكذا : حنظلة الغسيل بن أبى عامر الراهب بن صيفى ابن النعمان ابن قيس بن زيد بن ضبيعة . والشطر الأخير من النسب خطأ ، انما هو النعمان بن مالك ابن ضبيعة بن زيد ـ انظر الاستيعاب ص ١٠٦ وقارن بابن هشام ٣/١٣٠ ويظهر ان هذا الاضطراب من ابن عبد البر نفسه لأن ابن حزم تابعه فيه فاضطرب الاسم عنده . انظر ص١٦٩.

(٤) ويقال فيه : أبو حنة بالنون وأبو حية بالياء .

(٥) وقيل فيه : سويبق .

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى الاستيعاب وابن هشام وابن سيد الناس : مالك بن نميلة وهى أمه وهو مالك بن ثابت

(٧) لم يذكره سوى ابن عبدالبر وكان ضريرا ، وقد ترجم له الاستيعاب ولم يذكر انه استشهد بأحد مع نصه على كل من استشهدوا بها ، وقد روى عن الواقدى انه لم يشهد احدا ولا الخندق .

واستشهد يوم أُحد من الخزرج ثم من بنى النجار : عمرو بن قيس بن زيد بن سواد ، وابنه قيس بن عمرو ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مخلَّد ، وأبو هبيرة بن الحارث بن علقمة ، وعمرو بن مطرِّف ، وإياس بن عدى ، وأوس[1] بن ثابت أخو حسان بن ثابت وهو والد شداد ابن أوس ، وأَنَس بن النضر بن ضمضم عم أنس بن مالك ، وقيس بن مخلَّد من بنى مازن بن النجار ، وكيْسان عبد لهم .

ومن بنى الحارث[2] بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبى زُهيْر ، وسعد بن الربيع بن عمرو ابن أبى زهير ودُفنا فى قبر واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس أخو زيد بن أرقم .

ومن بنى الأبجر وهم بنو خُدْرة : مالك بن سنان والدأبى سعيد الخُدرىّ ، وسعيد[3] بن سُويْد بن قيس بن عامر ، وعتبة بن ربيع[4] بن رافع .

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبة بن سعد بن مالك ، وثقْف[5] بن فروة بن البدن ، وعبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة ، وضَمْرة حليف لهم من جهينة .

ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى سالم : عمرو[6] بن إياس ، ونوفل[7] بن عبد الله ، وعبادة بن الخشخاش ، والعباس / بن عبادة بن نَضْلة ، والنعمان بن مالك بن ثعلبة ، والمجذَّر بن ذياد البلوىّ حليف لهم . ودُفن النعمان والمجذَّر وعبادة فى قبر واحد .

٨١ظ

ومن بنى سواد بن مالك : مالك[8] بن إياس .

ومن بنى سَلِمة : عبد الله بن عمرو بن حرام اصطبح الخمر ذلك اليوم ثم قتل آخر النهار

(١) فى ابن سيد الناس : زعم الواقدى انهبقى الى خلافة عثمان
(٢) فى ابن هشام قبلهم : ومن بنى دينار بن النجار : سليم بن الحارث ونعمان بن عبد عمرو. رجلان . وقد أغفلهما ابن حزم متابعا فى ذلك ابن عبد البر
(٣) فى بعض المصادر : سعد . وقد عقد ابن عبد البر فى الاستيعاب ترجمتين لهما !
(٤) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب ، وفى الأصل : رفيع
(٥) بعضهم يفتح قافه ، وعند بعض آخر :ثقيف ، ويقال فى البدن : البدى
(٦) لم يذكره ابن اسحق . انظر الاستيعاب ص ٤٤٢
(٧) فى بعض المصادر : نوفل بن ثعلبة بن عبد الله
(٨) لم يذكره ابن هشام

شهيدا ثم نزل تحريم الخمر بعد ، وعمرو بن الجَموح بن زيد بن حرام دُفِنا فى قبر واحد كانا صِهْرين وصديقين متآخيين ، وابنه خلَّاد بن عمرو بن الجَموح ، وأبو أُسيرة[1] مولى عمرو ابن الجموح .

ومن بني سواد بن غَنْم : سليم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنترة[2] ، وسهل[3] بن قَيس بن أَبي كعب .

ومن بنى زريق بن عامر : ذكوان بن عبد قيس ، وعبيد بن المعلَّى بن لَوْذَان .

وجميعهم سبعون[4] رجلا ، واختُلف فى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهداء أُحد ولم يختلف عنه فى أَنه أَمر أَن يدفنوا بثيابهم ودمائهم ولم يغسلوا .

[تسمية منْ قُتِل من كُفَّار قريش يوم أُحد]

وقُتل من كفار قريش يوم أُحد اثنان وعشرون رجلا ، منهم من بنى عبد الدار أَحد عشر رجلا : طلحة ، وأَبو سعيد ، وعثمان بنو أَبي طلحة واسم أَبي طلحة عبد الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار . قتل طلحةَ بن أَبي طلحة علىٌّ ، وقتل أَبا سعيد بن أَبي طلحة سعد بن أَبي وقَّاص وقال ابن هشام : بل قتله على ، وعثمان بن أَبي طلحة قتله حمزة . ومسافع والحارث / والجُلاس وكلاب بنو طلحة المذكور . قتل مسافعا والجُلاس عاصمُ بن ثابت بن أَبي الأَقْلَح ، وقتل كلابا والحارث قزمان وقيل : بل قتل كلابا عبد الرحمن بن عوف . وأَرطاة بن [عبد[5]] شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة ، وأَبو يزيد[6] بن عمير بن هاشم

٥٨٢

(١) لم يذكره ابن اسحق ، انما ذكره الواقدى كما قال ابن عبد البر فى الاستيعاب . وقد ذكر ابن هشام وأكثر المصادر مكانه : أبا أيمن مولى عمرو بن الجموح ، وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب انه قتل يوم أحد شهيدا

(٢) هكذا فى المصادر المختلفة والاستيعاب ص ٥٢٤ وفى الأصل : عامر

(٣) هكذا فى المصادر المختلفة والاستيعاب ، وفى الأصل : سهيل

(٤) عد ابن سيد النـاس منهم ما يزيد على المائة نقلا عن كتب السير والطبقات وعقب على ذلك بأنه ذكر أن قتلى أحد سبعون ، وانما نشأت هذه الزيادة من الخلاف فى الرواية والأسماء

(٥) زيادة من ابن هشام وغيره .

(٦) هكذا في ابن هشام وغيره ، وفى الاصل: زيد

ابن عبد مناف بن عبد الدار أخو مصعب بن عمير قتاه قزمان ، والقاسط بن شرَيح بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان ، وصُؤَاب مولى أبي طلحة . واختُلف فى قاتل صُؤاب ، فقيل قزمان ، وقيل على ، وقيل سعد ، وقيل أبو دُجانة .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى رجلان : عبد الله بن حُمَيْد بن زهير بن الحارث بن أسد قتله على ، وسِباع[1] بن عبد العُزَّى الخُزاعى حليف بنى أسد .

ومن بنى مخزوم أربعة : هشام[2] بن أبى أمية بن المغيرة أخو أم سلمة أم المؤمنين ، والوليد ابن العاص بن هشام بن المغيرة ، وأبو[3] أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة ، وخالد بن[4] الأعلم حليف لهم .

ومن بنى زهرة : أبو الحكم بن الأخنس بن شَرِيق حليف لهم قتله على .

ومن بنى جُمَح رجلان : أُبَىّ بن خلف قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو عَزَّة وا سمه عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جُمَح أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه صبرا ، وذلك أنه مَنَّ عليه يوم بدر وأطلقه من الأسرى بلا فداء ، وأخذ عليه / أن لا يُعين عليه فنقض العهد وغزاه مع المشركين يوم أُحد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : [والله][5] لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمدا مرتين ، وأمر به ، فضُرِبت عنقه .

ومن بنى عامر بن لُؤى رجلان : عبيدة بن جابر قتله ابن مسعود . وشيبة بن مالك .

---

(1) قتله حمزة .
(2) قتله هو وتاليه قزمان .
(3) قتله على بن أبى طالب .
(4) قتله قزمان .
(5) زيادة من ابن حزم .

غزوة[1] حمراء الأَسَد

وكانت وقعة أُحُد يوم السبت للنصف[2] من شوال من السنة الثالثة من الهجرة . فلما كان من الغد يوم الأحد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى إثر العدو ، وعَهِدَ أن لا يخرج معه إلا مَنْ حضر المعركة ، فاستأذنه جابر بن عبد الله فى أن يفسح له فى الخروج معه ، ففعَل وكان أبوه عبد الله بن عمرو بن حَرام ممن استُشْهد يوم أُحد فى المعركة .

فخرج المسلمون على ما بهم من الجهد والقَرْح[3] ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا[4] للعدو ، حتى بلغ موضعا يُدْعَى حمراءَ الأَسد على رأس ثمانية[5] أميال من المدينة ، فأقام به يوم الإثنين[6] ، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة . قال ابن إسحق : وإنما خرج بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليظنوا أن بهم قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم[7] .

وكان مَعْبد بن أبى معبد الخُزاعى قد رأى خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين إلى حمراءِ الأَسد ، ولقى أبا سفيان وكفار / قريش بالرَّوْحاء ، فأخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم ، ففتَّ ذلك فى أعضاد قريش ، وقد كانوا أرادوا الرجوع إلى المدينة ، فكسرهم خروجه صلى الله عليه وسلم ، فتمادوا إلى مكة . ٨٣

وظفِر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خروجه بمعاوية بن المغيرة بن العاص بن أُمية ، فأمر بضرب عنقه صبرا ، وهو والد عائشة أُم عبد الملك بن مروان .

---

(١) انظر فى غزوة حمراء الأسد ابن هشام١٠٧/٣ والواقدى ٣٢٥ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣٤ والطبرى ٥٣٤/٢ وابن حزم ص ١٧٥ وابن سيد الناس ٣٧/٢ وابن كثير ٤٨/٤ والنويرى ١٢٦/١٧ والسيرة الحلبية ٣٣٦/٢ .

(٢) مر بنا فى غزوة أحد الخلاف فى تحديد يومها من شوال .

(٣) القرح : الجراح .

(٤) على الرغم من جراحه وكان لواء جيشه فى احد لا يزال معقودا فدفعه الى على وقيل : بل الى أبى بكر .

(٥) ويقال : هى على عشرة أميال من المدينة .

(٦) ويقال : كانوا يوقدون فى ليالى هذه الايام من النيران خمسمائة نار ، حتى يذهب صوت معسكرهم فى كل وجه .

(٧) وفى هذه الغزوة نزلت الآيتان الكريمتان : (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا أجر عظيم .. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) .

بَعْثُ[1] الرَّجِيع

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر صفر وهو آخر[2] السنة الثالثة من الهجرة نَفَرٌ من عَضَل والقارَة وهم بنو الهُون بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكة ، فذكروا له أنهم قد أسلموا ورغبوا أن يبعث معهم نفرا من المسلمين يعلمونهم القرآن ويفقهونهم فى الدين .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم[3] ستة رجال : مَرْثَدَ بن أبى مَرْثد الغَنَوِىّ ، وخالد بن البُكَيْر اللَّيْثى ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلَح ، وخُبَيْب بن عدِىّ وهما من بنى عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّثِنَةَ ، وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر ، وأمَّر عليهم مَرْثد[4] بن أبى مرثد .

فنهضوا مع القوم حتى إذا صاروا بالرجيع وهو ماء لهُذَيْل بناحية[5] الحجاز استصرخوا عليهم هُذَيْلا ، وغدروا بهم . فلم يَرُع القوم / وهم فى رِحالهم إلا الرجال قد غشوهم وبأيديهم السيوف . فأخذ المسلمون سيوفهم ليقاتلوهم ، فأمَّنوهم ، وأخبروهم أنهم لا أَرَبَ لهم فى قتلهم وإنما يريدون[6] أن يصيبوا بهم فداءً من أهل مكة .

٨٢ ظ

فأما مرْثَد بن أبى مَرْثد وعاصم بن ثابت وخالد بن البكير فأبوا أن يقبلوا منهم قولهم ذلك ، وقالوا : والله لاقبلنا لمشرك عهدا أبدا ، وقاتلوا حتى قُتلوا ، رحمةُ الله عليهم . وكان عاصم بن ثابت قد قَتل يوم أُحُد فَتَيَيْن[7] من بنى عبد الدار أخوين أمهما سُلافة بنت سعد ابن شُهيد ، فنذرت إنِ الله أمكنها من رأس عاصم لتشربنّ فى قِحْفِه[8] الخمر . فرامت بنو هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة ، فأرسل الله عَزَّ وَجَلَّ دونه الدَّبْر[9] فحمَتْهُ ، فقالوا إن

---

(١) انظر فى هذا البعث ابن هشام ١٧٨/٣ والواقدى ٣٤٤ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣٩ والبخارى ٦٧/٤ ، ١٠٣/٥ والطبرى ٥٣٨/٢ وابن حزم ص ١٧٦ وابن سيد الناس ٤٠/٢ وابن كثير ٦٢/٤ والنويرى ١٣٣/١٧ .

(٢) هكذا فى جميع المصادر ، وفى الاصل : أول ، وهو خطأ من الناسخ .

(٣) هكذا فى ابن هشام نقلا عن ابن اسحق ، وفى صحيح البخارى وابن سعد انهم كانوا عشرة ، وفى الواقدى أنهم كانوا سبعة وكذلك فى الاستيعاب ص ١٦٧ ، ولم يذكر الرواة أسماء ثلاثة أما الرابع فهو معتب بن عبيد أخو عبد الله بن طارق لامه وقد قتل مع مرثد وصاحبيه .

(٤) فى البخارى وبعض المصادر : انه أمر عليهم عاصم بن ثابت .

(٥) بين عسفان ومكة

(٦) هكذا فى ابن حزم وهو هنا يتابع ابن عبد البر ، وفى الاصل : ارادوا .

(٧) هما مسافع والجلاس كما مر آنفا .

(٨) القحف : ما انفلق من الجمجمة .

(٩) الدبر : النحل .

الدَّبْرَ سيذهب فى الليل ، فإذا جاء الليل أخذناه . فلما جاء الليل أرسل الله عَزَّ وجَلَّ سيلا لم يُرَ مثله ، فحمَله ، ولم يصلوا إلى جثته ولا إلى رأسه . وكان قد نذر أن لا يمّس مشركا أبدا . فأَبَر الله عزَّ وَجَلَّ قسَمه ، ولم يروه ، ولا وصلوا إلى شيءٍ منه ، ولا عرفوا له مَسْقَطًا . وأما زيد بن الدَّثِنةَ وخُبَيْب بن عدى وعبد الله بن طارق فأَعطوا بأَيديهم[1] ، فأَسروهم وخرجوا بهم إلى مكة . فلما صاروا بمرِّ[2] الظَّهْران انتزع عبد الله بن طارق يا ه من القِران[3] ، ثم أَخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، ورموه بالحجارة حتى / قتلوه ، فقبره بمَرِّ الظَّهْران . ٨٤ و

وحملوا خُبَيْب بن عدى وزيد بن الدَّثِنة فباعوهما بمكة . وقد ذكرنا خبر خبيب وما لقى بمكة عند ذكر اسمه فى كتاب الصحابة[4] ، وصُلب خبيب – رحمه الله – بالتنعيم[5] ، وهو القائل حين قُدِّم ليُصْلب :

ولستُ أُبالى حين أُقْتَلُ مسلما ... على أىِّ جَنْبٍ كان فى الله مَصْرعِى[6]

وذلكَ فى ذات الإلٰه وإن يشَأْ ... يبارِكْ على أَوْصالِ شِلْوٍ ممزَّعِ[7]

فى أبيات قد ذكرتها عند ذكره فى كتاب الصحابة . وهو أول من سَنَّ الركعتين عند القتل . وقال له أَبو سفيان[8] بن حَرْب : أَيسرُّك – يا خُبَيْبُ – أَن محمدا عندنا بمكة تُضْرَب عنقه وأَنك سالم فى أَهلك ؟ فقال : والله ما يسرُّنى أَنى سالم فى أَهلى وأَن يصيب محمدا شوكة تؤذيه . وابتاع زيد بن الدَّثنة صفوان بن أمية ، فقتله بأَبيه[9] .

---

(١) أعطوا بأيديهم : كناية عن انقيادهم .
(٢) مر الظهران : واد قرب مكة .
(٣) القران : القيد .
(٤) انظر الاستيعاب ص ١٦٧ حيث يذكر صلب عقبة بن الحارث بن نوفل له ثأرا لأبيه المقتول ببدر وما أظهر خبيب فى صلبه من قوة ايمانه .
(٥) التنعيم : موضع خارج الحرم فى الحل .
(٦) روى الشطر الثانى هكذا : على أى شق كان لله مصرعى ، وروى : على أى حال كان فى الله مضجعى .
(٧) أوصال : أعضاء . شلو هنا : جسد .
(٨) وروى هذا الخبر بين أبى سفيان وابن الدثنة .
(٩) هو أمية بن خلف .

بَعْثُ(١) بِئْر مَعُونة

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي – رحمه الله – قال : حدثنا الحسن بن إسماعيل ، قال : حدثنا عبد الملك بن بجير ، قال : حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ ، قال : حدثنا سنيد ، قال : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن حميد ، عن أَنَسٍ ، قال :

كان شباب من الأَنصار يسمعون القرآن ينتحون ناحية من المدينة يحسب أَهلوهم أَنهم في المسجد ويحسب أَهل المسجد أَنهم في أَهليهم ، فيُصَلُّون / من الليل حتى إذا قارب الصبح احتطبوا الحطب واستعذبوا الماءَ فوضعوه على أَبواب حُجَر النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فبعثهم جميعا إلى بئر مَعُونة ، فاستشهدوا . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم على قتلَتهم أَياما .

٨٤ ظ

قال سُنَيْد : وحدثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عكرمة ، قال :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الأَنصارى أَحد بنى النجار – وهو أَحد النقباءِ ليلة العقبة – فى ثلاثين(٢) راكبا من المهاجرين والأَنصار ، فخرجوا فلقوا عامر(٣) بن الطُّفَيْل بن مالك بن جعفر بن كلاب على بئر معونة وهى من مياه(٤) بنى عامر ، فاقتتلوا ، فقَتل المنذر بن عمرو وأَصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا فى طلب ضَالَّةٍ لهم ، فلم يَرُعْهم إلا الطير تحوِّم فى السماءِ يسقط من خراطيمها عَلَق(٥) الدَّم ، فقال أَحد النَّفَر : قُتِل أَصحابنا ، والرحمن . وذكر سنيد تمام الخبر فى ذلك وفى بنى النَّضير(٦) ، وسياق ابن إسحق لخبرهم أَحسن وأَبْين ، قال ابن إسحق :

---

(١) انظر فى بعث بئر معونة ابن هشام ١٩٣/٣ والواقدى ٣٣٧، ٣٧٨ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣٦ والبخارى ١٠٣/٥ والطبرى ٥٤٥/٢ وابن حزم ص ١٧٨ وابن سيد الناس ٤٦/٢ وابن كثير ٧١/٤ والنويرى ١٣٠/١٧ .

(٢) سيذكر ابن عبد البر عن ابن اسحق أنهم كانوا أربعين ، وقيل كانوا سبعين ، وفى البخارى انهم كانوا ثلاثين .

(٣) أحد فرسان العرب المعلمين . وكان عدوا للاسلام ولله ورسوله .

(٤) بالقرب من حرة بنى سليم .

(٥) علق الدم هنا : قطعه المتجمدة .

(٦) يريد الغزوة التالية .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقية شوّال وذا القعدة وذا الحجة والمحرّم ، ثم بعث أصحاب بئر معونة فى صفر فى آخر تمام السنة الثالثة من الهجرة ، على رأس أربعة أشهر من أُحُد . وكان سبب ذلك أن أبا بَراء[١] الكلابى من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة — ويُعْرَفُ بملاعب الأسنة واسمه عامر بن مالك / بن جعفر بن كلاب — وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فلم يُسْلم ولم يبْعُدْ ، وقال : يا محمد لو بعثتَ رجالا من أصحابك إلى أهل نَجْد فدعوهم إلى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك . فقال عليه السلام : إنى أخشى عليهم أهل نجد ، فقال أبو براء : أنا لهم جارٌ . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو السّاعدى — وهو الذى يعْرَف بالمعنق[٢] ليموت : لقب غلب عليه ، والأكثر يقولون : أعنق ليموت — فى أربعين رجلا من المسلمين ، وقد قيل فى سبعين رجلا من خِيار المسلمين ، منهم الحارث بن الصِّمَّة ، وحَرام بن مِلْحان — أخو أم سُلَيم[٣] وأم حرام[٤] — وعُرْوة بن أسماء بن الصَّلْت السُّلَمى ، ونافع بن بُدَيْل بن وَرْقاء الخزاعى ، وعامر بن فُهَيْرة مولى أبى بكر الصِّدِّيق . وأمّر على جميعهم المنذر بن عمرو .

فنهضوا حتى نزلوا بئر معونة — بين أرض بنى عامر وحرة بنى سُلَيْم وهى إلى حَرَّة بنى سليم أقرب — ثم بعثوا منها حَرام بن مِلْحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر ابن الطُّفَيْل . فلما أتاه لم ينظر فى كتابه ، حتى عَدَا عليه فقتله . ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه ، وقالوا : لن نَخْفِر أبا براء وقد عقد لهم عَقْدًا وجِوارًا . فاستصرخ قبائل من بنى سُلَيْم : عُصَيَّةَ ورِعْلا وذَكْوان ، فأجابوه إلى ذلك . فخرجوا حتى غشوا القوم / فأحاطوا بهم فى رِحالهم . فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوا ، حتى قُتلوا عن آخرهم[٥] إلا كعب ابن زيد أخا بنى دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رمقٌ . وارْتُثَّ[٦] من بين القتلى وعاش حتى قُتِل يوم الخندق شهيدا رحمه الله .

٨٥ و

٨٥ ظ

---

(١) كان من فرسان قومه وشجعانهم وهوعم عامر بن الطفيل .
(٢) المعنق : المسرع : لقب بذلك لمسارعته الى الشهادة .
(٣) هى أم انس بن مالك .
(٤) هى زوجة عبادة بن الصامت
(٥) انظر فيمن استشهدوا يوم بئر معونة ابن سيد الناس ٢/٤٦ .
(٦) ارتث : حمل من المعركة جريحا .

وكان فى سَرْح[١] القوم عمرو بن أُمية الضَّمْرى ورجل من الأَنصار من بنى عمرو بن عوف وهو المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحة بن الجُلاح ، فنظرا الطير تحوم على العسكر[٢] ، فقالا والله إن لهذه الطير لشأْنًا فأَقبلا لينظرا فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أَصابتهم واقفة . فقال المنذر بن محمد الأَنصارى لعمرو بن أُمية الضَّمْرى : ما تَرَى ؟ فقال : أَرى أَن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر . فقال الأَنصارى : ما كنت لأَرغب عن موطنٍ قُتِل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قُتل ، وأَخذوا عمرو بن أُمية أَسيرا . فلما أَخبرهم أَنه من مُضَر أَطلقه عامر بن الطُّفيل وجَزَّ ناصيته ، وأَعتقه عن رقبة زعم أَنها كانت على أُمه . وخرج[٣] عمرو بن أُمية حتى إذا كان بالقَرْقرة[٤] من صدر قناة[٥] أَقبل رجلان من بنى عامر — وقيل من بنى سُلَيْم — حتى نزلا معه فى ظلٍّ هو فيه ، وكان معهما عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلم به عمرو بن أُمية . وكان قد سأَلهما حين نزلا : ممن أَنتما ؟ قالا : من بنى عامر . فأَمهلهما ، حتى إذا / ناما عَدَا عليهما ، فقتلهما ، وهو يرى أَنه قد أَصاب منهما ثأْره من بنى عامر فيما أَصابوا من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما قدم عمرو بن أُمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَخبره الخبر قال : لقد قتلت قتيلين كان لهما منى جِوار ، لأَدِيَنَّهما[٦] ، هذا عمل أَبى براء ، قد كنت لهذا كارها متخوِّفا .

٨٦ و

فبلغ أَبا براء ما صنع عامر بن الطُّفَيْل فشق عليه إخْفاره إياه . وقال حسان بن ثابت يحرِّض أَبا براء على عامر بن الطفيل :

بنى أُمِّ البنين أَلم يَرُعْكُمْ وأَنتمْ من ذوائبِ أَهل نَجْدِ[٧]

---

(١) السرح : الرعاء .
(٢) هكذا فى ابن حزم ، وفى الأصل : تحرم على موضعه والخيل التى أصابتهم . والعبارة تنبو عن السياق .
(٣) هكذا فى الأصل وابن هشام ، وفى ابن حزم وغيره : ورجع .
(٤) القرقرة : هى قرقرة الكدر على ثمانية برد من المدينة .
(٥) قناة : واد يأتى من الطائف ويصب فى قرقرة الكدر .
(٦) أدينهما : أؤدى ديتهما . وقد جاء الرسول خبر هذا البعث وبعث الرجيع فى وقت واحد فوجد عليهم جميعا وجدا شديدا وظل ثلاثين صباحا يدعو على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان الهذليين لما عصوا الله ورسوله وسفكوا من دماء المسلمين .
(٧) سميت بأم البنين لأنها ولدت خمسة أبناء نجباء فرسانا وهم طفيل وربيعة وأبو براء عامر ملاعب الأسنة وعبيدة الوضاح ومعاوية معوذ الحكماء . الذوائب : الأعالى والأعاظم

تهكُّمُ عامرٍ بـأَبى براءٍ ليُخْفِره وما خطأٌ كَعَمْدِ

ألا أَبلغْ ربيعةَ ذا المساعى فما أَحدثْتَ فى الحَدَثَان بَعْدِى(١)

أَبوك أَبو الحروب أَبو براءٍ وخالُك ماجدٌ حَكَم بن سَعْد(٢)

أُم البنين هى أُم أَبى براء من بنى عامر بن صعصعة . فحمل ربيعة بن أَبى براء على عامر ابن الطفيل ، فطعنه بالرمح ، فوقع فى فخذه ، فأَشواه (٣) ، ووقع عن فرسه . فقال : هذا عمل أَبى براء ، إن أَنا مِتُّ فدمى لعمى فلا يُتْبَعَنَّ به ، وإن أَعِشْ فسأَرى رأْيى .

---

(١) ربيعة : يريد ربيعة بن أبى براء . المساعى : المكارم. الحدثان : النوائب والنوازل.

(٢) حكم بن سعد من القين بن جسر ويبدو أن أم ربيعة كانت منهم .

(٣) أشواه : أخطأ مقتله .

غزوة[1] [بنى] النَضِير

وكان سبب غزوة بنى النَّضير أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لعمرو بن أُمية : لقد قتلتَ قتيلين لأَدينَّهما ، خرج إلى بنى النضير مستعينا بهم فى دية ذينك القتيلين . فلما كلَّمهم قالوا : نعم يا أَبا القاسم اجلسْ حتى تَطْعَم وترجع بحاجتك ، فنقوم ونتشاور ، ونصلح أَمرنا فيما جئتنا له . فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أَبي بكر وعمر وعلى ونفر / من الأَنصار إلى جدار من جُدُرهم .

٨٦ ظ

فاجتمع بنو النضير ، وقالوا : مَنْ رجلٌ يصعد على ظهر البيت فيلقى على محمد صخرةً فيقتله ، فيريحنا منه ؟ فإنا لن نجده أَقرب منه الآن . فانتدَب لذلك عمرو بن جِحاش بن كعب ، فأَوحى الله عَزَّ وَجَلَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ائتمروا به من ذلك ؛ فقام ولم يُشْعر أَحدا ممن معه[2] .

ونهض إلى المدينة ، فلما استبطأَه أَصحابه ، وراث[3] عليهم خبره أَقبل رجل من المدينة ، فسأَلوه ، فقال : لقيته وقد دخل أَزقَّة المدينة . وقالت اليهود لأَصحابه : لقد عجل أَبو القاسم قبل أَن نقيم له حاجته . فقام أَصحابه ولحقوه بالمدينة . فأَخبرهم بما أَوحى الله عزَّ وجَلَّ إليه مما أَرادت اليهود فعله به .

وأَمر صلى الله عليه وسلم أَصحابه بالتهيُّؤ لقتالهم وحربهم[4] . وخرج إليهم ، واستعمل على المدينة ابن أُمِّ مكتوم ، وذلك فى ربيع الأَول[5] أَول السنة الرابعة من الهجرة . فتحصَّنوا منه فى الحصون ، فحاصرهم ستَّ ليال ، وأَمر بقطع النخل وإحراقها ، وحينئذ نزل تحريم الخَمْر .

---

(١) انظر فى غزوة بنى النضير ابن هشام ١٩٩/٣ والواقدى ٣٥٣ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٠ والطبرى ٥٥٠/٢ والبخــارى ٨٨/٥ وسنن ابى داود ٢٥/٢ وأنساب الاشراف ١٦٣/١ وابن حزم ص ١٨١ وابن ســيد الناس ٤٨/٢ وابن كثير ٧٤/٤ والنويرى ١٣٧/١٧ والسيرة الحلبية ٣٤٤/٢ . وكانت منازلهــم فى وادى بطحان والبويرة .

(٢) وقيل نزل فى ذلك : (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هــم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم — الآية) .

(٣) راث : أبطأ .

(٤) ومن أسباب تلك الغزوة ان بنى النضير كانوا قد خانوا عهــد رسول الله ، ودسوا الى قريش فى قتــاله ، وحضــوهم على حربه ، ودلوهم على العورة . وهم كانوا أصحاب كعب ابن الاشرف .

(٥) هكذا عند ابن اسحق انها كانت على رأس خمسة أشهر من وقعة أحد ، وذكر البخارى انها كانت على رأس ستة أشهر .

ودسَّ عبدُ الله بن أُبَيّ ابنُ سَلولَ ومَنْ معه من المنافقين إلى بنى النَّضير : إنا معكم ، وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أُخرجتم خرجنا معكم . فاغترُّوا بذلك . فلما جاءت الحقيقة خذلوهم وأسلموهم ، فألقوا بأيديهم(1) ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفَّ عن دمائهم ويُجْليهم على أنَّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح(2) . فاحتملوا(3) / كذلك إلى خَيْبَر ، ومنهم من سار إلى الشام . وكان ممن سار منهم إلى خيبر أكابرهم حُيَىّ بن أخطب ، وسلَّام بن أبى الحُقَيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق . فدانت لهم خيبر .

87 و

وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير بين المهاجرين خاصة(4) ، إلا أنه أعطى منها أبا دُجانة سِماك بن خَرَشَة ، وسَهْل بن حُنَيْف وكانا فقيرين . وإنما قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين لأنهم إذ قدموا المدينة شاطرتهم الأنصار ثمارها ، وعلى ذلك بايعوا ليلة العقبة على نُصْرته ومواساة أصحابه . فردَّ المهاجرون على الأنصار ثمارهم .

ولم يُسلم من بنى النَّضِير إلا رجلان : يامِين بن عمير بن كعب بن عمرو بن جِحاش ، وأبو سعيد بن وهب ، أسلما فأحرزا أموالهما . وذُكر أن يامين بن عمير جعل جُعْلًا لمن قتل ابن عمه عمرو بن جِحاش لما هَمَّ به فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونزلت سورة الحشر فى بنى النَّضِير(5) ، قال عَزَّ وجَلَّ : (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول(6) الحشر) إلى قوله : (لئن أُخْرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم) إلى قوله : (وذلك جزاءُ الظالمين) (*)

---

(1) ألقوا بأيديهم : ذلوا وانقادوا .

(2) ويقال أنهم خلفوا من السلاح خمسين درعا وخمسين بيضة (خوذة) وثلاثمائة وأربعين سيفا .

(3) احتملوا : رحلوا • ويقال انهم رحلوا على سبعمائة بعير ، وقيل على ستمائة حملوها كل ما استطاعوا حتى قيل أنهم حملوها بيوتهم وكل ما استطاعوا من أنقاضها .

(4) أوضح ابن عبد البر العلة فى ذلك حتى يرد المهاجرون على الأنصار ما أخذوا من ثمارهم التى شاطروهم فيها ، ومن حينئذ وقفت المواساة التى كانت مفروضة عليهم للمهاجرين .

(5) أوضحت هذه السورة قصة بنى النضير وحصار الرسول لهم ووسوسة ابن أبى والمنافقين لهم بأنهم سيقفون فى جانبهم وما كان من جلائهم وتخريبهم لبيوتهم بأيديهم .

(6) قيل المراد بأول الحشر حشرهم من المدينة ، ثم كان حشرهم الثانى من خيبر الى الشام على نحو ما سنعرف فى غزوة خيبر وقيل ان المراد هذا الحشر فى الدنيا ثم يليه حشر الآخرة . وقيل : بل نار تحشرهم من المشرق الى المغرب .

(*) فكان اجلاء بنى النضير أول الحشر فى الدنيا الى الشام ، ولذلك قيل الشام أرض الحشر . (وانظر الروض الانف 2/177) .

غزوة[1] ذات الرِّقاع

٨٧ ظ. ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إجلاءِ / بنى النَّضِير بالمدينة شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأُولى صَدْرَ[2] السنة الرابعة بعد الهجرة . ثم غزا نَجْدًا يريد بنى مُحارب وبنى ثعلبة بن سعد بن غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذَرٍّ الغِفَّارىّ ، وقيل : بل استعمل يومئذ عليها عثمان بن عفان ، والأَول أكثر .

ونهض عليه السلام حتى نزل نَخْلًا[3] . وإنما سميت هذه الغزوة ذات الرِّقَاع لأَن أقدامهم نَقِبَتْ[4] فكانوا يلفُّون عليها الخِرَق . وقيل : بل قيل لها ذات الرِّقاع لأَنهم رقَّعوا راياتهم فيها . ويقال : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع تُدْعى ذات الرِّقاع . وقيل : بل الجبل الذى نزلوا عليه كانت أَرضه ذات أَلوان من حمرة وصفرة وسواد ، فسمّوا غزوتهم تلك ذات الرقاع . والله أَعلم .

ولقى النبى صلى الله عليه وسلم بنخل جَمْعان من غطفان ، فتواقفوا ، إلا إنه لم يكن بينهم قتال . وصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صلاة[5] الخوف . وقد أَوضحنا اختلاف الروايات فى التمهيد فى هيئة صلاة الخوف يوم ذات الرقاع . وفى انصرافهم من تلك الغزوة أَبطأَ جمل جابر بن عبد الله ، فنخسه النبى صلى الله عليه وسلم ، فانطلق متقدما بين يدى الرِّكاب

---

(١) انظر فى غزوة ذات الرقاع ابن هشام ٣/٢١٣ وابن سعد ج ٢ ق١ص٤٣ وانساب الاشراف ١/١٦٣ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١٧ وتاريخ الطبرى ٢/٥٥٥ والبخارى ٥/١١٣ وابن حزم ص ١٨٢ وابن سيد الناس ٢/٥٢ وابن كثير ٤/٨٣ والنويرى ١٧/١٥٨ والسيرة الحلبية ٢/٣٥٣ .

(٢) قيل : كانت فى المحرم من السنة الرابعة وهو قول ضعيف . وكان السبب فيها ماسمعه رسول الله من تجمع بنى محارب وبنى ثعلبة لحربه .

(٣) هكذا فى ابن هشام وفى الاصل : نخلة، ونخل : من منازل بنى ثعلبة بنجد على يومين من المدينة .

(٤) نقبت اقدامهم : رقت جلودها وقرحت من الحفاء .

(٥) ذكرت روايات مختلفة فى هذه الصلاة، فقيل : صلى رسول الله بطائفة ركعتين ثم سلم وطائفة مقبلون على العدو ، وجاءوا فصلى بهم ركعتين أخريين ثم سلم . وقيل فى هيئة تلك الصلاة أنه تقوم مع الامام طائفة وطائفة ثانية مما يلى عدوهم . فيركع الامام ويسجد بالطائفة الأولى وتتأخر وتصلى بنفسها وتتقدم مكانها الطائفة الثانية وتصلى معه ركعة وتسجد ثم تصلى بنفسها ركعة ثانية . وانظر ابن هشام ٣/٢١٥

ثم قال له : أتبيعنيه ؟ فابتاعه منه ، وقال : لك ظَهْره إلى المدينة . فلما وصل إلى المدينة أعطاه الثمن ، ووهب له الجمل ، لم يأْخذه منه .

وفى هذه الغزاة أتى رجل[1] من بنى محارب بن خَصَفة ليفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط ذلك لقومه ، وأخذ سيف رسول الله صلى / الله عليه وسلم وأصلته[2] بعد أن استأذنه فى أن ينظر إلى السيف . فلما أصلته هَمَّ به ، فصرفه الله عنه ، ولحقه بَهَتٌ ، فقال : مَنْ يمنعك منى يا محمد ؟ قال : الله ، فردَّ السيف فى غمْدِه ، فقيل إن فيه نزلت : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هَمَّ قوم أن يبسطوا إليكم - الآية) وقيل نزلت هذه الآية فيما أراد بنو النضير أن يفعلوا به من رَمْى الحجر عليه وهو جالسٌ إلى حائط حصنهم .

88 و

غزوة[3] بَدْر الثالثة

وكان أبو سفيان يوم أُحد قد نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : موعدُنا معكم بدر فى العام المقبل . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه أن يجيبه بنعم . وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرفه من ذات الرِّقاع بالمدينة بقية جمادى الأُولى وجمادى الآخرة ورجبا . ثم خرج فى شعبان من السنة الرابعة للميعاد المذكور ، واستعمل على المدينة عبد الله[4] بن عبد الله ابن أُبَىّ [بن] سلول . ثم نهض حتى أتى بَدْرًا ، فأقام هناك ثمانى ليال .

وخرج أبو سفيان بن حرب فى أهل مكة حتى بلغ عُسْفان[5] ، ثم انصرف . واعتذر هو وأصحابه بأن العام عام جَدْب .

---

(1) يسمى غورث بن الحارث المحاربى .

(2) أصلته : شهره .

(3) انظر هذه الغزوة فى ابن هشام ٣/٢٢٠ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٢ وانساب الاشراف ١٦٣/١ والطبرى ٥٥٩/٢ وابن حزم ص ١٨٤ وابن سيد الناس ٥٣/٢ وابن كثير ٨٧/٤ والسيرة الحلبية ٣٦٠/٢ .

(4) وقيل : عبد الله بن راحة .

(5) وقيل : بل نزل مجنة من ناحية الظهران .

٨٨ ظ.

/ غزوة[١] دُوْمَة الجَنْدَل

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأَقام بها إلى أن انْسَلخ ذو الحِجَّة من السنة الرابعة من الهجرة ، ثم غَزَا عليه السلام دومة[٢] الجندل فى ربيع الأَول ، وذلك أَول السنة الخامسة من احتلاله المدينة . واستعمل على المدينة سِباع بن عُرْفُطة . وانصرف عليه السلام من طريقه[٣] قبل أَن يبلغ دومة الجَنْدل . ولم يلق حربا .

---

(١) انظر فى غزوة دومة الجندل ابن هشام ٣/٢٢٤ وابن سعد ج٢ق١ص ٤٤ وأنساب الاشراف ١/١٦٤ والطبرى ٢/٥٦٤ وابن حزم ص ١٨٤ وابن سيد الناس ٢/٥٤ وابن كثير ٤/٩٢ والنويرى ١٧/١٦٢ والسيرة الحلبية ٢/٣٦٢ . ودومة الجندل فى شمالى نجد ، وهى طرف من أفواه الشام بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة .

(٢) قال ابن سعد ان السبب فيها ان الرسول صلى الله عليه وسلم بلغه أن بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم وأنهم يريدون غزو المدينة .

(٣) فى ابن سعد وفى مصادر أخرى غير ابن هشام أن الرسول نزل بساحتهم وانهم حين علموا بقدومه تفرقوا فى كل وجه . وفى هذه الغزوة وادع الرسول عيينة بن حصن الفزارى أن يرعى هو وقومه بتغلمين الى المراض وكانت بلاده قد أجدبت كما يقول ابن سعد . وبين تغلمين والمراض ميلان . وبين المراض والمدينة نحو ثلاثين ميلا على طريق الربذة .

غزوة[1] الخندق

ثم كانت غزوة الخندق فى شوال[2] من السنة الخامسة ، وكان سببها أن نفرا من اليهود ، منهم كنانة بن الربيع بن أَبي الحُقَيق ، وسَلَّام بن مِشْكم ، وحُيَىّ بن أَخْطب النَّضَرِيُّون[3] ، وهَوْذة بن قَيْس وأَبو عَمَّار[4] من بنى وائل - وهم كلهم يهود ، وهم الذين حزبو الأَحزاب وأَلَّبوا وجمعوا - خرجوا[5] فى نَفر من بنى النَّضير ونفر من بنى وائل ، فأَتوا مكة ، فدعوا قريشا إلى / حَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدوهم من أَنفسهم بِعَوْن من انتدَب إلى ذلك ، فأَجابهم أَهل مكة إلى ذلك . ثم خرج اليهود المذكورون إلى غطفان فدعوهم إلى مثل ذلك فأَجابوهم . ٨٩

فخرجت قريش يقودهم أَبو سفيان بن حرب ، وخرجت[6] غطفان وقائدهم عُيَيْنَة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفَزَارى على فزارة والحارث بن عوف المُرِّى على بنى مرة ومسعود[7] ابن رُخَيْلَة على أَشجع[8] . فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم وخروجهم إليه

---

(١) انظر فى غزوة الخندق وتسمى غـزوة الأحزاب - ابن هشام ٣/٢٢٦ والواقدى ٣٦٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٧ والطبرى ٢/٥٦٤ وأنساب الأشراف ١/١٦٥ والبخـارى ٥/١٠٧ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١٤٥ ، ١٢/١٧١ وابن سيد الناس ٢/٥٤ وابن كثير٤/٩٢ والنويرى ١٧/١٦٦ والسيرة الحلبية ٢/٤٠١ .

(٢) وقال ابن سعد : فى ذى القعـدة من السنة الخامسة . وقيل : بل كانت فى السنـة الرابعة . وهو قول ضعيف وبه قال البخارى وابن حزم .

(٣) النضريون : نسبة الى بنى النضير .

(٤) هكذا فى جميع المصادر ، وفى الأصل: أبو عمارة .

(٥) وفيهم نزل قوله تعالى : (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) .

(٦) فى الأصل : وخرج .

(٧) فى بعض المصادر مسعر بكسر الميم وسكون السين .

(٨) ويقال : خرجت معهم بنو سليم يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أميـة وبنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الاسدى .

شاور أصحابه ، فأشار عليه سَلْمَان بحفر الخندق ، فرضى رأيه (*) . وقال المهاجرون يومئذ : سلمان منا ، وقالت الأنصار : سلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهلَ البيت (*) .

وعمل المسلمون فى الخندق مجتهدين ، ونكص المنافقون ، وجعلوا يتسللون لِواذا [1] . فنزلت فيهم آيات من القرآن ذكرها ابن إسحق وغيره . وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فأعانه حتى كمل الخندق . وكان فيه آيات بَيِّنَات وعلامات النبوات مذكورات عند أهل السير والآثار ، منها أن كُدْيَةً[2] اعتاصتْ على المسلمين ، فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها ، فضربها بالفأس ضربة طار منها الشَّرار وقطع منها الثلث ، وقال : الله أكبر فتح قيصر والله إنى لأرى القصور الحُمْر . ثم ضرب الثانية فقطع منها الثلث الثانى . وقال : الله أكبر

---

* قلت : فيه ما يدل على وجوب استعمال الحذر فى وقته ، فان كان فى ظاهره وهن ضعيف فان عاقبته حميدة . وفيه مايدل على أن الأعمال الشاقة المتعبة على الجماعة ينبغى أن تقسم حتى لايتواكل الناس فيها بعضهم على بعض . وتلك سنة الانبياء فى مثل ذلك . وجاء فى تفسير قوله تعالى : (انا ذهبنا نستبق) ان كانوا اقتسموا الأعمال من احتطاب واحتشاش ورعى وحراسة فهو معنى الاستباق . وهى أيضا عادة المسلمين فى حفر الخنادق . وشرط ذلك السلامة من التنافس والتحاسد والتعيير . ولهذا كان من فرغ (من) حصته قبل صاحبه أعان من لم يفرغ بلا تنقيص ولا تعيير . والله أعلم .

* قلت : مذهب سيبويه النصب على الاختصاص (أى فى كلمه أهل البيت) وقيل : يجوز الخفض على البدل من الضمير (فى منا) وهو مذهب الأخفش لجواز البدل من ضمير المتكلم والمخاطب خلافا لسيبويه ، فانه قال : هما غاية فى البيان فلا يحتاجان الى البدل . وعندى فى اعراب هذه الكلمة فى الحديث نكتة لطيفة، وذلك أن المضمر فيها جاء فيه احتمال أن يراد المتكلم خاصة أو يراد المتكلم وجماعته . والجماعة ههنا يحتمل أن يراد بهم الصحابة رضوان الله عليهم أو أهل البيت صلوات الله عليهم . فلما تعدد الاحتمال جاز البيان بالابدال . وينبغى أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم داخلا فى أهل البيت ههنا لقوله «منا» ويكون المراد اهل بيت النبوة ، بخلاف التقدير فى قوله تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) فينبغى أن يكون التقدير حينئذ أهل بيت النبى ، ويكون النبى صلى الله عليه وسلم ههنا خارجا من اللفظ ، لأن أهل بيته أزواجه . وفى هذه المرحمة تعظيم عظيم من الله تعالى لنبيه عليه السلام . فانه جعل البيت المطلق عبارة عن بيته كما جعل البيت المطلق فى حقه تعالى عبارة عن الكعبة كالاسم العلم لها (أى فى مثل قوله تعالى: واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) .

(١) اللواذ : التستر بشىء عند الفرار وهو اشارة الى تعللهم بالاعذار .

(٢) الكدية : الحجر الضخم الصلد .

فتح كسرى والله إنى لأرى القصور البيض . ثم ضرب الثالثة فقطع الثلث الباقى ، وقال الله أكبر فتح اليمن والله إنى لأرى باب صَنْعَاء[١] . وقد نصر الله عبده وصدق وعده ، والحمد لله رب العالمين .

فلما فرغ[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلت قريش فى نحو عشرة[٣] آلاف بمن معهم من كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان بمن معها من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب[٤] واحد . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى نزلوا - بظهر[٥] سَلْع - فى ثلاثة[٦] آلاف ، وضربوا عسكرهم ، والخندق / بينهم وبين المشركين . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فى قول ابن شهاب .

٩٠ ظ

وخرج عدو الله حُيَيّ بن أَخْطب النَّضَرِى[٧] حتى أتى كعب بن أسد القُرَظِيّ وكان صاحب عَقْد بنى قُرَيْظَةَ ورئيسهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاقده وعاهده . فلما سمع كعب بن أسد بِحُيَيّ بن أَخْطب أغلق دونه باب حصنه ، وأبَى أن يفتح له ، فقال له : افتح لى يا كعب بن أسد ، فقال : لا أفتح لك فإنك رجل مشئوم تدعونى إلى خلاف محمد وأنا قد عاقدته وعاهدته ولم أر فيه إلا وفاءً وصدقا ، فلستُ بناقضٍ ما بينى وبينه . فقال حُيَيّ : افْتَحْ لى حتى أُكلِّمك فأنصرف عنك ، قال : لا أفعل ، قال : إنما تخاف أن آكل

(١) وكأنما سلم رسول الله لأصحابه فى ذلك اليوم مفاتيح تلك البلدان .

(٢) اختلف فى مدة حفر الخندق . فقيل : كمل فى ستة أيام . وقيل : فى بضعة عشر يوما ، وقيل : فى أربعة وعشرين يوما

(٣) هكذا فى الأصل وابن هشام ، وفى بعض المصادر أن قريشا ومن معها من كنانة وأهل تهامة كانوا أربعة آلاف وكان معهم ثلاثمائة فارس وألف وخمسمائة بعير وأن جميع من وافى الخندق من قريش وغطفان والعرب كانوا عشرة آلاف .

(٤) ويقال: نزلت قريش بمن معها فى مجتمع السيول من رومة ، ونزلت غطفان بمن معها فى جانب أحد .

(٥) أى أنهم نزلوا بسفحه وجعلوا إليه ظهورهم .

(٦) وقيل : كانوا فى تسعمائة .

(٧) فى الاصل : النضيرى .

معك جَشِيشَتك (١) . فغضب كعب وفتح له ، فقال له : إنما جئتك بعِزِّ الدَّهْر : جئتك بقريش وسادتها وغطفان وقادتها قد تعاقدوا على أن يستأْصِلوا محمدا ومَن معه . فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر وبجهام (٢) لا غيث فيه ، وَيْحَكَ ياحُيَىّ ! دَعْنى فلستُ بفاعلٍ ما تدعونى إليه . فلم يزل حُيَىّ بكعبٍ يَعده ويغرُّه ، حتى رجع إليه وعاهده على خذلان النبي صلى الله عليه وسلم وأَصحابه وأَن يصير معهم . وقال له حُيَىّ بن أَخْطَب : إن انصرفت قريش / وغطفان دخلتُ عندك بمن معى من يهود (*) . فلما انتهى خبر كعب وحُيَىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين بعث سعد بن عُبادة وهو سيد الخزرج وسيد الأَوس سعد بن مُعاذ وبعث معهما عبد الله بن رَواحة وخَوَّات بن جُبَيْر ، وقال / لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : انطلقوا إلى بنى قريظة فإن كان ما قيل لنا حقا فالْحَنُوا لنا لحنا نعرفه ، ولا تَفُتّوا فى أَعضاد المسلمين ،

و

ظ.

---

(١) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش، وهو البر يطحن غليظا . فاذا طبخ والقى عليه بعض اللحم أو التمر فهو الجشيشة .

(٢) الجهام : السحاب غير الممطر ، يبرق ويرعد ولا ماء فيه .

* قلت : وكان حيى هذا وأخوه(أبو) ياسر بن أخطب من أشد اليهود عداوة للمسلمين وتربصا بهم الدوائر . وهما اللذان حسبا بحساب الجمل الحروف التى (فى) أوائل السور فأبطل الله حسابهما وعجل عذابهما . وضجع (ضعف) السهيلى فى ابطال الحساب المشار اليه .

وهو من المجوزات العقلية ، وحسب هو عدد الحروف الاربعة عشر (التى جاءت فى أوائل السور) فقال جملتها تسعمائة وثلاث . وغلط فانه حسب السين بثلاثمائة وانما هى بستين على زعم أهل هذا الحساب ، وحسب الضاد بستين وانما هى بتسعين . وفى حديث عن بعض بنى العباس ، قال : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن عمر الامة : فقال : ان اساءت أمتى عمرت نصف يوم أى خمسمائة سنة ! وان أحسنت عمرت يوما أى الف سنة ! . فان صح هذا فهى ان شاء الله محسنة ، قال الله تعالى : (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) .

[انظر الروض الأنف ٢/٣٥]

وإن كان كذبًا فاجهروا به للناس (*) . فانطلقوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ماقيل لهم عنهم ، ونالوا من رسول / الله صلى الله عليه وسلم . وقالوا : لا عَهْدَ له عندنا . فشاتمهم سعد ابن معاذ وشاتموه وكانت فيه حِدَّة ، فقال له سعد بن عُبادة : دَعْ عنك مشاتمتهم ، فالذى بيننا وبينهم أكبر من المشاتمة . ثم أقبل سعد وسعد حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة المسلمين ، فقالا : عَضَلٌ والقارَة ، يعرِّضان بغدر عضل والقارَة بأصحاب الرجيع : خُبَيْب وأصحابه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَبْشِروا يا معشر المسلمين .

٩٢ و

وعظم عند ذلك البلاءُ واشتدّ الخوف ، وأتى المسلمين عدوّهم من فوقهم [١] ومن أسفل [٢] منهم حتى ظنوا بالله الظنون [٣] ، وأظهر المنافقون كثيرا مما كانوا يُسِرُّون ، فمنهم من قال : إن بيوتنا عورة فلننصرف إليها [٤] ، فإنا نخاف عليها ، وممن قال ذلك أوس بن قَيْظِيّ – إلا أنه مع ذلك وَلَدَ ولدا سيدا فاضلا وهو عَرَابة بن أوس الذى قال فيه الشاعر [٥] :

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تلقَّاها عَرَابَةُ باليمينِ

---

* قلت : اللحن : أصله العدول عن طريق الصواب وهو ضد النحو فانه قصد الطريق الصواب ، والمراد ههنا : تكلموا بكلام يفهم منه الغرض ولا يفهمه غيرنا . وهكذا المعاريض والتورية ، وهو أصل فى جواز الكناية بالمظنات وبالمزجمات . ويحتاج المرء الى ذلك أما دينا أو دنيا حيث يحتاج الى الكتمان . وعلى هذا حمل قوله :

منطقٌ صائبٌ وتلحن أحيا نًا وخَيْرُ الكلام ما كان لَحْنا

اى تورى فى كلامها وتعرض . وبهذا فسره الحجاج بن يوسف لامرأته هند بنت أسماء ، وكانت أخت هذا الشاعر مالك بن أسماء . وبلغ الحديث الجاحظ وقد فسر البيت فى كتاب البيان (والتبيين) بأن المراد باللحن الخطأ فندم، واعترف بأنه أخطأ ، فقيل له : هلا تغيره ؟ فقال (كيف ؟) قد سارت به البغال الشهب وانجد (فى البلاد) وغار وفى الحديث ما يدل على أنه لا يجوز التخذيل ولا اشاعة الاخبار الموهنة للمسلمين وان كانت صحيحة ، بل تطوى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) والله أعلم (انظر الروض الأنف ٢/١٩٠) .

(١) من فوقهم أى من فوق الوادى من قبل المشرق حيث كانت غطفان وجموعها .

(٢) ومن أسفل منهم أى من بطن الوادى من قبل المغرب حيث كانت قريشٍ وجموعها .

(٣) وفى ذلك نزلت الآية : (اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا)

(٤) وفيهم نزل قوله تعالى : (يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا) .

(٥) هو الشماخ .

وقد قيل إن له صُحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم . ومنهم من قال : يعدنا محمد أن نفتح كنوز كسرى وقيصر ، وأَحَدُنا اليوم لا يأْمن على نفسه [أن] يذهب إلى الغائط ، وممن قال ذلك معتِّب[١] بن قشير أَحد بنى عمرو بن عوْف .

٩ ظ. وأَقام رسول الله / صلى الله عليه وسلم وأَقام المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر لم يكن بينهم حرب إلا الرَّمْى بالنَّبْل والحَصَا . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه اشتد على المسلمين البلاء بعث إلى عيينة بن حصن الفَزارى وإلى الحارث بن عوف بن أَبي حارثة[٢] المُرِّى وهما قائدا غطفان ، فأَعطاهما ثلث ثمار المدينة لينصرفا بمن معهما من غطفان و [أهل] نجد[٣] ويرجعا بقومهما عنهم[٤] . وكانت هذه المقالة مُرَاوضةً ولم تكن عقدا . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهما قد أَنابا[٥] ورضيا أَتى سعد بن معاذ وسعد ابن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما ، فقالا : يا رسول الله هذا أَمر تحبه فنصنعه لك ، أَو شيء أَمرك الله به فنسمع له ونطيع ، أَو أَمر تصنعه لنا ؟ قال : بل أَمر أَصنعه لكم ، والله ما أَصنعه إلا لأَننى[٦] قد رأَيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، والله لقد كنا نحن وهؤلاءِ القوم على الشرك بالله وعبادة الأَوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وما طمعوا قط أَن ينالوا منا ثمرة إلا بشراءٍ أَو قِرًى[٧] ، فحين أَكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأَعزَّنا بك نعطيهم أَموالنا ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فسُرَّ رسول الله صلى الله

٩١ و عليه وسلم بذلك ، وقال / لهم : أَنتم وذاك . وقال لعُيَيْنة والحارث : انْصَرِفا ، فليس لكم عندنا إلا السيف . وتناول الصحيفة[٨] وليس فيها شهادة فمحاها .

---

(١) وفيهم نزلت الآية : (واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا) .

(٢) فى الأصل : الحارث وهو خطأ من الناسخ .

(٣) فى الاصل زيادة كلمة : قريش .

(٤) فى ابن هشام : عنه وعن أصحابه .

(٥) أناب : رجع وأجاب .

(٦) هكذا فى ابن هشام وفى الأصل : اننى .

(٧) القرى : الضيافة .

(٨) هى كتاب كان الرســـول وعيينة بن حصن والحارث بن عوف قد كتبوه ليكون عقدا بينهم ولكن دون شهادة ، وكأنه كان نسخة للمراجعة .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون على حالهم والمشركون يحاصرونهم ولا قتال منهم إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدوَدّ العامرى من بنى عامر بن لُؤىّ ، وعِكْرِمة بن أبى جَهْل ، وهبيرة بن أبى وهب ، وضرار بن الخطاب الفِهْرِى — وكانوا فرسان قريش وشجعانهم — أقبلوا حتى وقفوا على الخندق . فلما رأوه قالوا إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها (١) ، ثم تيمّموا (٢) مكانا ضيقا من الخندق [فضربوا (٣) خيلهم فاقتحمت منه] وصاروا بين الخندق وبين سَلْع . وخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثَّغْرة (٤) التى اقتحموا منها ، وأقبلت الفرسان نحوهم . وكان عمرو بن [عبد] وَدّ قد أثبتته الجِراح يوم بدر ، فلم يشهد أُحدا وأراد يوم الخندق أن يُرَى مكانه . فلما وقف هو وخيله نادى : [هل] من مبارز ؟ فبرز له على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقال له : يا عمرو إنك عاهدت الله فيما بلغنا عنك أنك لا تُدْعَى إلى إحدى خَلَّتين إلا أخذت إحداهما ، قال : نعم ، وقال : إنى أدعوك إلى الله عَزَّ وَجَلَّ والإسلام ، قال : لا حاجة لى بذلك . قال : وأدعوك إلى البِرَاز ، قال : يا بن أخى والله ما أحبّ أن أقتلك لما كان بينى وبين أبيك ، فقال له على : أنا والله أحبّ أن أقتلك . فَحَمِىَ (٥) عمرو بن [عبد] وَدّ العامرى ونزل عن فرسه ، وسار نحو على ، فتنازلا وتجاولا ، وثار (٦) النَّقْعُ / بينهما حتى حال دونهما ، فما انجلى النَّقْعُ حتى رُؤِىَ علىٌّ على صدر عمرو يقطع رأسه . فلما رأى أصحابه أنه قد قتله على اقتحموا بخيلهم الثغرة منهزمين هاربين ، وقال على — رضى الله عنه — فى ذلك :

٩٣ ظ

---

(١) هكذا فى ابن هشام وفى الأصل : يكيدونها .

(٢) تيمموا : قصدوا .

(٣) زيادة من ابن هشام .

(٤) الثغرة : الثلمة التى اقتحموا منها الخندق .

(٥) حمى : احتد غضبه .

(٦) النقع : غبار الحرب .

نَصَر الحِجَارةَ من سفاهةِ رَأيهِ ونصرتُ دين محمدٍ بضِرابِ(١)

لا تَحْسَبُنّ الله خاذلَ دينهِ ونبيّه يا معشر الأَحزاب

نازلتُه وتركته متجدِّلا كالجِذْع بين دكادكٍ وروابي(٢)

ورُمِيَ يومئذ سعد بن [معاذ] بسهم فقُطع منه الأَكحل(٣) ، رماه حِبَّان بن قيس بن العَرِقة أحد بنى عامر بن لؤى . فلما أصابه قال له : خُذْها إليك وأنا ابن العَرِقة ، فقال له سعد : عَرَّق الله وجهك فى النار ، وقيل : بل الذى رماه أبو أُسامة الجُشَمِىّ حليف بنى مخزوم . ولحسان بن ثابت مع صفية بنت عبد المطلب خبر طريف(٤) يومئذ – وكان حسان قد تخلَّف عن الخروج مع الخوالف بالمدينة – ذكره ابن إسحق وطائفة من أهل السِّير ، وقد أنكره منهم آخرون ، فقالوا لو كان فى حسان من الجبن ما وصفتم لهجاه بذلك من كان يهاجيهم فى الجاهلية والإسلام ، ولهُجِيَ بذلك ابنه عبد الرحمن ، فإنه كان كثيرا ما يهاجى الناس من شعراء العرب مثل النجاشىّ وغيره .

وأَتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نُعَيْمُ بن مسعود بن عامر الأَشجعى ، فقال : يارسول الله إنى قد أَسلمت ، ولم يعلم قومى بإسلامى ، فمُرْنى بما شئت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت رجل واحد(٥) من غطفان ، فلو خرجت فخذَّلت عنا كان أَحبَّ إلينا من بقائك فاخرج(٦) فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أَتى بنى قُريظة – وكان ينادمهم

(١) فى ابن هشام : بصواب ، ويريد بالحجارة الأنصاب التى كانوا يقدسونها ويذبحون لها .

(٢) متجدلا : لاصقا بالأرض . الدكادك : جمع دكداك وهو الرمل اللين ، والروابى: التلال والمرتفعات .

(٣) الاكحل : عرق فى الذراع يكثر فصده، أو هو عرق الحياة وفى كل عضو منه شعبة .

(٤) انظر فى هذا الخبر ابن هشام ٣/٢٣٩ وملخصه ان صفية بنت عبد المطلب كانت تنزل معه فى حصنه أثناء حرب الخندق، ولاحظت أن يهوديا يطيف به ، فطلبت الى حسان أن ينزل اليه فيقتله ، فقال لها والله ما انا بصاحب هذا، فأخذت هى عمودا ونزلت الى الرجل وقتلته ، ثم صعدت الى حسان ، وقالت له : انزل فخذ سلبه .

(٥) عبارة ابن هشام : انما انت فينا رجل.

(٦) فى ابن هشام : فخذل عنا ان استطعت .

فى الجاهلية ـ فقال : يا بنى قريظة قد عرفتم وُدِّى إياكم وخاصَّة ما بينى وبينكم ، قالوا : قُلْ ، فلستَ عندنا بمتَّهم ، فقال لهم : إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه[1] أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم[2] عليه ، فإن رأوا نُهْزَةً[3] أصابوا وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخَلَّوْا بينكم وبين الرجل ، ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنًا . ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لهم : قد عرفتم وُدِّى لكم معشر قريش وفراقى محمدا وقد بلغنى أمر أرى من الحق أن أبلغكموه نُصْحًا لكم ، فاكتموا علىّ ، قالوا : نفعل . قال : أتعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ماكان من خلافهم محمدا وأرسلوا إليه إنا قد ندمنا على مافعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ من قريش وغطفان رُهُنًا رجالا ونسلمهم إليكم لتضربوا أعناقهم ، ثم نكون معك على مَنْ بقى منهم حتى تستأصلهم . ثم أتى غطفان ، فقال مثل ذلك . فلما كانت ليلة السبت وكان ذلك من صُنْع الله عَزَّ وَجَلَّ لرسوله وللمؤمنين أرسل / أبو سفيان إلى بنى قُرَيْظَة عكرمة بن أبى جهل فى نَفَرٍ من قريش وغطفان يقول لهم : إنا لسنا بدار مُقامٍ ، قد هلك الخفُّ والحافر[4] فاغْدُوا صبيحةَ غدٍ للقتال حتى نفاجئ محمدا . فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت[5] ، وقد علمتم ما نال منا مَنْ تعدَّى فى السَّبْت ، ومع ذلك فلا نقاتل معكم أحدا حتى تعطونا رُهُنًا . فلما رجع الرسول بذاك قالوا : صَدَقَنا والله نُعَيْم بن مسعود . فردّوا إليهم الرسل ، وقالوا : والله لا نعطيكم رُهنا أبدا ، فاخرجوا معنا إن شئتم ، وإلا فلا عهد بيننا وبينكم ، فقال بنو قريظة : صدق والله نعيم بن مسعود . وخَذَّل الله بينهم واختلفت كلمتهم وبعث الله عليهم ريحا عاصفا فى ليال شديدة البرد ، فجعلت الريح تقلب أبنيتهم[6] ، وتكفأ[7] قدورهم .

٩٤ ظ

---

(١) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل : فبه .
(٢) ظاهرتموهم : اعنتموهم وساعدتموهم .
(٣) نهزة : فرصة .
(٤) الخف : الابل . الحافر : الخيل .
(٥) فى ابن هشام : وهو يوم لانعمل فيه شيئا .
(٦) أبنيتهم : خيامهم .
(٧) تكفأ : تقلب .

فلما اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف أمرهم بعث حذيفة بن اليَمان ليأتيه بخبرهم ، فأتاهم واستتر فى غِمَارِهم ، وسمع أَبا سفيان يقول : يا معشر قريش ليتعرَّفْ كل امرئ منكم جليسَه . قال حذيفة : فأخذت بيد جليسى وقلت ، مَنْ أنت ؟ فقال : أنا فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، ولقد هالك الكُراع [1] والخفّ وأخلفتنا بنو قُرَيْظَة ولقينا من هذه الريح ما ترون ، ما يستمسك لنا بناء ولا تثبت لنا قدر ولا تقوم / [لنا] [2] نار ، فارتحلوا ، فإني مرتحل . ووثب على جمله ، فما حلَّ عقال يده [3] إلا وهو قائم (*) . قال حذيفة : ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىَّ إذ بعثنى ، وقال لى : مُرَّ إلى القوم فاعلمْ ما هم عليه ولا تُحْدِثْ شيئا لقتلته بسهم . ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رحيلهم فوجدته قائما يصلِّى ، فأخبرته ، فحمد الله .

٩٥ و

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذهب الأحزاب رجع [4] إلى المدينة ووضع المسلمون سلاحهم ، فأتاه جبريل – صلى الله عليه وسلم – فى صورة دِحْيَة بن خليفة الكَلْبىّ على بَغْلَة عليها قطيفة ديباج فقال له : يا محمد إن كنتم قد وضعتم سلاحكم فما وضعت الملائكة سلاحها ، إن الله يأمرك أن تخرج إلى بنى قريظة وإنى متقدم إليهم فمزلزلٌ بهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم – مناديا ينادى فى الناس : لا يصلينَّ أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة . وكان / سعد بن معاذ إذ أصابه السهم دعا ربَّه ، فقال : اللهم إن كنت أبقيت من حَرْب قريش شيئا فأَبْقِنِى لها ، فإنه لا قوم أحبّ [إلى] أن أجاهدهم من قوم كذَّبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم إن كنت وضعتَ الحَرْبَ بيننا وبينهم فاجعلْها لى شهادة ولا تُمِتْنِى حتى تُقِرَّ عينى من بنى قريظة .

٩٥ ظ

---

(١) الكراع : الخيل .

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) أى يد البعير وكان قد ضربه فوثب به على ثلاث ولم يطلق عقال الرابعة الا وهو قائم .

* قلت : هذه الريح ، واما الجنود التى لم يروها ، قال الله سبحانه (فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) فتلك الجنود الملائكة بعثها الله قبل ، فنفثت فى روعهم الرعب والفشل وفى قلوب المؤمنين القوة والأمل . وقيل : انما بعثت الملائكة بزجر خيل العدو وابلهم ، فقطعوا مسيرة ثلاثة أيام فى يوم واحد ناكصين . والحمد لله رب العالمين .

(٤) وكان رجوعه من غزوة الخندق يوم الاربعاء لسبع ليال بقين من ذى القعدة .

غزوة (1) بنى قُرَيظة

فخرج المسلمون مبادرين إلى بنى قريظة ، فطائفة خافوا فوات الوقت فصلُّوا وطائفة قالوا : والله لا صَلَّينا العصر إلا فى بنى قريظة ، فبذلك أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم علم — صلى الله عليه وسلم — باجتهادهم ، فلم يعنِّف واحدا منهم (*) .

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية علىَّ بن أَبى طالب ، واستخلف على المدينة ابن أُمِّ مكتوم . ونهض على وطائفةٌ معه حتى أتوا بنى قريظة ونازلوهم وسمعوا سبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . / فانصرف على إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله لا تبلغ إليهم وعرَّض له . فقال له : أظنك سمعت منهم شتمى ، لو رأونى لكفُّوا عن ذلك . ونهض إليهم ، فلما رأوه أمسكوا ، فقال لهم : نقضتم العهد يا إخوة القرود ، أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ، فقالوا : ما كنت جاهلا يا محمد فلا تجهلْ (2) علينا .

96 و

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم بضعا (3) وعشرين ليلة ، وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد ثلاث خصال ليختاروا أيها شاءوا : إما أن يُسْلموا ويتَّبعوا محمدا على ما جاء به فيَسْلموا ، قال : وتُحْرزوا أموالكم ونساءكم وأبناءكم فوالله إنكم لتعلمون أنه الذى تجدونه فى كتابكم . وإما أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يتقدموا فيقاتلوا حتى يموتوا عن آخرهم . وإما أن يبيِّتوا (4) المسلمين ليلة السبت فى حين طمأنينتهم فيقتلوهم قتلا . فقالوا له : أَما الإسلام فلا نسلم ولا نخالف حكم التوراة (5) ، وأما قتل أبنائنا ونسائنا فما جزاؤهم المساكين منا أن نقتلهم ، ونحن لا نتعدَّى [فى] السَّبْت .

---

(1) انظر فى غزوة بنى قريظة ابن هشام ٣/ ٢٤٤ والواقدى ٣٧١ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٥٣ وانساب الاشراف ١/ ١٦٧ والبخارى ٥/ ١١١ وتاريخ الطبرى ٢/ ٥٨١ وابن حزم ص ١٩١ وابن سيد الناس ٢/ ٦٨ وابن كثير ٤/ ١١٦ والنويرى ١٧/ ١٨٦ والسيرة الحلبية ٢/ ٤٢٧ .

(*) قلت : فيه دليل على أن كل مجتهد مصيب ، لانه سوى بين الطائفتين ، ولو كانت احداهما أصابت والأخرى أخطأت لفضل أهل الصواب وان لم يعنف أهل الخطأ . (انظر فى ذلك الروض الأنف ٢/ ١٩٥) .

(2) الجهل هنا بمعنى النزق والسفه أى ضد الحلم .

(3) قيل خمسا وعشرين ليلة .

(4) يبيتونهم : يأتونهم ليلا .

(5) أى فى اهمال العمل يوم السبت .

ثم بعثوا إلى أَبي لُبابة ، وكانوا حلفاءَ بني عمرو بن عوف وسائر الأَوس ، فأَتاهم ، فجمعوا

٩٦ ظ. إليه أَبناءَهم ورجالهم ونساءَهم / وقالوا : له يا أَبا لُبابة أَترى أَن ننزل على حكم محمد ؟ فقال : نعم ، وأَشار بيده إلى حَلْقه ، إنه الذَّبْح إن فعلتم . ثم ندم أَبو لبابة فى الحين ، وعلم أَنه خان الله ورسوله ، وأَنه أمرٌ لا يستره الله عن نبيِّه صلى الله عليه وسلم . فانطلق إلى المدينة — ولم يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم — فربط نفسه فى سارية[1] ، وأَقسم لا يبرح مكانه حتى يتوب الله عليه . فكانت امرأَته تحلُّه لوقت كل صلاة . قال ابن عُيَيْنَة وغيره : فيه نزلت : (يا أَيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم) . وأَقسم أَن لا يدخل أَرض بنى قريظة أَبدا ، مكانا أَصاب فيه الذم[2] . فلما بلغ ذلك النبي من فعل أَبي لبابة قال : أَما إنه لو أَتانى لاستغفرت له ، وأَما إذ فعل فلست أَطلقه حتى يطلقه الله ، فأَنزل الله تعالى فى أَمر لُبابَة : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم — الآية) فلما نزل فيه القرآن أَمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — باطلاقه (*)

ونزل — فى تلك الليلة التى فى صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم — ثعلبة ، وأَسيد[3] ابنا سَعْيَة ، وأَسد بن عبيد ، وهم نفر من هَدْل بنى عمٍّ قريظة والنَّضير

---

(١) سارية : عمود من أعمدة المسجد .

(٢) اختلف فى السبب الذى من أجله صنع أبو لبابة ما صنع ندما وطلبا للمغفرة ، فقيل كما هنا بسبب حادثته مع بنى قريظة وقيل لانه تخلف عن غزوة تبوك فنزلت فيه الآية : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) انظر الاستيعاب ص ٦٧٥ .

* قلت : وانما أطلقه النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الآية لان الله تعالى قال : (عسى الله آن يتوب عليهم) وعسى من الله واجبة ، وجاء فى الخبر أنه لما نزلت توبته جاءت فاطمة تحله، فقال : انى حلفت ان لا يحلنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم حينئذ : فاطمة بضعة (قطعة) منى . (وفى رواية أخرى فى صحيح مسلم بشرح النووى : ومضغة منى) فان قلت : فلو اتفق مثل ذلك هل كان الحالف يبر بفعل ذلك المحلوف عليه؟ قلت : لا ، اما لان هذا خاص ، واما لان فاطمة بضعة من الرسول صلى الله عليه وسلم قطعا لانه حرسها الوحى ، واما ولد غير الانبياء فلا يقطع بأنه ابن ابيه ، وان طابقه والله متولى السرائر ، ولهذا قال عبد الله بن سلام لما نزل قوله تعالى : (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) : والله انى لأعرفه آكثر مما أعرف ابنى لأنى أعرفه يقينا بالمعجزات والآيات ، وأما ابنى فلا أدرى ماصنع النساء . رجع الكلام .

(٣) بفتح الهمزة وكسر السين عند اكثر الرواه وبفتحها مع ضم الهمزة عند نفر منهم .

وليسوا من قريظة والنَّضِير ، نزلوا مسلمين ، فأَحرزوا أَموالهم وأَنفسهم . وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سُعْدى [القُرَظِىّ][(١)] ومرَّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة وكان قد أَبى أَن يدخل فيما دخل فيه بنو قريظة وقال : لا أَغْدر بمحمد أَبدا ، فقال له محمد ابن مسلمة إِذ عرفه : اللهم لا تَحْرمنى إِقالة عثرات الكرام . فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ثم ذهب فلم يُرَ بعدُ / ولم يُعْلَمْ حيث سقط . وذُكر - لرسول الله صلى الله علية وسلم - أَمره ، فقال : ذلك رجل نجَّاه الله بوفائه .

٩٧ ظ

فلما أَصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثب الأَوس إِلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا رسول الله قد علمت أَنهم حلفاؤنا ، وقد شفَّعت عبد الله ابن أَبىّ ابن سَلول فى بنى قَيْنُقَاع[(٢)] حلفاءُ الخزرج ، فلا يكنْ حظُّنا أَوكس وأَنقص عندك من حظ غيرنا ، فهم موالينا . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأَوس أَلا ترضون أَن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فذلك إِلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد ضرب له خيمة فى المسجد ، ليعوده من قريب فى مرضه من جرحه الذى أَصابه فى الخندق. فلما حكَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قُرَيْظَةَ أَتاه قومه فاحتملوه على حمار ، وقد وطَّئوا له بوسادة من أَدَم وكان رجلا جسيما . ثم أَقبلوا معه إِلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَحاطوا به فى طريقهم يقولون : يا أَبا عمرو أَحْسِنْ فى [مواليك] فإِنما ولَّاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لتحسن إِليهم ، فقال لهم : قد آن لسعد أَن لا تأْخذه فى الله لومةُ لائم . فرجع بعضُ من معه إِلى ديار بنى عبد الأَشهل فنَعى إِليهم / رجال بنى قريظة . فلما أَطلَّ سعد على النبى صلى الله عليه وسلم قال للأَنصار : قوموا إِلى سيدكم (*) فقام المسلمون ، فقالوا يا أَبا عمرو

٩٨ و

---

(١) زيادة من ابن هشام

(٢) هكذا فى جميع المصادر وفى الاصل بنى النضير .

* قلت : واختلف فى اطلاق السيد فى حق الخلق فقيل : لايجوز ، وجاء فى الحديث انهم قالوا له عليه السلام : ياسيدنا ، فقال :انما السيد الله . وقيل يجوز لحديث سعد هذا . وكذلك اختلف فى جواز اطلاقه فى حق الله تعالى ، فأجازه قوم لقوله : انما السيد الله . ونقل عن مالك منعه ولم يصحح سند الحديث المتقدم ،وقال بعضهم : السيد احد ما يضاف اليه ، فلا تقول لتميمى انه سيد كنده ، وانما سيد كندة أحدهم . قال : فعلى هذا يحمل المنع فى حقه تعالى اذا أطلق ، حيث لايجوز الدخول فى الاضافة فلا تقول : الله سيد الناس . ويجوز أن تقول الله سيد الأرباب وسيد الكرماء ! والله أعلم

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قد ولّاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه : أنّ الحكم فيهم ما حكمتُ [1] ؟ قالوا : نعم ، قال : وعلى مَنْ هنا ؟ من [2] الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله إجلالًا له . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن يُقْتَل الرِّجال وتُسْبى الذَّرارى[3]

٩٨ ظ والنِّساء ، وتقسم الأموال . / فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة [4] . وأمر بهم رسول الله فأُخْرجوا إلى موضع [سوق[5] المدينة] فَخَنْدَق بها خنادق ، ثم أمر بهم النبي عليه السلام فضُربت أعناقهم في تلك الخنادق (*)

٩٩ و وقُتل يومئذ حُيَيّ بن أخطب وكعب بن أسد . وكانوا من / الستمائة إلى السبعمائة . وقُتل من نسائهم امرأة ، وهي بُنانة امرأة الحكم القُرَظِيّ التي طرحت الرَّحَى على خلاد[6] بن سويد ، فقتلته (*) .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - بقتل كل من أنبت [7] منهم وترك كل من لم ينبت : وكان عطية القُرَظِيّ من جملة مَنْ لم يُنْبِت فاستحياه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مذكور

---

(١) هكذا في ابن هشام ، وفي الاصل : أن أحكم فيهم ما حكمت .

(٢) في ابن هشام في .

(٣) الذرارى : الأولاد الذين لم يبلغوا الحلم .

(٤) الارقعة : جمع رقيع ، وهي السموات ، سميت كذلك لانها موقوعة بالنجوم . ولوحظ في الارقعة التذكير ولذلك جيء معها بالعدد مؤنثا ، وكأنما المراد بها السقوف جمع سقف .

(٥) زيادة من ابن هشام .

* قلت : استدل بعضهم بهذا الحديث على صحة القول بأن لله تعالى في كل واقعة حكما معينا ، من اصابه فقد أصاب الحق ومن اخطأه فقد أخطأ الحق خلافا للقائلين : كل مجتهد مصيب ولا حكم لله في الواقعة الا ما ظنه المجتهد . وأجاب الآخرون عن هذا الحديث بأن هذه المسألة لم تكن ظنية، بل كان وجوب قتل هؤلاء قطعيا وكان ذنبهم أعظم من أن يغفر أو يكفر أو يقبل (فيه) الاقالة . ولاخلاف بين الطوائف أن المسائل القطعية لله تعالى فيها حكم معين. قلت : والظاهر أن لا عذر بذلك ، بل كانت المسألة ظنية اجتهادية ولهذا كان غير سعد من الاوس يرى العفو عنهم وقد عرضوا لسعد بذلك فلم يقبل منهم، ولايظن بالأوس بجملتهم انهم أخطأوا الصواب القطعي فدل انه اجتهاد وفق فيه سعد .

(٦) كان ذلك في أثناء معركة بني قريظة ألقت الرحى عليه من احد آطامهم .

* قلت : فيه دليل على أن الذمية اذا قاتلت في الحرب فقتلت قتلت ، وفيه خلاف ويحتمل أن يقال قتلت وهي في العهد وليست مسألة الخلاف ، لان الذمية تقتل بالمسلم .

(٧) انبت : اخضرت ذقنه .

فى الصحابة . ووهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس ولدَ الزَّبير[1] ابن بَاطَا ، فاستحياهم ، منهم عبد الرحمن بن الزَّبير أسلم وله صُحْبة ووهب أيضا – عليه السلام – رفاعة بن سَمَوْءَل[2] القُرَظِىّ لأُم المنذر سلمى[3] بنت قيس أُخت سليط بن قيس من بنى النجار ، وكانت قد صلّت القبلتين . فأَسلم رفاعة ، وله صحبة ورواية .

وقسَم عليه السلام أموال بنى قريظة ، فأَسهم للفارس ثلاثة أَسهم وللراجل سهما ، وقد قيل للفارس سهمان وللراجل سهم . وكانت الخيل للمسلمين يومئذ ستة وثلاثون فرسا ، ووقع للنبى من [سَبْيهم] / ريحانة بنت عمرو بن خُناقة إحدى بنى عمرو بن قُرَيْظَة ، فلم تزل عنده إلى أَن مات صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن غنيمة قريظة هى أَول غنيمة قُسم فيها للفارس والراجل وأَول غنيمة جُعل فيها الخمس [لله ورسوله] وقد تقدم أَن أَول ذلك كان فى بعث عبد الله بن جحش . والله أَعلم (*) .

٩٩ ظ

وكان فتح بنى قريظة فى آخر ذى القعدة وأَول ذى الحجة من السنة الخامسة من الهجرة . فلما تمَّ أَمر بنى قريظة أَجيبت دعوة الرجل الصالح سعد بن معاذ فانفجر جرحه ، وانفتح عرقه ، فجرى دمه ومات ، رضى الله عنه . وهو الذى أَتى الحديث فيه أَنه اهتز لموته عرش الرحمن يعنى سكان العرش من الملائكة ، فرحوا بقدوم روحه واهتزوا له .

---

(١) كانت له على ثابت يد فى الجاهلية .

(٢) فى بعض المصادر : شمويل .

(٣) هى احدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لاذ بها رفاعة .

* وتهذيب ذلك أن تكــون غنيمة بنى قريظة أول غنيمة فيها الخمس بعد نزول قوله تعالى : (واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه) وكان عبدالله قد خمس قبل ذلك فى بعثه، ثم نزل القرآن بمثل فعله ، وذلك من فضائله ، رحمة الله عليه . وقد ذكر ابن عبد البر خبــره فى بابه من كتاب الصحابة .

١٠٠ و

ذكر من استُشْهِدَ / من المسلمين يوم الخندق

سعد بن معاذ أبو عمرو من بنى عبد الأشهل ، وأنَس بن أوس[١] بن عَتيك ، وعبد الله ابن سهل وكلاهما أيضا من بنى عبد الأشهل ، والطُّفَيْل[٢] بن النعمان ، وثعلبة[٣] بن عَنَمة وكلاهما من بنى سَلِمة ، وكعب بن زيد من بنى دينار بن النجار أصابه سهم غَرْبٌ[٤] فقتله[٥] .

ذكر من قُتل من المشركين يوم الخندق

وأصيب من المشركين يوم الخندق : منبِّه بن عثمان بن عُبَيْد بن السبَّاق بن عبد الدار أصابه سهم مات منه بمكة وقد قيل إنما هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى اقتحم الخندق فقُتل فيه ، وعمرو بن عبد وَدٍّ قتله علىٌّ مبارزة .[٦]

[شهداءُ يوم قريظة] :

واستشهد من المسلمين يوم قريظة : خَلَّاد بن سُوَيْد بن ثعلبة بن عمرو من بنى الحارث ابن الخزرج طرحت عليه امرأة من بنى قريظة رحًى فقتلته . ومات فى الحصار أبو سنان[٧] ابن مِحْصَن ، فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى مقبرة بنى قريظة التى يتدافن فيها المسلمون السكان بها اليوم . ولم يُصَب غير هذين . ولم يَغْزُ كفار قريش المسلمين بعد الخندق.[٨]

---

(١) قتله خالد بن الوليد .

(٢) قتله وحشى بن حرب الحبشى .

(٣) هكذا فى جميع المصادر والاستيعاب، وفى الاصل ، الطفيل بن عنمة ، وقد قتل ثعلبة هبيرة بن ابى وهب .

(٤) سهم غرب : لايعرف من أين أتى ، ويقال: قتله ضرار بن الخطاب الفهرى .

(٥) فى ابن سيد الناس ٦٧/٢ آن الحافظ عبد المؤمن الدمياطى ذكر فى شهداء الخندق قيس ابن زيد بن عامر بن سواد من بنى ظفر وقال انه حضر الخندق ومات هناك . وذكر أيضا عبد الله ابن أبى خالد من بنى عبد الاشهل وقال : قتل يوم الخندق شهيدا ، ذكره ابن الكلبى .

(٦) ويقال ان عليا قتل أيضا حسل بن عمرو بن عبد ود .

(٧) من بنى اسد بن خزيمة .

(٨) ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — بعد انصراف الأحزاب — لأصحابه : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم . فكان كذلك .

بَعْثُ(١) عبد الله بن عَتِيك

إلى قتل(٢) أبي رافع سَلام بن أبي الحُقَيْق / اليهودى

و(٣) انقضى شأْن الخندق وقريظة . وكان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ممن حزَّب الأَحزاب وأَلَّب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الأَوس قبل أُحد قد قتلت كعب بن الأَشرف فى عداوته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأَوس والخزرج يتصاولان تصاول الفحول ، لا تصنع الأَوس شيئا فيه ــ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ غناء إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بذلك فضلا علينا [ولا ينتهون حتى(٤) يوقعوا مثله] . وإذا فعلت الخزرج شيئا كفضل فى الإسلام أو بِرٍّ عند النبي صلى الله عليه وسلم قالت الأَوس مثل ذلك . فتذاكرت الخزرج مَنْ فى العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ــ كابن الأَشرف ، فذكروا ابن أبي الحُقَيْق ، واستأْذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فى قتله ، فأَذن لهم .

فخرج إليه خمسة نفر من الخزرج كلهم من بني سَلِمة ، وهم : عبد الله بن عَتِيك ، وعبدالله ابن أُنَيْس ، وأبو قتادة بن رِبْعِيّ ، ومسعود بن سِنان ، وخُزَاعِيّ بن أسود حليف لهم من أسلم . وأمَّر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عَتيك ، ونهاهم عن قتل النساءِ والصبيان . فنهضوا حتى أتوا خيبر ليلا ، وكان سَلام فى حصنه ساكنا فى دار مع جماعة وهو فى عِلِّيَّة(٥) منها ، فاستأْذنوا عليه ، فقالت / امرأته : من أنتم ؟ فقالوا : أُناس من العرب يطلبون الميرة(٦)

---

(١) انظر فى هذا البعث ابن هشام٣/٢٨٦ وابن سعد ج٢ق١ص٦٦ والمحبر لابن حبيب ص ٢٨٢ والطبرى ٢/٤٩٣ وابن حزم ص ١٩٨ وابن سيد الناس ٢/٨٠ وابن كثير ٤/١٣٧ والنويرى ١٧/١٩٧ .

(٢) هكذا كما فى ابن هشام وكما يدل سياق البعث فيما يلى ، وفى الأصل : فى قتل عبد الله ابن أبى رافع وهو سهو من الناسخ .

(٣) فى الاصل : ولما ، ولاجواب لها . وقدتابع ابن عبد البر ابن هشام فى جعل هذا البعث بعد غزوة بنى قريظه فيكون فى ذى الحجة من سنة خمس للهجرة ، وقال ابن سعد انه كان فى شهر رمضان من سنة ست .

(٤) زيادة من ابن هشام .

(٥) العلية : الغرفة العليا فى البيت .

(٦) الميرة : جلب الطعام .

فقالت لهم : هذاكم صاحبكم ، فأُدْخلوا . فلما دخلوا أغلقوا الباب على أنفسهم ، فأَيقنتْ بالشر وصاحت ، فهمُّوا بقتلها . ثم ذكروا نَهْىَ النبي –صلى الله عليه وسلم– عن قتل النساء والوِلْدَان ، فأمسكوا عنها . ثم تعاوروه بأَسيافهم وهو راقد على فراشه ، أَبيض فى سواد الليل كأَنه قُبْطية[١] ، ووضع عبد الله بن عَتيك سيفه فى بطنه حتى أَنفذه ، وهو يقول : قَطْنى[٢] قَطْنى . ثم نزلوا .

وكان عبد الله بن عَتِيك سيِّىءَ[٣] البصر ، فوقع[٤] ، فَوَثِئتْ[٥] رجله وَثْئًا شديدا ، فحمله أَصحابه حتى أَتوا مَنْهَرًا[٦] من مناهرهم ، فدخلوا فيه ، واستتروا . وخرج أَهل الآطام لصياح امرأَته وأَوقدوا النيران فى كل جهة ، فلما يَئِسوا رجعوا[٧] . فقال أَصحاب ابن عَتيك كيف لنا أَن نعلم أَن عدو الله قد مات ؟ فرجع أَحدهم ، فدخل بين الناس ، فسمع امرأَة ابن أَبى الحُقيْق تقول : والله لقد سمعت صوت ابن عَتيك ، ثم [أَكذبت[٨] نفسى] وقلتُ : أَنَّى ابن عَتِيكٍ بهذه البلاد ؟ ! . قال : ثم إنها نظرت فى وجهه ، فقالت : فاظ[٩] وإلٰه يهودَ .

قال : فسُرِرت ، وانصرفت إلى أَصحابى ، فأَخبرتهم بذلك .

فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَخبروه ، وتداعوا[١٠] فى قتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أَسيافكم / فأَروه إياها ، فقال عليه السلام عن سيف عبد الله ابن أُنَيْس : هذا قتله[١١] ، أَرى فيه أَثر الطعام . وحديثُ البراء بن عازب فى قتل ابن أَبى الحُقَيْق بخلاف هذا المساق ، والمعنى واحد .

١ ظ

---

(١) القبطية : ثياب بيض من كتان تصنع بمصر .
(٢) قطنى : كفانى .
(٣) هكذا فى ابن هشام والمصادر الاخرى ، وفى الأصل : ضرير البصر
(٤) فى ابن هشام : فوقع من الدرجة .
(٥) وثئت : صدعت صدعا شديدا لايبلغ الكسر .
(٦) المنهر : فضاء بين أفنية القوم يلقون فيه فضلاتهم أو كناساتهم .
(٧) فى ابن سعد : أنه خرج فى اثرهم الحارث أبو زينب فى ثلاثة آلاف يطلبونهم بالنيران فلم يروهم ، فرجعوا ، ومكث القوم فى مكانهم حتى سكن الطلب .
(٨) زيادة من ابن هشام ، وهى من حديث امرأة ابن أبى الحقيق .
(٩) فاظ : مات .
(١٠) تداعوا : ادعى كل منهم أنه قاتله .
(١١) فى النويرى ، عن الحافظ الدمياطى : فى حديث آخر أن الذى قتله عبد الله بن عتيك وحده ، وهو الصواب .

غزوة[1] بنى لِحْيان

وأَقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة بعد فَتْح بنى قريظة بقية ذى الحجّة والمحرّم وصَفَرًا وربيعا الأَول وربيعا الآخر ، وخرج عليه السلام ، فى جمادى[2] الأُولى فى الشهر السادس من فتح بنى قريظة وهو الشهر الثالث من السنة السادسة من الهجرة ، قاصدا إِلى بنى لِحْيان[3] ، مطالبا بثأر عاصم بن ثابت وخُبَيْب بن عَدِى وأَصحابهما المقتولين بالرَّجيع .

فسَلك عليه السلام على طريق الشام [4] من المدينة على جبل يقال له غُراب ، ثم أَخذ ذات الشمال ، ثم سلك المحجَّة من طريق مكة ، فأَغذَّ[5] السير حتى أَتى وادى غُران بين أَمَجٍ وعُسْفان[6] ، وهى منازل[7] بنى لحيان ، فوجدوهم قد حَذِروا وتمنَّعوا فى رءُوس الجبال . فتمادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى مائتى راكب حتى نزل عُسْفان . وبعث صلى الله عليه وسلم رجلين من أَصحابه فارسين حتى بلغا كُراع[8] الغميم ، ثم كرَّا ورجعا ، ورجع صلى الله عليه وسلم قافلا إِلى المدينة .

وفى غزوة بنى لحيان قالت الأَنصار : المدينة خاليةٌ منا وقد بعدنا عنها ولا نأْمن عدوا يخالفنا إِليها ، فأَخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم / أَن على أَنقاب المدينة ملائكة ، على كل نقب منها ملك يحميها بأَمر الله عَزَّ وجَلَّ . ٥٠٢

(١) انظر فى غزوة بنى لحيان ابن هشام ٢٩٢/٣ والواقدى ٣٧٤ وابن سعد ج٢ ق١ ص٥٦ والطبرى ٩٥٥/٢ وابن حزم ص ٢٠٠ وابن سيد الناس ٨٣/٢ وأنساب الأشراف ١٦٧/١ وابن كثير ٨١/٤ والنويرى ٢٠٠/١٧ .

(٢) فى ابن سعد : لغرة هلال شهر ربيع الاول سنة ست . وقد استعمل على المدينة فى هذه الغزوة ابن أم مكتوم .

(٣) قبيلة هذلية ، وكانت هى التى قتلت عاصما وبعض أصحابه وأسرت الباقين كما مر بنا فى بعث الرجيع .

(٤) أى أنه أظهر أنه يريد الشام حتى لا تعرف وجهته .

(٥) أغذ السير : أسرع .

(٦) عسفان : على مرحلتين من مكة .

(٧) حيث كان مصاب عاصم وأصحابه .

(٨) كراع الغميم : موضع جنوبى عسفان الى مكة . وانما صنع ذلك حتى تسمع بتلك الغزوة قريش فيملؤها الذعن ، وفى ابن سعد : أنه بعث أبا بكر فى عشرة فوارس ، فأتوا الغميم ثم رجعوا ولم يلقوا أحدا .

غزوة[1] ذى قَرَد[2]

ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بنى لحيان لم يبق بالمدينة [إلا ليالى[3] قلائل حتى أغار] عُيَيْنة بن حِصْن فى بنى عبد الله بن غطفان ، فاكتسحوا لِقاحا[4] كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة[5] ، وكان فيها رجل[6] من بنى غِفار وامرأة له ، فقتلوا الغِفارى ، وحملوا المرأة واللِّقاح .

وكان أول من أنذرهم[7] سَلَمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى كان ناهضا إلى الغابة ، فلما علا ثنيَّةَ الوداع نظر إلى خيل الكفار وأنذر المسلمين ، ثم نهض فى آثارهم ، فأَبْلَى بلاءً عظيما حتى استنقذ أكثر ما فى أيديهم . ووقعت الصيحة بالمدينة ، فكان أول من جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى حين الصيحة المقداد بن الأسود ، ثم عَبَّاد بن بشر ، وسعد بن زيد الأشهليان ، وأُسَيد بن ظُهَيْر الأنصارى ، وعُكَّاشة بن مِحْصَن الأسدى ، ومُحْرِز بن نَضْلة[8] الأسدى الأَخْرم ، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعى ، وأبو عيَّاش الزُّرَيقىّ واسمه عبيد بن زيد بن صامت . فلما اجتمعوا أمرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم [عليهم] سعد[9] بن زيد . وقيل إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطى فرس أبى عياش الزُّريقى معاذَ بن ماعص أو عائذ بن ماعص وكان أحكم للفروسية من أبى عياش .

---

(1) انظر فى غزوة ذى قرد ابن هشام ٢٩٣/٣ وابن سعد ج٢ق١ص ٥٨ وصحيح البخارى ١٣٠/٥ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٧٣/١٢ وانساب الاشراف ١٦٧/١ والطبرى ٥٩٦/٢ وابن حزم ص ٢٠١ وابن سيد الناس ٨٤/٢ وابن كثير ١٠٥/٤ والنويرى ٢٠١/١٧ .

(2) قرد بفتح القاف والراء وقيل بضمهما . وذو قرد : ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان وقيل على مسافة يوم منها .

(3) زيادة من ابن هشام . وعند ابن سعد أن هذه الغزوة كانت فى ربيع الاول .

(4) لقاح : جمع لقحة وهى الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة او هى الحاملة ذات اللبن .

(5) الغابة : موضع شمالى المدينة .

(6) فى ابن سعد أن هذا الرجل الغفارى ابن لأبى ذر واسم امرأته ليلى .

(7) هكذا فى الاصل ، وفى المصادر الاخرى: نذر بهم : أى عرفهم .

(8) ويروى : نضلة بفتح النون والضاد . والأخرم لقبه .

(9) قيل : بل المقداد كان أميرهم وهو قول ضعيف .

١٠٢ فأول من لحق بهم محرز بن نَضْلة الأخرم فقُتل ، رحمه الله ، قتله عبد / الرحمن ابن [عُيينة[١] بن] حصن وكان على فرسٍ لمحمود بن مسلمة أخى محمد بن مسلمة أخذه وكان صاحبه غائبا ، فلما قُتل رجع الفرس إلى آرِيِّه[٢] فى بنى عبد الأشهل ، وقيل : بل أخذ الفرس عبد الرحمن بن عُيَيْنَة إذ قتل محرز بن نضلة عليه ، وركبه . ثم قتل سلمة ابن الأكوع عبد الرحمن بن عيينة بالرَّمْى فى خرجته تلك واسترجع الفرس وخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على فَرَسٍ لأبى طلحة ، وقال : إن وجدته لبحرا . وانهزم المشركون ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ماءً يقال له ذو قَرَد ، ونَحَر ناقة من لقاحه المسترجعة ، وأقام على ذلك الماء يوما وليلة . وكان الفضل فى هذه الغزاة والفعل الكريم والظهور والبلاء الحسن لسلمة بن الأكوع ، وكلهم ما قصّر[٣] ، رضى الله عنهم .

وكان المشركون قد أخذوا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم : العَضْباء[٤] فى غارتهم تلك على سَرْح[٥] المدينة ونَحَوْا بها وبتلك المرأة الغِفارية الأسيرة امرأة الغفارى المقتول وقد قيل إنها لم تكن امرأة الغفارى المقتول وإنما كانت امرأة أبى ذر ، والأول قول ابن إسحق وأهل السِّيَر . قال : فنام القوم ليلة وقامت المرأة فجعلت لا تضع شيئا على بعير إلا رَغَا ، حتى أتت العَضْباء ، فإذا ناقة ذلول ، فركبتها ونذرت إن نجّاها الله عليها لتنحرنَّها . فلما قدمت المدينة عُرفت ناقة النبى صلى الله عليه وسلم / فأُخْبِرَ بذلك ، فأرسل إليها ، فجىءَ بها وبالمرأة ، ١٠٣ فقالت : يا رسول الله نذرت إن نجّانى الله أن أنْحرها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بئس ما جزيتها ، لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم . وأخذ ناقته صلى الله عليه وسلم .

---

(١) زيادة يدل عليها ما بعدها وفى بعض الروايات ان اسم قاتله مسعدة الفزارى وقيل بل اسمه اوبار .
(٢) آريه : مربطه .
(٣) ويقال : قتل أبو قتادة مسعدة الفزارى ، وقتل المقداد حبيب بن عيينة بن حصن وقرفة ابن مالك بن حذيفةبدر ، وقتلعكاشة بن محصن أو بارا وابنه .
(٤) ويقال انهم نجوا معها بتسع من لقـاح الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٥) السرح : الابل والغنم الراعية المرسلة.

غزوة[1] بنى المُصْطَلِق من خُزَاعة

ثم أَقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة باقى جمادى الأُولى ورجبا ، ثم غزا بنى المُصْطَلق فى [شعبان[2] من] السنة السادسة من الهجرة ، واستعمل على المدينة أَبا ذرٍّ الغِفارى ، وقيل : بل نُمَيْلة[3] بن عبد الله الليثى . وأَغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى المُصْطلِق وهم غارّون[4] وهم على ماء يقال له : المُرَيْسِيع[5] من ناحية قُدَيْد[6] مما يلى الساحل ، فقَتل من قتل [منهم] وسَبى النساء والذُّرِّيَّة . وكان شعارهم يومئذ ، أَمِتْ ، أَمِتْ . وقد قيل إن بنى المصطلِق جَمَعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغه ذلك خرج إليهم ، فلقيهم على ماء يقال له المُرَيسيع ، فاقتتلوا ، فهزمهم الله . والقول الأَول أَصح : أَنه أَغار عليهم وهم غارّون .

ومن ذلك السَّبْى جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أَبى ضِرار سيد بنى المُصْطلِق وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شَمَّاس ، فكاتبها ، فأَدَّى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَعتقها وتزوّجها . وشهدت عائشة – رضى الله عنها تلك الغَزاة ، قالت : ما هو إلا أَن وقفت جُوَيْرِيَة بباب الخِباء تستعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتابتها ، فنظرتُ إليها فرأَيتُ على وجهها ملاحة / وحسنا ، فأَيقنت أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآها أَعجبته ، فما هو إلا أَن كلَّمته ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوَ خير من ذلك: أَن أُؤدىَ كتابتك وأَتزوجَك . قالت : وما رأَيت أَعظم بركة على قومها منها ، فما هو إلا أَن علم المسلمون أَن رسول الله – صلى الله عليه

١٠٣ ظ

(١) انظر فى غزوة بنى المصطلق – وتسمى غزوة المريسيع – ابن هشام ٣/٣٠٢ والواقدى ٣٨٠ وابن سعد ج٢ق١ص٤٥ وصحيح البخارى ٥/١١٥ والطبرى ٢/٦٠٤ وانساب الأشراف ١/٦٤ وابن حزم ص٢٠٣ وابن سيد الناس ٢/٩١ وابن كثير ٤/١٥٦ والنويرى ١٧/١٦٤ والسيرة الحلبية ٢/٣٦٤ .

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) وقيل : زيد بن حارثة .

(٤) غارون : غافلون .

(٥) ماء لبنى المصطلق بينه وبين الفرع نحو من يوم وبين الفرع والمدينة ثمانية برد .

(٦) قديد : قرية كانت لخزاعة كثيرة البساتين ، على الطريق من المدينة الى مكة .

وسلم – تزوجها ، فأعتقوا كل ما بأيديهم من سَبْى بنى المصطلِق،وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] ، وأسلم سائر بنى المصطلق .

وقد اختلف فى وقت هذه الغزاة ، قيل : كانت قبل الخندق وقريظة [٢] ، وقيل : كانت بعد ذلك وهو الصواب إن شاء الله . وقُتل فى هذه الغَزاة هشام بن صُبابة اللَّيثى خطأً ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة لم يعرفه وظنه من المشركين [٣] .

وفى هذه الغَزاة قال عبدُ الله بنُ أُبَىّ ابنُ سَلولَ : (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأَعزُّ منها الأذلَّ) وذلك لِشَرٍّ وقع بين جَهْجاه بن مسعود الغِفارى – وكان أجيرا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه – وبين سنان بن وَبر [٤] الجُهَنِىّ حليف بنى عوف بن الخزرج ، فنادى جهجاه الغفارى : يا لَلمهاجرين ، ونادى الجُهَنى : يا لَلأَنصار [٥] . وبلَّغ زيد بن أَرْقم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مقالة عبدِ الله بنِ أُبَىّ ابنِ سَلولَ ، فأَنكرها ابن أُبَىّ ، فأَنزل الله عز وجلَّ [فيه] سورة المنافقين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن أرقم : وفَتْ أُذُنك يا غلام [٦] ، وأخذ بأُذنه . وتبرَّأَ عبد الله بن عبد الله بن أُبَىّ من فعل أَبيه،وأَتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله أَنت – والله – العزيزُ،وهو الذليل ، أَو قال : أَنت الأَعز وهو الأَذل ، وإن شئت – والله – لنخرجنه من المدينة . وقال سعد [٧] بن عُبادة : يا رسول الله إن هذا رجل يحمله

---

(١) واضح ان اقتران الرسول بجويرية لم يكن لجمالها كما ظنت السيدة عائشة ، وانما كان سياسة منه ليُعتق المسلمون مَن بأيديهم من نساء القوم،وليستعطف عشائرهم حتى يدخلوا فى الاسلام،وفعلا دخلوا فيه،وتمت عليهم نعمة ربهم .

(٢) هو قول ابن سعد اذ ذكر انها كانت فى شعبان سنة خمس من الهجرة لليلتين خلتا منه ، بينما ذكر ان غزوة الخندق كانت فى ذى القعدة من نفس السنة .

(٣) فى هذه الغزوة نزلت آية التيمم . انظر ابن سيد الناس ٢/١٠٢ – ١٠٣ .

(٤) فى الاستيعاب ص٥٨١ سنان بن تيم ويقال ابن وبر ، وكان سبب الشر ازدحامهما على الماء .

(٥) فى الصحيح ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما سمع بهذا التنادى وتلك الدعوة قال : دعوها فانها منتنة يعنى انها خبيثة لانها من دعوى العصبية الجاهلية وقد جعل الله المؤمنين اخوة وحزبا واحدا وأمة واحدة .

(٦) كان غلاما حدثا ، فقال بعض الأنصار لرسول الله حدبا على ابن أبى ودفعا عنه : عسى أن يكون الغلام أوهم فى حديثه .

(٧) فى بعض الروايات أن هذا الحديث كان بين أسيد بن خضير والرسول .

حسده على النفاق ، فدعْه إلى عمله ، وقد كان قومه على أن يتوّجوه بالخرز قبل قدومك المدينة ، ويقدموه على أنفسهم ، فهو يرى أنك نزعتَ ذلك منه ، وقد خاب وخسر إن كان يضمر خلاف ما يظهر ، وقد أظهر الإيمان ، فكِلْه[1] إلى ربه . وقال عبد الله بن عبد الله بنِ أُبَيٍّ ابنِ سَلولَ : يا رسول / الله بلغنى أنك تريد قتل أبى ، فإن كنت تريد ذلك فمُرْنى بقتله ، فوالله إن أمرتنى بقتله لأقتلنه ، وإنى أخشى يا رسول الله إن قتله غيرى أن لا أصبر عن طلب الثأر ، فأقتل به مسلما ، فأدخل النار ، وقد علمتِ الأنصار أنى من أبرِّ أبنائها بأبيه ، فقال له رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ خيرا ، ودعا له ، وقال له : بَرَّ أباك ، ولا يرى منك إلا خيرا(*) . فلما وصل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمون إلى المدينة من تلك الغزاة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبى لأبيه بالطريق ، وقال : والله لا تدخل المدينة حتّى يأْذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدخول ، فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخوله .

وفى هذه الغزاة قال أهل الإفك فى عائشة ـ رضى الله عنها ـ ما قالوا ، فبرَّأها الله مما قالوا ، ونزل القرآن ببراءتها[2] .

وروايةُ مَنْ رَوَى أن سعد بن معاذ راجع فى ذلك سعد بن عُبادة وهم وخطأ[3] ، وإنما تراجع فى ذلك / سعد بن عبادة مع أُسَيْد بن حُضَيْر ، كذلك ذكر ابن إسحق عن الزُّهرى عن عبيد الله بن عبد الله وغيره ، وهو الصحيح ، لأن سعد بن معاذ مات فى منصرف رسول الله

---

(١) كله : دعه .

* وذكر بعض العلماء الحكمة التى لاجلها قدم الله اسلام الاجانب على اسلام الاقارب حتى بلغ من الاجانب ان يقتل احدُهم اباه ايثاراً لله ولرسوله كما وعد عبد الله من نفسه ، فقال : الحكمة فى ذلك انه لو تقدمت الاقارب لقال الملحدون : قوم أرادوا الفخر لانفسهم ، فقدم الله الاجانب تنزيها لمنصب النبوة من هذه القالة . والله اعلم .

(وأنظر فى مواقف عبد الله من أبيه ودلالتـه على حسن ايمانه الروضَ الأُنُف ٢/٢١٧ وما بعدها) .

(٢) وذلك فى الآيات العشر بسورة النور : (ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم مـا اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ـ الى قوله تعالى : وان الله رءوف رحيم) . وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب ص ٧٦٦ : أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالذين رموا عائشة بالافك حين نزل القرآن ببراءتها فجلدوا الحـد ثمانين فيما ذكر جماعة من اهل السير والعلم بالخبر .

(٣) انظر البخارى ٥/١١٦ وما بعدها والطبرى ٢/٦١٠

صلى الله عليه وسلم من بنى قُرَيْظة لا يختلفون فى ذلك ، ولم يدرك غزوة المُرَيْسِيع[1] ولاحضرها .

وقدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ، فقدم عليه مِقْيَس بن صُبابة مظهرا للإسلام وطالبا لدية أخيه هشام بن صبابة ، فأمر له عليه السلام بالدِّية ، فأخذها ، ثم عَدَا على قاتل أخيه ، فقتله ، وفرَّ إلى مكة كافرا ، وهو أحد الذين أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقتلهم فى حين دخوله مكة .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ إلى بنى المصطلق بعد إسلامهم بأكثر من عامين الوليدَ بن عقبة بن أبي مُعَيْط مصدِّقا[2] لهم ، فخرجوا ليتلقوه ، ففزع منهم ، وظن أنهم يريدونه بسوءٍ ، فرجع عنهم ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أنهم ارتدُّوا ومنعوا الزكاة وهَمُّوا بقتله . فتكلم المسلمون فى غزوهم ، فبينما هم كذلك إذ قدم وافدهم منكرا لرجوع مصدِّقهم عنهم دون أن يأخذ صدقاتهم [وأنهم] إنما خرجوا إليه مكرمين له ، فأكذبه الوليد بن عقبة ، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) يعنى الوليد بن عقبة (فتبينوا / أنْ تصيبوا قوما بجهالة ـ الآية) .

١٠٥ ر

---

(١) وهذا على قول من قال انها كانت بعد غزوة بنى قريظة ، أما من يقول كابن سعد انها كانت قبلهما فانه يسقط عنده اعتراض ابن عبد البر .

(٢) مصدقا : جامعا للزكاة .

عُمرة[1] الحُدَيْبِيَة

فأَقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالمدينة منصرفَه من غزوة بنى المُصْطَلق رمضان[2] وشوالا ، وخرج فى ذى القِعْدة[3] معتمرا ، فاستنفر الأَعراب الذين حول المدينة ، فأَبطأ عنه أكثرهم . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأَنصار ومن اتبعه من العرب ، وجميعهم نحو أَلف وأَربعمائة ، وقيل أَلف وخمسمائة[4] .

وساق معه الهدْى[5] ، وأَحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بِعُمْرة[6] ، ليعلم الناس أَنه لم يخرج لحرب[7] . فلما بلغ خروجه قريشا خرج جمْعُهم صادِّين لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام ودخول مكة وأَنه إن قاتلهم قاتلوه دون ذلك ، وقدَّموا خالد[8] بن الوليد فى خيل إلى كُراع[9] الغميم ، فورد الخبر بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعُسْفان[10] ، فسلك طريقا يخرج منه فى ظهورهم[11] . وخرج إلى الحديبية من أَسفل مكة ، وكان دليله فيه رجلا من أَسلم . فلما بلغ ذلك خيل / قريش التى مع خالد جرتْ إلى قريش تعلمهم بذلك . ١٠٥ظ

---

(١) انظر فى عمرة الحديبية ابن هشام٣/ ٣٢١ والواقدى ٣٨٣ وابن سعد ج٢ق١ص ٦٩ والبخارى ٥/١٢١ وصحيح مسلم بشرح النووى١٢/١٣٥ والطبرى ٢/ ٦٢٠ وابن حزم ص ٢٠٧ وابن سيد الناس ٢/ ١١٣ وابن كثير ٤/ ١٦٤ والنويرى ١٧/ ٢١٧ . والحديبية : بئر سمى بها المكان وقيل شجرة حدباء سمى بها على التصغير ، وقيل : قرية قريبة من مكة .

(٢) فى الاصل : أيضاً فى شوال ، وهو تصحيف من الناسخ .

(٣) عند ابن سعد : يوم الاثنين لهلال ذى القعدة .

(٤) وقيل : سبعمائة، وقيل : الفوخمسمائة وخمسة وعشرون ، وقيل : الف وثلاثمائة .

(٥) الهدى : هدى الكعبة ، وهو ما يضحى به عندها ، ويقال أنه كان سبعين ناقة .

(٦) واضح انه احرم بالعمرة فىذى الحليفة : ميقات أهل المدينة .

(٧) انما خرج زائرا للكعبة ومعظما .

(٨) ويقال : بل قدموا عكرمة بن أبى جهل.

(٩) كراع الغميم : موضع بين رابغ والجحفة فى اتجاه المدينة .

(١٠) عسفان : قرية بين المدينة ومكة .

(١١) يقال : سلك بهم طريقا وعرا شديد الوعورة .

ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم . إلى الحُدَيْبِيةَ بركتْ ناقته صلى الله عليه وسلم ، فقال الناس : خَلَأَتْ[1] خلأت ، فقال النبي عليه السلام : ماخلأت ، وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابسُ[2] الفيلِ عن مكة ، لا تدعونى قريش اليوم إلى خُطَّةٍ يسألوننى فيها صلة رحم إلا أعطيتهم إياها . ثم نزل صلى الله عليه وسلم هنالك ، فقيل : يا رسول الله ليس بهذا الوادى ماء ، فأخرج عليه السلام سهما من كنانته ، فأعطاه رجلا من أصحابه ، فنزل فى قَليبٍ[3] من تلك القُلُب ، فغرزه فى جوفه ، فجاش الماء الرَّوَاء[4] حتى كفى جميع أهل الجيش . وقيل إن الذى نزل بالسهم فى القَليب ناجية بن جُنْدب بن عُمَيْر الأسلمى وهو سائق بُدْن[5] رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، وقيل : بل نزل بالسهم فى القليب البَرَاءُ بن عازب .

ثم جرت الرسل والسُّفَرَاءُ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش ، وطال التراجع والتنازع إلى أن جاءه سُهَيْل بن عمرو العامرى ، فقاضاه[6] على أن ينصرف عليه السلام عامَه ذلك ، فإذا كان من قابل أتى معتمرا ودخل هو وأصحابه مكة بلا سلاحٍ حاشا السيوف فى قُرُبِهَا فيقيم بها ثلاثا ويخرج . وعلى / أن يكون بينه وبينهم صلح عشرة أعوام يتداخل فيها الناس ويأمن بعضهم بعضا ، على أن من جاء من الكفار إلى المسلمين مسلما ، من رجل أو امرأة ، رُدَّ إلى الكفار ، ومَنْ جاء من المسلمين إلى الكفار مرتدا لم يردوه إلى المسلمين .

١٠٦ و

فعظم ذلك على المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلام . وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أعلم بما علّمه الله من أنه سيجعل للمسلمين فرجا ، فقال لأصحابه : اصبِروا فإن الله يجعل هذا الصلح سببا إلى ظهور دينه ، فأنس الناس إلى قوله بعد نفارٍ منهم .

وأبَى سهيل بن عمرو أن يُكْتَبَ فى صدر صحيفة الصلح من محمد رسول الله وقال له :

---

(١) خلأت : حرنت .
(٢) أى الله جل جلاله .
(٣) قليب : بئر .
(٤) الماء الرواء : الماء العذب السائغ .
(٥) البدن : جمع بدنة وهى الناقة تنحر بمكة .
(٦) قاضاه هنا : صالحه .

لو صدقناك بذلك مادفعناك عما تريد ، ولا بد أن يُكْتَب : باسمك اللهم[1] . فقال لعلى : - وكان كاتب صحيفته - امْحُ يا على ، واكتبْ باسم اللهم . وأبى على أن يمحو بيده «رسول[2] الله» فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضْ علىّ ، فأشار إليه[3] ، فمحاه - صلى الله عليه وسلم - بيده ، وأمره أن يكتب : من محمد بن عبد الله .

وأتى أبو جَنْدل بن سُهَيْل[4] يومئذ بأثر كتاب الصلح ، وهو يَرْسُفُ فى قيوده ، فردّه - صلى الله عليه وسلم - على أبيه ، فعظُم ذلك على المسلمين ، فأخبرهم صلى الله عليه وسلم وأخبر أبا جندل أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا . وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - / قد بعث عثمان بن عَفّان إلى مكة رسولا[5] ، فجاء خبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن أهل مكة قتلوه ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ المسلمين للمبايعة على الحرب والقتال لأهل مكة . ورُوِى أنه با يعهم على أن لا يفِرّوا . وهى بَيْعَةُ الرِّضوان تحت الشجرة[6] التى أخبر الله عزَّ وجلَّ أنه رضى عن المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم - تحتها[7] ، وأخبر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنهم لا يدخلون النار . وضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيمينه على شماله لعثمان [وقال[8] : هذه عن عثمان] فهو كمن شهدها .

١٠٦ ظ

ذكر وكيع ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى ، قال :

أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم - يوم الحُدَيْبية أبو سنان الأسدى . وذكر ابن هشام عن وكيع . كانت قريش قد جاء منهم نحو سبعين أو ثمانين رجلا للإيقاع بالمسلمين وانتهاز الفرصة فى أطرافهم ، ففطن المسلمون لهم فخرجوا ، فأخذوهم أسرى . وكان ذلك

---

(١) كان قد أملى الرسول : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله وواضح أنه أبى البسملة ووصف محمـــد بانه رسول الله .

(٢) فى الاصل : محمد رسول الله .

(٣) فأشار اليه : أى الى مكان رسول الله فى الصحيفة .

(٤) أى سهيل بن عمرو ، وكان أبو جندل قد آمن بالله ورسوله ويقال انه رجع مكة فى جوار مكرز بن حفص .

(٥) أى اقبل عقد هذا الصلح . (٦) كانت شجرة طلح وهى السمرة .

(٧) وذلك قوله جل وعز : (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) .

(٨) زيادة من بعض المصادر . انظر ابن حزم ص ٢١٠ .

والسفراء يمشون بينهم فى الصلح . فأطلقهم رسول الله ، فهم الذين يسمون العُتَقاء ، وإليهم يُنْسَبُ العِتِقيُّونَ فيم يزعمون ، ومنهم معاوية وأبوه فيما ذكروا .

فلما تَمَّ الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة الذى تولَّى عقده لهم سهيل بن عمرو على ما ذكروا ، أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المسلمين أن يَنْحروا ويَحِلُّوا . ففعلوا بعد توقُّف كان بينهم / أغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه السلام : لو نحرت لنحروا . فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ هَدْيه ، فنحروا بنحره . وحلق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأسه ، ودعا للمحلِّقين ثلاثا وللمقصِّرين واحدة[1] . قيل إن الذى حلق رأسه صلى الله عليه وسلم يومئذ خِراش بن أُمية بن الفضل الخزاعى .

١٠٧

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة ، فأتاه أبو بصير عُبَيْد بن أسيد بن جارية الثقفى حليف لبنى زُهْرة هاربا من مكة مسلما ، وكان ممن حُبِس بمكة مع المسلمين ، فبعث فيه الأَزهر بن [عبد][2] عوف عم عبد الرحمن بن عوف والأَخنس بن شَرِيق الثَّقفى رجلا من بنى عامر بن لُؤىّ ومولى لهم ، فأتيا النبى عليه السلام ، فأسلمه إليهما على ما عُقد فى الصلح . فاحتملاه ، فلما صاروا بذى الحُلَيْفة[3] قال أبو بَصير لأحد الرجلين : أرى سيفك هذا سيفا جيدا فأرِنيه ، فلما أراه إياه ضرب [به] العامرىَّ فقتله ، وفَرَّ المولى فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هذا رجل مذعور ولقد أصاب هذا ذعر . فلما وصل إليه أخبره بما وقع . وقال : غَدر بنا وبينما هو يكلِّمه إذ وصل أبو بَصير ، فقال : يا رسول الله قد وفَتْ ذِمَّتك وأطلقنى الله عَزَّ وَجَلَّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَيْلُمِّهِ مِسْعَرُ[4] حَرْب لو كان له رجال ، أو قال أصحاب . فعلم / أبو بصير

١٠٧ ظ

(١) عن ابن عمر وابن عباس : حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحم الله المحلقين، قالوا: يارسول الله والمقصرين؟ قال : يرحم الله المحلقين قالوا : يارسول الله والمقصرين ؟ قال : يرحم الله المحلقين ، قالوا والمقصرين : قال : يرحم الله المقصرين .

(٢) زيادة من الاستيعاب وغيره .

(٣) ذو الحليفة : ميقات أهل المدينة كما سلف وهى على بعد سبعة أميال منها .

(٤) مسعر حرب : موقد حرب .

أنه سيردُّه فخرج حتى أتى سِيف[1] البحر ، موضعا يقال له العِيص[2] من ناحية ذى المَرْوَة على طريق قريش إلى الشام ، فجعل يقطع على رفاقهم[3] . واستضاف إليه قوما من المسلمين الفارِّين عن قريش ، منهم أبو جَنْدل بن سهيل ، فجعلوا لا يتركون لقريش عِيرا ولا ميرة ولا مارًّا إلا قطعوا بهم . فكتبت فى ذلك قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا نرى أن تضمَّهم إليك إلى المدينة ، فقد آذونا .

وأنزل الله تعالى بعد ذلك القرآن بفسخ الشرط المذكور فى رَدِّ النساء[4] ، فمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من رَدِّ هن ، ثم نزلت سورة[5] براءة ، فنُسخ ذلك كله ، ورُدَّ على كل ذى عَهْد عهده وأن يُمْهَلُوا أربعة أشهر ، ومن لم يستقم على عهده لا يستقام له . وهاجرت أُم كلثوم بنت عقبة بن أَبي مُعَيْط ، فأَتى أخواها : عمارة والوليد فيها ، ليردوها ، فمنع الله عَزَّ وَجلَّ من رَدِّ النساء المومنات إلى الكفار إذا امتحنَّ[6] فوُجدْن مومنات . وأَخبر أَن ذلك لا يحِلّ . وأمر المؤمنين أيضا أَن لا يمسكوا بِعِصَم الكوافِر[7] ، ولا ينكحوا المشركات ، يعنى الوثنيَّات ، حتى يؤمنَّ .

(١) سيف البحر : ساحله .
(٢) العيص وذو المروة : من أرض جهينة .
(٣) على رفاقهم : أى على المسافرين منهم .
(٤) وذلك قوله تعالى : (**ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم** بايمانهم فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحـلون لهن وآتوهم ما انفقوا) .
(٥) انظر أوائل هذه السورة .
(٦) كان الامتحان أن تستحلف المرأة المهاجرة انها ماهاجرت ناشزا ولاهاجـرت الا لله ورسوله ، فاذا حلفت لم ترد ، ورد صداقها الى بعلها . انظر الروض الانف ٢/٢٣٠
(٧) وذلك فى قوله تعالى بنفس الآيةالسالفة : (ولا تمسكوا بعصم الكوافر » . والعصم : جمع عصمة ، ماهى الحبل والسبب . وكان ممن طلق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قريبة بنت أبى ابى امية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن ابى سفيان وهما على شركهما بمكة ، وطلق أم كلثوم الخزاعية وهى أم ابنه عبد الله فتزوجها ابوجهم بن حذيفة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما

غزوة[1] خَيْبَر

108 وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم – بعد رجوعه من الحُدَيْبية ذا الحِجَّةِ وبعض المحرَّم / وخرج فى بقية منه غازيا إلى خَيْبَر ، ولم يبق من السنة السادسة من الهجرة إلا شهر وأيام ، واستخلف على المدينة نُمَيْلة[2] بن عبد الله اللَّيْثى – وذكر موسى بن عقبة ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة منصرفه من الحُدَيْبية مكث عشرين يوما[3] أو قريبا منها ثم خرج غازيا إلى خيبر ، وكان الله عزَّ وجَلَّ وعده إياها وهو بالحديبية .

قال أبو عمر :

قال الله عزَّ وجلَّ فى أهل الحديبية : (لقد رَضِىَ اللهُ عَنْ المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرةً يأْخذونها وكان الله عزيزا حكيما) . فلم يختلف العلماءُ فى أنها البيعة بالحُدَيْبِيَة . قال ابن قُتَيْبَة وقتادة وعِكْرِمَة وغيرهم : كانت الشجرة سَمُرة[4] كانت بالحديبية . وعلم ما فى قلوبهم من الرِّضا بأمر البيعة على أن لا يفروا واطمأَنت بذلك نفوسهم (فأَثابهم فتحا قريبا) : خيبر ، ووعدهم المغانم فيها (مغانم كثيرة يأْخذونها) . وقد رُوى عن ابن عباس ومجاهد فى قوله : (وعدكم الله مغانم كثيرة) أنها المغانم التى تكون إلى يوم القيامة . وقالوا فى قوله : (وأُخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) : فارس والروم وما افتتحوا إلى اليوم ، وقال / عبد الرحمن بن أبى ليلى . قال : وقوله : (فتحا قريبا) : خيبر . 108 ظ

رجع الخبر إلى ابن إسحق ، قال :

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر دفع رايته ، وكانت بيضاء ، إلى على

---

(1) انظر فى غزوة خيبر ابن هشام 342/3 والواقدى 389 وابن سعدج2ق1ص77 وانساب الأشراف 169/1 والبخارى 130/5 وصحيح مسلم بشرح النووى 163/12 والطبرى 5/3 وابن حزم ص 211 وابن سيد الناس 130/2 وابن كثير 181/4 والنويرى 248/17 .

(2) وفى رواية : سباع بن عرفطة .

(3) فى الأصل : وقريبا .

(4) السمرة : شجرة الطلح .

ابن أبي طالب رضى الله عنه ، وأخذ طريق الصهباء[1] إلى وادى الرَّجيع ، فنزل بين خيبر وغطفان لئلا يُمدوهم ، لأنه بلغه أن غطفان تريد إمداد يهود خيبر . ولما خرجوا لإمدادهم اختلفت كلمتهم ، وأسمعهم الله عزَّ وجلَّ حِسًّا من ورائهم وهَدًّا راعهم وأفزعهم فانصرفوا إلى ديارهم ، فأقاموا بها . وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أشرف على خيبر مع الفجر ، وعُمَّالهم غادون بمساحيهم ومكاتلهم[2] . فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش نادوا : محمد والخميس[3] معه ، وأدبروا هُرَّابًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خَرِبَتْ خَيْبَر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساءَ صباح المُنْذَرين . وتحصَّنتْ يهود فى حصونهم وكانت حصونا كثيرة ، فكان أول حصن افتتحوه حصنا يسمى « ناعما » وعنده قُتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة أُلقيتْ عليه رَحًى فشدَختْه ، رحمه الله ، ثم حصنا يُدْعَى « القَموص » وهو حصن بنى أبي الحُقَيْق ، ومن سبايا ذلك الحصن كانت صَفِيَّة بنت حُيَيّ بن أخطب - وكانت تحت كنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق - / أصابها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنتّى عمٍّ لها ، فوهب صفيَّة لِدحْيَة بن خليفة الكَلْبي ثم ابتاعها [منه][4] بسبعة أرؤس ، ثم أردفها خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فعلم أصحابه أنه اصطفاها لنفسه ، وجعلها عند أمِّ[5] سليم حتى اعتدَّتْ وأسلمت ، ثم أعتقها وتزوَّجها ، وجعل عتقها صداقها . وهذه مسألة اختلف الفقهاءُ فيها فمنهم من جعل ذلك خصوصا له كما خُصَّ بالموهوبة ، ومنهم من جعل ذلك سنة لمن شاءَ من أُمته .

١٠٠ و

ثم فتح حصن الصعب[6] بن مُعاذ ولم يكن فى حصون خيبر أكثر طعاما وودَكًا منه[7] . ووقف إلى بعض حصونهم فامتنع عليهم فَتْحه ولَقُوا فيه شِدَّة ، فأعطى رايته أبا بكر الصديق فنهض بها وقاتل واجتهد ولم يفتح عليه ، ثم أعطى الراية عمر فقاتل ثم رجع ولم يُفْتح له وقد

(١) الصهباء : موضع فى الطريق من المدينة الى خيبر، وهى على بعد ثمانية برد منها شمالا.

(٢) المساحى : الفئوس . المكاتل : الزنابيل .

(٣) قيل : سمى الجيش خميسا لأنه خمسة أقسام : المقدمة والساقة والميسرة والميمنة والقلب .

(٤) زيادة من مصادر مختلفة ويدل عليها السياق .

(٥) هى أم سليم بنت ملحان أم انس بن مالك .

(٦) هكذا فى ابن هشام وغيره من المصادر، وفى الاصل : ابن الصعب .

(٧) الودك : دسم اللحم ودهنه .

جَهِد . فحينئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأُعطينّ الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بِفَرَّارٍ يفتح الله عزَّ وجلَّ على يديه . فلما أَصبح دعا عليًّا ، وهو أرمد ، فتَفَل فى عينيه ، ثم قال : خذِ الرَّايةَ فامض بها حتى يفتح الله بها عليك . ذكر هذا الخبر ابن إسحق[١] ، قال : حدثنى بُرَيْدة بن سفيان بن فَرْوة عن أَبيه سفيان عن سلمة بن الأَكوع ، وذكر من حديث أَبى رافع مولى / النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع علىٍّ حين بعثه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – برايته إلى حصن من حصون خيبر ، فلما دَنَا من الحصن خرج إليه أَهله وقاتلهم ، فضربه رجل من يهود ، فأَلقى[٢] ترسه من يده ، فتناول علىّ بابا كان عند الحصن فترَّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده ، وهو يقاتل ، حتّى فتح الله عليه ، ثم أَلقاه من يده ، فلقد رأَيتنى فى نفر معى سيفه وأَنا ثامنهم نجتهد على أَن نَقْلب ذلك الباب فما نقلبه . ١٠٩

وذكر ابن إسحق رواية يونس بن بكير وزياد وإبراهيم بن سعد والأموى[٣] عنه عن عبدالله ابن سهل ، قال أخو بنى حارثة ، عن جابر بن عبدالله . وبعضهم يرويه عن ابن إسحق عن عبدالله ابن سهل ، عن جابر ، ولم يشهد جابر خيبر[٤] :

أَن محمد بن مسلمة هو الذى قتل مرحبا اليهودى بخيبر . قال ابن إسحق : فذكر أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : منْ لهذا يعنى مرحبا اليهودى ، فقال محمد بن مسلمة : أَنا له يا رسول الله أَطلب الثأْر ، قَتل أَخى بالأَمس . قال : فقم إليه . فنهض إليه محمد بن مسلمة ، فتقاتلا ، وكانا يستتران بشجرة [فجعل[٥] أَحدهما يلوذ بها من صاحبه ، كلما لاذ بها منه اقتطع بسيفه مادونه منها] حتى ذهبت أَغصانها [وبرز[٦] كل واحد منهما لصاحبه ، وحمل

---

(١) انظر فى هذا الخبر وتاليه ابن هشام ٣/٣٤٩ .
(٢) فى ابن هشام : فطاح ترسه من يده. وفى رواية : فطرح ترسه من يده .
(٣) هو سعيد بن يحيى الأموى ، وله كتاب فى السير .
(٤) انظر فى هذا الخبر ابن هشام ٣/٣٤٨ .
(٥) زيادة من ابن هشام .
(٦) زيادة أيضا من ابن هشام .

مرحب على محمد بن مسلمة فضربه ، فاتّقاه بالدَّرَقة [1] فوقَع سيفه فيها فعضّت به وأمسكته]
وضربه محمد ، فقتله . ثم انصرف . ثم برز أخو مرحب واسمه يا سر ، فدعا إلى البراز ، فخرج
إليه الزبير . هذا ما ذكره ابن إسحق فى قتل مرحب اليهودى بخيبر . / وخالفه غيره ، ١١ و
فقال : بل قتله على بن أبي طالب ، وهو الصحيح عندنا .

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، [قال] :
حدثنا هرون بن عبد الله ، قال : حدثنا روح بن عبادة ، قال : حدثنا عوف ، عن ميمون
أبى عبد الله ، عن عبد الله بن أبي بُرَيْدة ، عن أبيه [أبي] بريدة الأسلمى :

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما نزل بحصن خيبر – : لأُعطينَّ اللّواء غدا رجلا يحب
الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر ، فدعَا عليا ،
وهو أرمد ، فتفل فى عينيه ، وأعطاه اللواء ، ونهض معه الناس ، فلقوا أهل خيبر ، فإذا مَرْحبٌ
بين أيديهم يرتجز :

قد علمتْ خَيْبَرُ أنى مَرْحَبُ　　　شاكى السلاح بطلٌ مجرَّبُ [2]
إذا السيوف أقبلتْ تلهَّبُ　　　أطعن أحيانا وحينا أضربُ [3]

فاختلف هو وعلىٌّ ضربتين ، فضربه علىٌّ على رأسه حتى عضَّ السيف بأضراسه ، وسمع أهل
العسكر صوت ضربته ، قال : فما تتامَّ الناس حتى فتحوا لهم .

حدثنا سعيد بن نصر . قال : حدثنا قاسم بن أصبغ [قال] : حدثنا محمد بن وضاح [قال] :
حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة [قال] : حدثنا هاشم بن القاسم [قال] : حدثنا عكرمة بن عمار ،
قال : حدثنى إياس بن سلمة الأكوع ، قال : أخبرنى أبى ، قال [4] :

---

(١) الدرقة : ترس من جلد .
(٢) شاكى السلاح : شاهره .
(٣) ستأتى رواية ثانية لهذا البيت .
(٤) انظر فى هذا الحديث صحيح مسلم بشرح النووى ١٧٤/١٢ وما بعدها .

لما خرج عمى عامر بن سنان إلى خيبر بارز يوما مرحبا اليهودى ، فقال مرحب :

قد علمتْ خيبر أنى مرحبُ   شاكى السلاح بَطَلٌ مجرَّبُ

/ إذا الحروبُ أقبلتْ تلهَّبُ   أطعن أحيانا وحينا أضرب

١١٠

وقال عمى :

قد علمتْ خيبرُ أنى عامرُ   شاكى السلاح بطلٌ مُغَاوِرُ

فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب فى تُرْس عامر ، ورجع سيف [عامر] على ساقه فقطع أكحله ، فكانت (١) فيها نفسه . قال سلمة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أرسلنى إلى على بن أبى طالب ، وقال : لأُعطينَّ الراية غَدًا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله قال : فجئت به أقوده أرمدَ ، فبصق النبى صلى الله عليه وسلم ـ فى عينيه ، ثم أعطاه الراية ، فخرج مرحب يخطر بسيفه ، وقال :

قد علمتْ خيبر أنى مرحبُ   شاكى السلاح بطلٌ مجرَّبُ

* إذا الحروبُ أقبلت تلهَّبُ *

وقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سَمَّتْنِىَ أمِّى حَيْدره   كليث غاباتٍ كريه المَنْظَرَه (٢)

* أوفيهمُ بالصاع كَيْلَ السَّنْدَره(٣) *

ففلق رأس مرحب بالسيف ، وكان الفتح على يد علىٍّ .

قال ابن إسحق : وآخر ما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم الوَطِيحُ والسُّلالم .

---

(١) أى أنه مات .

(٢) الحيدرة : الأسد· ويروى الشطر الثانى كليث غابات شديد قسوره .

(٣) الصاع : مكيال صغير ، والسندرة : مكيال كبير · وفى رواية : أكيلكم بالسيف كيل السندرة ، والمعنى اقتلهم قتلا ذريعا .

وقال سوسى بن عقبة : حاصر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهل خيبر فى حصنهم الوَطيح حتى إذا / أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يَحْقن لهم دماءهم ، ففعَلَ .

١١ و

[مقاسم خيبر وأموالها]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها : الشّقّ[1] ونَطاة والكُتَيْبة وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك [الحصنين][2] . فلما سمع بهم أهل فدك[3] قد صنعوا ماصنعوا بعثوا إلى رسول الله يسألونه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ويُحِلُّوا له الأموال ، ففعل . وكان فيمن مشى بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبينهم فى ذلك محيِّصة بن مسعود أخو بنى حارثة . قال : فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله أن يعاملهم فى الأموال على النصف ، فعاملهم ، وقال لهم : على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم . فصالحه أهل فدك على مثل ذلك . وكانت خيبر فَيْئًا بين المسلمين ، وكانت فَدك خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يوجفوا[4] عليها بخيلٍ ولا رِكاب .

قال أبو عمر[5] :

هذا هو الصحيح فى أرض خيبر أنها كانت عَنْوَةً كلها مغلوبا عليها بخلاف فدك وأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قسم جميع[6] أرضها على الغانمين لها الموجفين بالخيل والرِّكاب ، وهم أهل الحُدَيْبية . ولم يختلف العلماء [فى] أن أرض خيبر مقسومة ، وإنما اختلفوا هل تُقْسَمُ الأرض إذا غُنِمَت البلاد أو توقف ؟ فقال الكوفيون[7] : الإمام مخيَّر بين / قسمتها كما

١١ ظ

(١) هذه بعض حصون خيبر .

(٢) زيادة من مصادر مختلفة وهما الوطيح والسلالم .

(٣) فدك قرية كانت لليهود شمالى خيبر.

(٤) يوجفوا : يجتمعوا .

(٥) نقل ابن سيد الناس هذه الفقرة بطولهاعن ابن عبد البر ؛ وعقب عليها بمناقشة واسعة ، لما ذكره ابن عبد البر من أنها فتحت جميعهــــا عنوة وأنها قسمت جميعها على الفاتحين وحدهم ، وسننقل عنه بعض تعقيباته فيما يلى من الهوامش وانظر الطبرى ٣/ ١٩ وسنن ابى داود ٢/ ٢٦وما بعدها والروض الانف ٢/ ٢٤٦ .

(٦) قال ابن ســــيد الناس ٢/ ١٣٧ : أما قوله : قسم جميع أرضها،فان الحصنين المفتتحين اخيرا وهما الوطيح والسلالم لم يجر لهما ذكر فى القسمة .

(٧) الكوفيون : أصحاب مذهب ابى حنيفة.

فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - بأرض خيبر وبين إيقافها كما فعل عمر بسواد العراق ، وقال الشافعي : تُقْسَم الأرض كلها - كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم [خيبر [1] لأن الأرض غنيمة كسائر أموال الكفار ، وذهب مالك إلى إيقافها اتباعا لعمر ، لأن الأرض مخصوصة من سائر الغنيمة بما فعل عمر فى جماعة من الصحابة : فى إيقافها لمن يأتى بعده من المسلمين ، وروى مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال : سمعت عمر يقول : لولا أن يترك آخر الناس لاشىء لهم ما افتتح المسلمون قرية إلا قسمتها سُهْمانا كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر سُهْمانًا ، [2] وهذا يدل على أن أرض خيبر قسمت كلها] سُهْمانًا كما قال ابن إسحق . وأما قول من قال إن خيبر كان بعضها صلحا وبعضها عنوة ، فقد وهم وغلط ، وإنما دخلت عليه الشبهة بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لحَقْن دمائهم ، فلما لم يكن أهل ذينك الحصنين من الرجال والنساء والذرية مغنومين ظُنَّ أن ذلك صُلْحٌ . ولعمرى إنه فى الرجال والنساء والذرية[3] لضرب من الصلح ، ولكنهم لم يتركوا أرضهم إلا بالحصار والقتال ، فكان حكم أرض ذينك الحصنين كحكم سائر أرض خيبر كلها غنيمة مغلوبًا عليها عنوة مقسومة بين أهلها . وربما شُبِّه[4] على من قال إن نصف خيبر صلح ونصفها عنوة بحديث يحيى بن سعيد عن بُشَيْر بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم خيبر [نصفين [5] : نصفا له ، ونصفا للمسلمين . وهذا لو صحَّ لكان معناه أن] النصف له مع سائر من وقع فى ذلك النصف معه ، لأنها قُسمت (على) ستة وثلاثين سهما ، فوقع سهم النبى صلى الله عليه وسلم وطائفة معه فى ثمانية عشر سهما منها ، ووقع سائر الناس فى باقيها ، وكلهم ممن شهد الحديبية ثم شهد خيبر[6] . وليست الحصون

---

(١) زيادة من ابن سيد الناس ، ويدل السياق على سقوطها من الاصل .

(٢) السهمان : جمع سهم .

(٣) هكذا فى ابن سيد الناس ، وفى الاصل : انه فى الرجال والذرية والعيال .

(٤) شبه عليه : دخلت عليه الشبهة .

(٥) زيادة من ابن سيد الناس .

(٦) اعترض ابن سيد الناس على هذه العبارة لابن عبد البر فان جابر بن عبد الله الانصارى كان ممن شهد الحديبية ولم يشهد خيبر،واقسم له الرسول . وأيضا فانه قسم لاهل السفينتين الذين جاءوا من الحبشة ممن لم يشهدوا الحديبيةوخيبر، كما قسم للدوسيين والاشعريين الذين قدموا عليه فى هذا الفتح .

التى أسلمها أهلها [بعد[1] الحصار والقتال صلحا ، ولو كانت صلحا لملكها] أهلها كما يملك

١١١ و أهل الصلح أراضيهم وسائر أموالهم . فالحق فى هذا / والصواب ما قاله ابن إسحق[2] دون ما قاله موسى وغيره عن ابن شهاب . والله أعلم .

قال أبو عمر :

قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خيبر ، وأخرج الخمس[3] مما قسم ، ولم يقدر أهلها[4] على عمارتها وعملها فأقرّ اليهود فيها على العمل فى النخل والأرض ، وقال لهم : أقِرُّكم ما أقرَّكم[5] الله . ثم أذن الله له فى مرضه الذى مات فيه بإخراجهم ، فقال : لايبقينَّ دينان بأرض العرب . وقال عليه السلام : أخرجوا اليهود والنصارى من أرض الحجاز . ولم يكن بقِى يومئذ بها مشرك وثنى — ولا بأرض اليمن أيضا — إلا أسلم فى سنة تسع وسنة عشر . فلما بلغ عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فى خلافته قوله عليه السلام : أَخْرِجوا اليهود والنصارى من أرض العرب أجلاهم عنها ، فأخذ المسلمون سهامهم فى خيبر ، فتصرَّفوا فيها تصرُّف المالكين .

قال ابن إسحق : وكان المتولِّى للقسمة بخيبر جبَّار بن صخْر الأنصارى من بنى سَلِمة ، وزيد بن ثابت من بنى النجار ، كانا حاسبين قاسمين . وكانت قسمة خيبر لأهل الحُدَيْبِية : منْ حضر الوقيعة بخيبر ومن لم يحضرها ، لأن الله أعطاهم ذلك فى سفر الحديبية[6] . ولذلك قال موسى بن عقبة : لم يقسم من خيبر شىء إلا لمن شهد الحديبية ، وروى ذلك عن جماعة من السَّلف .

---

(١) زيادة من ابن سيد الناس

(٢) أى أن خيبر فتحت كلها عنوة خلافا لموسى بن عقبة وغيره ممن قالوا بأن بعضها فتح صلحا وبعضها فتح عنـوة . وقد أورد ابن سيد الناس آثارا مختلفة تشهد لابن عقبة وأن الوطيح والسلالم فتحا صلحا وفتح بعض الكتيبة عنوة وبعضها صلحا . وحاول ابن سيد الناس أن يوفق بين الرأيين ، فقال ان أهل هذه الحصون نقضوا الصلح ، فصارت جميعها عنوة ، ثم خمسها الرسول وقسمها .

(٣) كما تنص الآية الكريمة : (واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه) وكانت الكتيبة هى هذا الخمس . ويستظهر ابن سيد الناس أن يكون ما أعطاه الرسول لأهل السفينتين وللدوسيين والاشعريين من الكتيبة والوطيح والسلالم وكأن هذه الحصون هى النصف الذى اشار اليه بشير ابن يسار والذى حجزه الرسول لما ينزل به من امور المسلمين .

(٤) أهلها : أى فاتحوها الذين ملكوها من المسلمين .

(٥) هكذا فى ابن هشام ويدل عليه السياق، وفى الاصل : اقركم على ما اقركم الله .

(٦) اشارة الى قول الله عز وجل الذى افتتح به هذه الغزوة : (وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة) .

١١٢ قال ابن إسحق : فوقع / سهم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعمر وعلى وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى وسهام بنى سلمة وسهام بنى حارثة وبنى ساعدة وبنى النجار وغفار وأسلم وجهينة واللفيف ، كلها وقعت فى الشّق . ووقع سهم أبى بكر والزبير وسهام بنى بياضة وبنى الحارث بن الخزرج ومُزَينة بالنَّطاة ، ولذكر سهامهم وأقسامهم موضع غير هذا . وكان عبيد بن أوس من بنى حارثة قد اشترى يومئذ من سهام الناس سهاما كثيرة ، فسمِّى يومئذ عبيد السهام ، واشترى عمر بن الخطاب مائة سهم من سهام المسلمين ، فهى صدقته الباقية إلى اليوم .

وأما فدك فلم يُوجَفْ عليها بِخَيْلٍ ولا ركاب فكانت كبنى النَّضير خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (*) .

وفى غزوة خيبر حرَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم – لحوم الحُمُر الأهلية ، لم تختلف الاثار فى ذلك . واختُلف فى حين تحريم المتعة [١] بعد إباحتها . وقد ذكرنا الآثار بذلك فى التمهيد . وفيها أهدت اليهودية زينب بنت [الحارث [٢] امرأة] سلام بن مِشْكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – [الشاة] [٣] المصليَّة [٤] وسَمَّت له / منها الذِّراع وكان أَحبَّ اللحم إليه صلى الله ١١٣ عليه وسلم . فلما تناول الذراع ولاكها لفظها ورمى بها ، وقال : إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم . ودعا باليهودية فقال : ما حملك على هذا ؟ فقالت : أردت أن أعلم إن كنت نبيًّا ، وعلمت أن الله إن أراد بقاءك أعلمك . فلم يقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأكل من الشاة معه بِشر بن البَراء بن معرور ، فمات من أكلته تلك .

وكان المسلمون يوم خيبر ألفا وأربعمائة راجل ومائتى فارس .

---

* ومن العجب قول من قال ان الكتيبة (فتحت) عنوة وانها من صدقات النبى عليه السلام الا ان ينزل سهم النبى عليه السلام فيها مع المؤمنين والا فلا وجه لقوله غير هذا . وبالله التوفيق .

(١) المتعة ، أى زواج المتعة .

(٢) زيادة من ابن هشام . وانظر فى هذا الخبر صحيح البخارى ١٤١/٥ والروض الانف ٢٤٣/٢

(٣) زيادة أيضا من ابن هشام

(٤) المصلية : المشوية .

تَسْمية مَن اسْتُشْهِدَ من المسلمين يوم خيبر

ربيعة بن أَكْثم بن سَخْبرة الأسدى من بنى غَنْم بن دودان بن أسد بن خُزَيمة ، وثَقْف بن عمرو ، ورفاعة بن مسروح . وكلهم من بنى أسد ، حلفاء لبنى عبد شمس . ومسعود بن ربيعة القارى ، من القارة ، حليف لبنى زهرة .

وعبد الله بن الهُبَيْب ، ويقال ابن أُهيْب الليثى حليف لبنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصى وابن أختهم .

وبِشر بن البَراء بن مَعْرور من بنى سَلِمة مات من أكله مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الشاة المسمومة ، وفُضَيْل بن النعمان من بنى سلمة أيضا ومسعود بن سعد بن قيس الأنصارى الزُّرَقى .

ومحمود بن مسلمة بن خالد أخو محمد بن مسلمة من الأوس حليف لبنى عبد الأشهل .

١١٢ ظ وأبو ضَيَّاح ثابت بن ثابت بن النعمان من بنى عمرو بن عوف من أهل / قُباء ، ومبشر ابن عبد المنذر بن دينار من بنى مالك بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ، وأوس بن قتادة ، وعروة بن مرة [(١)] بن سراقة ، وأوس بن الفاكه [(٢)] ، وأُنَيْف بن حُبَيْب ، وثابت بن واثلة [(٣)] بن طلحة ، والأسود الراعى واسمه أسلم وكل هؤلاء من بنى عمرو بن عوف .

ومن بنى غِفار : عمارة بن عقبة بن حارثة أصابه سهم فقتله .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع [(٤)] .

[قدوم [(٥)] بقية المهاجرين إلى الحبشة]

وقدم جعفر بن أبى طالب فى جماعة من أرض الحبشة بإثر فتح خيبر ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : والله ما أدرى أبقدوم جعفر أنا أُسَرُّ وأفرح أم بفتح خيبر ؟ . وقدم [مع]

(١) فى بعض المصادر : برة .
(٢) فى بعض المصادر : القائد .
(٣) فى ابن هشام : أثلة .
(٤) عد ابن عبد البر منهم فى الاستيعاب ص ٣٨ : اوس بن عابد .
(٥) انظر فى قدوم بقية المهاجرين الى الحبشة ابن هشام ٣/٤ وابن حزم ص ٢١٧ وابن كثير ٢٠٥/٤ .

جعفر امرأته أسماء بنت عُمَيْس ، وابنها عبد [1] الله بن جعفر ، وخالد بن سعيد بن العاصى ابن أمية ، معه امرأته [2] أُمَيْنة بنت خلف ، وابناهما : سعيد وأَمَة ، وعمرو بن سعيد بن العاصى ابن أمية وكانت امرأته فاطمة بنت صفوان الكنانية قد ماتت بأرض الحبشة ، ومُعيْقيب [3] ابن أبي فاطمة حليف آل سعيد بن العاصى ، وأبو موسى الأشعرى قيل إنه حليف عتبة بن ربيعة ، والأسود بن نوفل بن خُوَيْلد بن أسد ، وجَهْم بن قيس [بن] [4] عبد شُرَحبيل العَبْدرى ، وابناه : عمرو بن جَهْم ، وخزيمة بن جهم ، وكانت امرأة جهم / بن قيس : أُمّ حرملة بنت عبد الأسود قد هلكت بأرض الحبشة ، والحارث بن خالد بن صخر التَّيْمِيّ وكانت امرأته رَيْطة بنت الحارث بن جُبيْلة قد هلكت بأرض الحبشة ، وعثمان بن ربيعة بن أُهبان الجُمَحى ، ومَحْمِيَة بن جَزْء الزُّبَيْدِيّ حليف لبنى سَهْم بن هُصَيْص ولّاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخُمُس ، ومَعْمر بن عبد الله بن نَضْلة العدَوِىّ ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس العامرى ، ومالك بن زَمَعة [5] بن قيس العامرى ، ومعه امرأته عمرة بنت السعدى بن وَقْدان ، وطائفة [6] معهم .

١١٤ و

وقد أتى من مهاجرة الحبشة قبل ذلك بسنتين سائرهم وكان هولاء آخر من بقى بها منهم .

---

(١) فى السهيلى ان أسماء ولدت لجعفر فى الحبشة ايضا محمدا وعونا .

(٢) فى ابن هشام : ويقال همينة .

(٣) هو خازن بيت المال فيما بعد لعمر بن الخطاب .

(٤) زيادة من ابن هشام وغيره .

(٥) فى ابن هشام وبعض المصادر ربيعة ، وهو خطأ ، وهو اخو سودة بنت زمعة أم المؤمنين انظر الاستيعاب ص ٢٥٠ .

(٦) ممن ذكر فيهم ابن هشام : عامر بن أبى وقاص الزهرى وعتبة بن مسعود حليف لهم من هذيل .

فَتْح[1] فَدَك

ولما اتصل بأهل فَدَك ما فعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأهل خيبر بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤمِّنهم ، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك . وكانت فدك مما لم يُوجَفْ عليه بخيلٍ ولا رِكابٍ مما أفاء[2] الله عليه بما نصره به من الرُّعب ، فلم يقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعها حيث أمره الله عزَّ وَجَلَّ .

قال ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صفايا[3] بنى النَّضير وخيبر وفدك .

/ فَتْح[4] وادى القُرَى

١١٤ ظ

وانصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خيبر إلى وادى القُرَى ، فافتتحها عَنْوَةً ، وقَسَمها ، وأُصيب بها غلام له أسود يسمَّى مِدْعَمًا أصابه سهم غَرْبٌ[5] فقتله ، فقال الناس : هنيئا (له) الجنة . فقال النبي عليه السلام : كلا والذى نفسى بيده إن الشَّمْلة[6] التى أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم (وإنها) لتشتعل عليه [الآن] نارا .

---

(١) انظر فى فتح فدك ابن هشام ٣٦٨/٣ والطبرى ٢٠/٣ وابن حزم ص ٢١٨ .

(٢) أفاء : من الفيء وهو الغنيمة .

(٣) صفايا : جمع صفى وهو ما يأخذه الرسول من الفيء قبل القسمة ليضعه فى المواضع التى أمره بها ربه . وانظر فى الحديث سنن أبى داود ١٩/٢ وما بعدها .

(٤) انظر فى فتح وادى القرى ابن هشام ٣٥٣/٢ والطبرى ١٦/٣ وابن حزم ص٢١٩ وابن سيد الناس ١٤٣/٢ وابن كثير ٢١٢/٤ والنويرى ٢٦٨/١٧ .

(٥) السهم الغرب : هو الذى لايعرف من رماه ولا من أين جاء .

(٦) الشملة : كساء غليظ يلتحف به . وانظر الحديث فى ابن هشام وغيره من المراجع.

عُمْرَة[1] القضاء

فلما رجع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة من خيبر أقام [بها] شهرى ربيع وشهرى جمادى ورجبا وشعبان ورمضان وشوالا ، وبعث فى خلال ذلك السَّرايا . ثم خرج – عليه السلام – فى ذى القعدة من السنة السابعة من الهجرة قاصدا إلى مكة للعُمْرة على ما عاقد عليه قريشا فى الحُدَيْبِيَةِ . فلما اتصل ذلك بقريش خرج أكابرهم عن مكة عداوة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يقدروا على الصبر فى رؤيته يطوف بالبيت هو وأصحابه .

فدخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مكة ، وأتم الله عمرته ، وقعد بعض المشركين بِقُعَيْقِعَان[2] ينظرون إلى المسلمين وهم يطوفون بالبيت . فأمرهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالرَّمَل[3] ، لِيرى المشركين أن بهم قوة ، وكان المشركون قالوا فى المهاجرين قد وهنتهم حُمَّى يثرب . وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم / فى غزوته تلك ميمونة بنت الحارث بن حزْن الهلالية ، قيل تزوَّجها قبل أن يُحْرِم بعمرة (القضاء) وقيل : بل تزوجها وهو محرم . وقد أوضحنا ذلك فى كتاب التمهيد وفى كتاب الصحابة أيضا عند ذكرها[4] ، رضى الله عنها . فلما تمت الثلاثة أيام أوجبت عليه قريش أن يخرج عن مكة ، ولم يمهلوه أن يَبْنى بها ، وبَنى بها بِسَرَفٍ .

١١٥ و

[إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة]

وقيل : أسلم قبل عمرة القضاء – وقيل بعدها – عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان ابن طلحة .

---

(١) انظر فى عمرة القضاء ابن هشام ١٢/٤ والواقدى ٣٩٩ وابن سعد ج٢ق١ص٨٧ والبخارى ١٤١/٥ والطبرى ٢٣/٣ وانساب الأشراف ١٦٩/١ وابن حزم ص ٢١٩ وابن سيد الناس ١٤٨/٢ وابن كثير ٢٢٦/٤ .

(٢) تعيقعان : جبل بمكة .

(٣) الرمل : ضرب من الهرولة والمشى السريع .

(٤) انظر الاستيعاب ص ٧٨٠ .

غزوة[1] مُؤْتَةَ

فلما انصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من عُمْرة القضاء أقام بالمدينة ذا الحجّة والمحرّم وصفرا وشهرى ربيع ، ثم بعث ـ عليه السلام ـ فى جمادى الاخرة من السنة الثامنة من الهجرة بَعْثَ الأُمراء[2] إلى الشام . وأمّر على الجيش زيد بن حارثة مولاه ، وقال : إن قُتِلَ أو أُصيب فعلى الناس جعفر بن أبي طالب ، فإن قُتل فعبدُ الله بن رواحة . وشيَّعهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وودّعهم ثم انصرف ، ونهضوا .

فلما بلغوا معان[3] من أرض الشام أتاهم الخبر بأن هِرَقْل ملك الروم فى ناحية البَلْقاء وهو فى مائة ألف من الروم ومائة ألف أُخرى من نصارى العرب أهلِ الْبَلْقَاء من لَخْمٍ وجُذام وقبائل قضاعة من بَهْراء وبَلِيّ وبَلْقَين [4] وعليهم رجل من بنى إراشَة من بَلِيٍّ يقال له مالك بن رافلة [5] فأقام المسلمون / فى معان [ليلتين][6] وقالوا : نكتب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونخبره بعدد عدونا [7] فيأمرنا بأمره أويُمِدُّنا . فقال لهم[8] عبد الله بن رواحة : يا قوم إن التى تطلبون قد أدركتموها ـ يعنى الشهادة ـ وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانْطَلِقُوا ، فهى إحدى الحُسْنَيَيْنِ : إما ظهور [9] ، وإما شهادة . فوافقه الجيش كله على هذا الرأى .

١١٥ ظ

---

(١) انظر فى غزوة مؤتة ابن هشام ٤/١٥ والواقدى ٤٠١ وابن سعد ج٢ق١ص٩٢ والبخارى ٥/١٤٣ والطبرى ٣/٣٦ وابن حزم ص ٢٢٠ وابن سيد الناس ٢/١٥٣ وابن كثير ٤/٢٤١ والنويرى ١٧/٢٧٧ .

(٢) سمى بذلك لتعدد امرائه ، بحيث اذا قتل أمير خلفه أمير .

(٣) معان بفتح الميم وقيل بضمها : حصن كبير بالأردن .

(٤) هكذا فى الأصل وبعض المصادر ، وفى مصادر اخرى : القين .

(٥) فى بعض المصادر : راقلة بالقاف وفى بعضها : زافلة بالزاى والفاء .

(٦) زيادة من ابن هشام وغيره .

(٧) هكذا فى ابن هشام وغيره ، وفى الا صل : عدوه .

(٨) فى الاصل : له .

(٩) ظهور : انتصار .

ونهضوا حتى إذا كانوا بتخوم[1] البلقاء لقوا الجموع التى ذكرناها كلها مع هرقل إلى جَنْب قُرْية يقال لها : مشارف . وصار المسلمون فى قرية يقال لها مُؤْتة . فجعل المسلمون على ميمنتهم قُطْبة بن قَتادة العُذْرى ، وعلى الميسرة عَبَاية بن مالك الأنصارى ، وقيل عبادة بن مالك واقتتلوا فقُتل الأَمير الأَول : زيد بن حارثة ملاقيا بصدره الرماح مقبلا غير مدبر والرايةُ فى يده ، فأَخذها جعفر بن أَبى طالب ، ونزل عن فرسٍ له يقال لها شقراءُ ، وقيل : إنه عَرْقبها وعقرها[2] وقاتل حتى قُطعت يمينه ، فأَخذ الراية بيساره فقُطعت ، فاحتضن الراية ، فقُتل كذلك ، رضى الله عنه ، وسنه ثلاث وثلاثون أَو أَربع وثلاثون سنة . فأَخذ الرايةَ عبدُ الله ابن رواحة ، وتردَّد عن النزول بعض التردد ، ثم صمَّم ، فقاتل ، حتى قُتل . فأَخذ الرايةَ ثابت ابن أَقرم أَخو بنى العَجْلان ، وقال : يا معشر المسلمين اصْطَلِحُوا على رجل منكم ، قالوا : أَنت ، قال : لا . فدفع الرايةَ إلى خالد بن الوليد / وقال : أَنت أَعلم بالقتال منى . فأَخذها خالد بن الوليد ، وانحاز بالمسلمين . وأَنذر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ [مَن][3] بالمدينة يخبرهم [بقتل الأُمراءِ المذكورين] فى يوم قَتْلهم قبل ورود الخبر بأَيام .

١١٦و

تسمية مَن[4] اسْتُشْهد بِمُؤْتَة

زيد بن حارثة ، وجعفر بن أَبى طالب ، وعبد الله بن رواحة ، ومسعود بن الأَسود بن حارثة من بنى عدى بن كعب[5] من الأَنصار ، ووهب بن سعد بن أَبى سَرْح العامرى ، وعبَّاد بن قيس من بنى الحارث بن الخزرج بن النعمان من بنى مالك بن النجار ، وسُراقة بن عمرو بن عطية من بنى مازن بن النجار ، وأَبو كليب وقيل أَبو كلاب ، وأَخوه جابر ابنا عمرو بن زيد من بنى مازن بن النجار ، وعمرو ، وعامر ابنا سعد بن الحارث من بنى النجار . هؤلاء[6] من ذكر منهم . وكان عدة المسلمين يوم موتة ثلاثة آلاف .

(١) تخوم : حدود .
(٢) عرقبها : قطع عرقوبها . عقرها : ضرب قوائمها بالسيف .
(٣) زيادة للسياق ومثلها تاليتها .
(٤) أنظر فى شهداء مؤتة ابن هشام ٤/٣٠ وابن حزم ص ٢٢٢ وابن سيد الناس ٢/١٥٦ وابن كثير ٤/٢٥٩ والنويرى ١٧/٢٨٣ .
(٥) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب ص ٢٨١ وفى الاصل : جشم .
(٦) فى الاصل : هذا ما ذكر منهم .

غزوة[1] فَتْح مكة

فأقام – صلى الله عليه وسلم – بالمدينة بعد بعث مُؤْتَة جمادى ورجبًا ، ثم حدث الأمر الذى أوجب نقْض عَقْد قريش المعقود يوم الحُدَيْبية ، وذلك أن خُزاعة كانت فى عقد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مؤمنها وكافرها ، وكانت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة فى عقد قريش ، فعَدَتْ بنو بكر بن عبد / مناة على قوم من خزاعة على ماءٍ لهم بأسفل مكة ، وكان سبب ذلك أن رجلا يقال له مالك بن عَبَّاد الحَضْرَمِيّ حليفا لآل الأسود بن رَزْن خرج تاجرا ، فلما توسَّط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، وذلك قبل الإسلام بمدة . فعدت بنو بكر ابن عبد مناة رهط الأسود بن رزْن على رجل من خزاعة فقتلوه بمالك بن عَبَّاد . فعَدَتْ خُزاعة على سُلْمَى وكُلْثوم وذُؤَيب بنى الأسود بن رَزْن فقتلوهم [2] . وهولاء الإخوة أشراف بنى كنانة كانوا يُودَوْنَ فى الجاهلية دِيتين ديتين ، ويُودَى سائرهم[3] دِيةً دِيةً ، وذلك كله قبل الإسلام فلما جاء الاسلام حَجَز ما بين مَنْ ذكرنا لشغل الناس به [4] .

فلما كانت الهدنة المنعقدة يوم الحديبية أَمِن الناس بعضهم بعضا ، فاغتنم بنو الدِّيل من بنى بكر بن عبد مَناة تلك الفرصة وغفلة خزاعة وأردوا إدْراك ثأْر بنى الأسود بن رزن ، فخرج نوفل بن معاوية الدِّيلى بمن أطاعه من بنى بكر بن عبد مناة حتى بَيَّت خزاعة ، ونال منهم[5] فاقتتلوا . وأعانت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقوم من قريش أعانوهم بأنفسهم مستخفين[6] . فانهزمت خُزاعة إلى الحرم . فقال قوم نوفل بن معاوية لنوفل : يا نوفل اتَّقِ إلٰهك ولا تستحلَّ

(١) انظر فى فتح مكة ابن هشام ٣١/٤ والواقدى ٤٠٦ وابن سعدج٢ق١ص٩٦ وانساب الأشراف ١٧٠/١ والبخارى ١٤٥/٥ والطبرى ٤٢/٣ وسنن ابى داود ٢٨/٢ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢٦/١٢ وابن حزم ص ٢٢٣ وابن سيد الناس ١٦٣/٢ وابن كثير ٢٧٨/٤ والنويرى ٢٨٧/١٧ .

(٢) قتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم .

(٣) سائرهم : أى سائر قومهم .

(٤) فى الاصل : بالاسلام .

(٥) يقال انه أصاب منهم رجلا ثم تحاوروا واقتتلوا .

(٦) اذ كانت الحرب ليلا ويقال كان فيهم صفوان بن امية وحويطب بن عبد العزى ومكرز ابن حفص .

١١٧ و الحرم ودَعْ خزاعة ، فقال : لا إلٰه لى اليوم ، والله يا بنى كنانة إنكم / لتَسْرقون فى الحرم ، أَفلا تدركون فيه ثأْركم ، فقتلوا رجلا من خزاعة يقال له منبِّه (١) ، ودخلت خزاعة دور مكة فى دار بُدَيْل بن ورْقاء الخزاعى ودار موْلًى لهم يسمى رافعا . وكان ذلك نقضا للصلح الواقع يوم الحديبية .

فخرج عمرو بن سالم الخزاعى وبُدَيْل بن ورْقاء الخزاعى وقوما من خُزَاعة ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم — مستغيثين به مما أَصابهم به بنو بكر بن عبد مناة وقريش وأنشده عمرو بن سالم الشعر الذى ذكرته فى بابه من كتاب(٢) الصحابة ، فأَجابهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى نصرهم ، وقال : لاينصرنى الله إن لم أَنصر بنى كعب . ثم نظر إلى سحابة ، فقال : إنها لتستهلُّ بنُصْرتى كعبا يعنى خزاعة . وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لبُدَيْل بن ورقاء ومنْ معه : إن أَبا سفيان سيأْتى ليشُدَّ العقد ويزيد فى مدة الصلح ، وسينصرف بغير حاجة .

وندمت قريش على ما فعلت ، فخرج أَبو سفيان إلى المدينة ليشد(٣) العقد ويزيد فى المدة ، فلقى بُدَيْل بن ورقاء بِعُسْفَان (٤) فكتمه بديل مسيره إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأَخبره (أنه) إنما سار بخزاعة على الساحل . فنهض أَبو سفيان حتى أَتى المدينة ، فدخل على ابنته : أَم حبيبة أَم المؤمنين رضى الله عنها ، فذهب ليقعد على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم / [فطوته(٥) ١١٧ ظ

---

(١) يقال انهم أصابوه ليلة بيتوهم قبـــل دخولهم مكة .
(٢) انظر الاستيعاب ص ٤٥٩ وفى هـــذاالشعر يقول مخاطبا الرسول :

إن قريشا أَخلفتك الموعدا ... ونَقَضوا ميثاقك المؤكَّدا
وقتَّلونا بالصَّعيد هُجَّدَا ... نَتْلو القُرانَ رُكَّعا وسُجَّدا

(٣) فى الاصل : ليستديم ، وانظر ما قبله ، وراجع ابن هشام وغيره .
(٤) عسفان : على مرحلتين من مكة او ثلاث .
(٥) زيادة من ابن هشام

عنه فقال : يابنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم] وأنت رجل مشرك [نجس[1] فلم أحب أن] تجلس عليه ، فقال لها : يا بنية لقد أصابك بعدى شر . ثم أتى النبى – عليه السلام – فى المسجد ، فكلمه ، فلم يجبه بكلمة . ثم ذهب أبو سفيان إلى أبى بكر ، فكلَّمه فى أن يكلم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيما أتى له – فأبى عليه أبو بكر من ذلك . فلقى عمر فكلَّمه فى ذلك ، فقال له عمر : أأنا أفعل هذا ؟ ! والله لو لم أجد إلا الذَّرَّ لجاهدتكم به ، فدخل على على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فوجده – وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن وهو صبى – فكلَّمه فيما أتى له ، فقال له على : والله ما أستطيع أن أكلِّم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى أمر قد عزم عليه . فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد هل لكِ أن تأمرى بُنَيَّكِ هذا فيُجير على الناس ، فقالت له : ما بلغ بُنَيِّ ذلك ، وما يُجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له علىّ : يا أبا سفيان أنت سيد بنى كنانة ، فقُمْ ، فَأَجِرْ على الناس والحقْ بأرضك ، وهَزِىء به . فقال له : يا أبا الحسن أترى ذلك نافعى ومغنيا عنى [شيئا] ؟ قال : ما أظنُّ ذلك ، ولكن لا أجد لك سواه . فقام أبو سفيان فى المسجد فقال : يا أيها الناس إنى قد أجرت على الناس . ثم ركب وانطلق راجعا إلى مكة . فلما قدمها أخبر قريشا بما لقى وبما فعل ، فقال له : ما جئت بشىء ، وما زاد على بن أبى طالب على أن لعب بك .

١١٨ و ثم / أعلن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المسير إلى مكة ، وأمر الناس بالجهاز لذلك ، ودعا الله – تعالى – فى أن يأخذ عن قريش الأخبار[2] ويستر عنهم خروجه . فكتب حاطب بن أبى بلْتَعَة إلى قريش كتابا يخبرهم فيه بِقَصْد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إليهم .

---

(١) زيادة أيضا من ابن هشام .

(٢) أى حتى يبغتوها فجأة ويروى أنه كان يدعو : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى يبغتها » .

فنزل جبريل من عند الله – تعالى – على رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، بما صنع حاطب بن أبي بَلْتَعَة . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم – على بن أبي طالب والزُّبَيْر بن العوَّام والمقداد ابن عمرو ، فقال لهم : انْطَلِقُوا حتى تأْتوا روضة خاخٍ ، فإن بها ظعينة[1] معها كتاب إلى قريش . فانطلقوا فلما أتوا روضة خاخٍ وجدوا المرأة ، فأناخوا بها وفَتَّشُوا رَحْلها كله ، فلم يجدوا شيئا ، فقالوا : والله ماكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها على : والله لتُخْرِجِنَّ الكتاب أو لَنُلْقِينَّ[2] الثياب ، فحلَّت قرون رأْسها ، فأَخرجت الكتاب (منها) . فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو كتاب من حاطب بن أبي بَلْتَعَة إلى أهل مكة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماهذا يا حاطب ؟ فقال حاطب : والله يا رسول الله ما شككتُ فى الإسلام ولا رجعت عن دينى ، ولكنى كنت مُلْصَقًا فى قريش فأردت أن أتخذ عندهم بذلك يدا يحفظوننى بها فى شَأْفَتِى[3] بمكة لأن أهلى وولدى بها . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله دعْنى أَضربْ عنقَ هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[4] .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم – فى عشرة آلاف / واستخلف على المدينة أبا رُهْمٍ كلثوم[5] بن حُصَيْن الغِفارى ، وكان خروجه لعشر خلت من رمضان ، فصام – عليه السلام – ١١٨

---

(١) الظعينة : المرأة فى الهودج .

(٢) فى ابن هشام : أو لنكشفنك .

(٣) الشأفة : الاهل والمال .

(٤) وأنزل الله تعالى فى حاطب : (ياأيهـا الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) الى قوله : (قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) الى آخر القصة (انظر الروض الأنف ٢ /٢٦٦ وما بعدها) .

(٥) فى ابن سعد : عبد الله بن أم مكتوم .

حتى بلغ الكَدِيد[1] بين عُسْفان وأمَج ، ثم أَفطر – صلى الله عليه وسلم – بعد صلاة العصر ، وشرب على راحلته علانية ليراه الناس ، وقال : تقوَّوْا لعدوِّكم ، وأمر الناس بالفِطْر ، فأفطر بعضهم وصام بعضهم ، فلم يَعب على الصائم[2] ولا على المفطر .

فلما نزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مرّ[3] الظَّهْران ، ومعه من بنى سُليم ألف رجل ومن بنى مُزَيْنَة ألف رجل وثلاثة رجال ، وقيل من بنى سليم سبعمائة ، ومن بنى غفار أربعمائة ، ومن أَسلم أَربعمائة ، وطوائف من قيس وأَسد وتميم وغيرهم من سائر العرب ، وقد أَخفى الله – عَزَّ وجَلَّ – خبره عن قريش إلا أنهم على وجَلٍ وارتقاب – خرج[4] أبو سفيان وبُدَيْل بن ورْقاء وحكيم بن حزام يتجسَّسون الأَخبار . وقد كان العباس بن عبد المطلب هاجر مسلما [فى] تلك الأيام ، فلقى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بذى الحُلَيْفة[5] ، فبعث ثَقَله[6] إلى المدينة ، وانصرف مع رسول الله صلى – الله عليه وسلم – غازيا ، فالعَبَّاس من المهاجرين قبل الفتح ، وقيل : بل لقيه بالجُحْفة[7] مهاجرا . وذُكر أيضا أن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة أخا أُم سَلمة خرجا أَيضا مهاجرين ولقيا رسول الله صلى الله – عليه وسلم – فى بعض الطريق قرب مكة ، فأَعرض عنهما . فلما نزل استأْذنا عليه ، فلم يأْذن لهما ، فكلَّمته أُم سلمة فيهما / وقالت : لا يكون ابن عمك وأخى[8] أشقى الناس بك ، فقد جاءا مسلمين ، فأَذن لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلما وحسُنَ إسلامهما .

١١١ و

(١) الكديد : موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة .
(٢) روى ابن حزم ص ٢٢٧ انه عاب على الصائمين صيامهم واستنتج من ذلك أن الصيام لايباح فى السفر وأن ذلك يعد نسخا لما كان قبله من اباحته .
(٣) مر الظهران : موضع على مرحلة من مكة .
(٤) جواب لما فى أول الفقرة .
(٥) ذو الحليفة : على ستة أميال من المدينة .
(٦) ثقله : أهله ومتاعه .
(٧) الجحفة : موضع على اربع مراحل من مكة .
(٨) فى بعض المصادر : وابن عمتك وصهرك اخى .

فلما نزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالجيوش مَرَّ الظَّهْرَان رقَّتْ نفس العباس لقريش وأسف على ذهابها [1] وخاف أن تغشاهم الجيوش قبل أن يستأْمنوا . فركب بغلة النبي صلى الله عليه وسلم ونهض ، فلما أتى الأَراك[2] وهو يطمع أن يلقى حطَّابا أو صاحب [لبن] [3] يأْتى مكة فينذرهم . فبينما هو يمشى إذ سمع صوت أَبي سفيان صَخْر بن حرب وبُدَيْل بن ورْقاء وهما يتساءلان وقد رأَيا نيران عسكر النبي عليه السلام ، وبُدَيْل يريد أَن يستر ذلك فيقول : إنما هى نيران خُزاعة ، ويقول له أَبو سفيان : خزاعة أَقل وأَذل [من] [4] أن تكون لها هذه النِّيران . فلما سمع العباس كلامه ناداه [5] : يا [أَبا] [6] حنظلة فميَّز أَبو سفيان كلامه ، [7] فناداه : يا أَبا الفَضْل ، فقال : نعم ، فقال له : فِداك أَبي وأُمى ، فقال له العباس : ويحك يا أَبا سفيان هذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى الناس ، واصباحَ قريش ، فقال أَبو سفيان : فما الحيلة ؟ فقال له العباس : هذا والله لئن ظفر بك ليقتلنَّك ، فارْتدِفْ خلفى وانهضْ معى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأَردفه العباس ولقى به العسكر ، فلما رأَى الناس [العباس] [8] على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمسكوا . ومرَّ على نار عمر [ونظر[9] عمر إلى أَبي سفيان] فميَّزه ، فقال : / أَبو سفيان عدو الله ، الحمد لله الذى أَمكن منك بغير عَقْد ولا عَهْد . ثم خرج يشتدّ [10] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسابقه [العباس] [11] فسبقه العباس على البغلة وكان عمر بطيئا فى الجَرْى . فدخل العباس ودخل عمر على أَثره ، فقال : يا رسول الله هذا عدو الله

١١٩ ب

(١) يريد : ما توقعه من ذهابها لضخم هذا الجيش ، غير انها دخلت فى دين الله ولم تحدث حرب .
(٢) الأراك : واد قرب مكة .
(٣) زيادة من ابن هشام وغيره .
(٤) زيادة أيضا من ابن هشام وغيره .
(٥) فى الأصل : فناداه .
(٦) زيادة من ابن هشام وغيره .
(٧) فى ابن هشام وغيره : صوته .
(٨) زيادة من المصادر الأخرى يقتضيهـا السياق .
(٩) زيادة من ابن حزم وهو فى أكثر صحفه ينقل عن ابن عبد البر .
(١٠) يشتد : يسرع فى العدو .
(١١) زيادة من ابن حزم .

أبو سفيان قد أمكن الله منه بلا عقد ولا عهد ، فأْذنْ لى أضربْ عنقه . فقال له العباس مَهْلاً : يا عمر ، فوالله لو كان من بنى عَدِى[1] بن كعب ما قلت هذا ولكنه من بني عبد مناف . فقال عمر : مهْلًا ، فوالله لإسلامُك يوم أَسلمت كان أَحبَّ إلى من إسلام الخطَّاب لو أَسلم، وما بى إلا أنى قد عرفت أَن إسلامك كان أَحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [من[2] إسلام الخطاب لو أَسلم] فأمر [رسول الله صلى الله عليه وسلم] العباس أَن يحمله إلى رَحْله، ويأْتيه به صباحا. ففعل العباس ذلك ، فلما أَصبح أَتى به النبى عليه السلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَلم يأْنِ[3] لك بأَن تعلم أَن لا إِلٰه إلا الله ؟ فقال أَبو سفيان : بأَبى أَنت وأُمى ما أَحلمك وما أَكرمك وأَوصلك ، والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله إِلٰهٌ غيره لقد أَغنانى [4] ، قال : ويحك يا أَبا سفيان أَلم يأْن لك أَن تعلم أَنى رسول الله ؟ قال : بأَبى أَنت وأُمى ما أَحلمك وأَكرمك وأَوصلك أَمَّا هذه فإن فى النفس منها شيئا[5] حتى الآن . فقال له العباس : أَسْلِمْ قبل أَن تُضْرب عنقك . فأَسلَمَ ، فقال العباس : يا رسول / الله إن أَبا سفيان يحبّ الفَخْر ، فاجْعَلْ له شيئا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعمه : مَنْ دخل دار أَبى سفيان فهو آمن، [ومن [6] أَغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن] .

١٢ و

فكان هذا منه أَمانا لكل من لم يقاتل من أَهل مكة ، ولهذا قال جماعة من أَهل العلم منهم الشافعى ـ رحمه الله ـ أَن مكة مؤمَّنة وليست عَنْوَةً [7] ، والأَمان كالصلح ، وروَى أَن أَهلها مالكون رِباعهم ، ولذلك كان يُجيز كِراها لأَربابها وبيعَها وشراءَها، لأَن من أُمِّن فقد حُرِّم ماله ودمه وذريته وعياله . فمكة مؤمنة عند مَنْ قال بهذا القول إلا الذين استثناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَمر بقتلهم وإن وُجدوا متعلِّقين بأَستار الكعبة . وأَكثر أَهل العلم يرون فتح مكة عَنْوَةً لأَنها أُخِذَتْ غلبةً بالخيل والرِّكاب، إلا أَنها مخصوصة بأَن لم يجْر فيها قَسْمُ غنيمةٍ ولا سُبِىَ من

(١) هم عشيرة عمر .
(٢) زيادة من ابن هشام وغيره .
(٣) ألم يأن : ألم يحن .
(٤) فى ابن هشام : لقد اغنى شيئا بعد .
(٥) فى الاصل : شىء .
(٦) زيادة من ابن هشام وغيره .
(٧) عنوة : حربا ، اى انها فتحت صلحا لا حربا .

أهلها أحد . وخُصَّتْ بذلك لما عظَّم الله من حُرْمتها ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم : مكة حرام محرَّمة لم تحِلَّ لأَحد قبلي ولا تَحِلُّ لأَحد بعدى وإنما أُحِلَّتْ لى ساعةً من نهار ثم هى حرام إلى يوم القيامة . والأَصح – والله أعلم – أنها بلدة مؤمَّنة ، أَمن أَهلها على أَنفسهم وأَمنت [1] أَموالهم تبعا لهم . ولا خلاف [فى] أنه لم يكن فيها غنيمة .

١٢٠ ظ

ثم أَمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – العباس أن يوقف أَبا سفيان / بِخَطْم [2] الوادى ليرى جيوش الله تعالى ، ففعل ذلك العباس ، وعرض عليه القبائل قبيلة قبيلة ، يقول : هؤلاءِ سُلَيْمٌ ، هؤلاءِ غِفار ، هؤلاءِ تميم ، هؤلاءِ مُزَيْنة ، إلى أن جاء موكب النبى – صلى الله عليه وسلم – فى المهاجرين والأَنصار خاصة ، كلهم فى الدروع والبَيْض . فقال أَبو سفيان : منْ هؤلاءِ ؟ فقال : هذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى المهاجرين والأَنصار ، فقال أَبو سفيان : والله مالأَحد بهؤلاءِ قِبَلٌ ، والله يا أَبا الفضل لقد أَصبح مُلْك ابن أَخيك عظيما ، فقال العباس : يا أَبا سفيان إنها النبوَّة ، قال : فنعم إذن . ثم قال له العباس : يا أَبا سفيان النَّجاءَ [3] إلى قومك . فأَسرع أَبو سفيان ، فلما أَتى مكة عرَّفهم بما أَحاط بهم ، وأَخبرهم بتأْمين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كل من دخل داره أَو المسجد أَو دار أَبى سفيان .

وتأَبَّش [4] قوم ليقاتلوا ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرتَّب الجيوش ، وجعل الراية بيد سعد بن عُبادة ، وكان من قول سعد بن عبادة : اليوم يوم الملْحمة [5] ، اليوم تسْتحلّ الْحُرْمة . فقال [6] العباس : يا رسول الله هلكت قريشٌ ، لاقريش بعد اليوم ، إن سعد بن عبادة قال كذا وكذا وإنه حنقٌ على قريش ، ولا بُدَّ أن يستأْصلهم . فأَمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَن تُنْزَعَ الراية من سعد بن عُبادة وتدفع إلى علىّ ، وقيل : بل إلى الزُّبير ، وقيل : / بل دفعها إلى ابنه قيس بن سعد لئلا يجد فى نفسه سعد شيئا . وكان الزُّبَيْر على الميمنة وخالد

١٢١ و

(١) فى الاصل : وكانت .
(٢) خطم الوادى : أنفه البارز منه – وفى ابن هشام : بمضيق الوادى عند خطم الجبل .
(٣) النجاء السرعة .
(٤) تأبش : تجمع .
(٥) الملحمة : المعركة العنيفة .
(٦) فى الاصل : فقال له .

ابن الوليد على الميسرة ، وقد قيل إن الزبير (كان) على الميسرة وخالد بن الوليد على الميمنة وفيها أَسْلم وغِفار ومُزَيْنة وجُهيْنَة . وكان أَبو عبيدة بن الجرَّاح على مقدمة [1] موكب النبي صلى الله عليه وسلم . وسرَّب [2] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجيوش من ذى طُوًى [3] ، وأَمر الزبير بالدخول من كَداء[4] فى أعلى مكة ، وأمر خالد بن الوليد ليدخل من اللِّيط أَسفل مكة . وأَمرهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقتال من قاتلهم . ولهذا كله يقول أَكثر العلماء : إنها افتتحت عَنْوَةً وأنها مخصوصة دون سائر البلدان بما خصت به دون[5] غيرها .

وكان عِكْرِمَة بن أَبي جهل وصَفْوان بن أُمية وسهيل بن عمر قد جمعوا جمعا بالخَنْدمة [6] ليقاتلوا ، فناوشهم أَصحابُ خالدٍ القتال ، فأُصيب من المسلمين رجلان وهما : كُرْز بن جابر من بنى محارب بن فِهْر بن مالك ، وخُنَيْس[7] بن خالد بن ربيعة بن أَصْرَم الخُزاعِى حليف بنى منقذ خرجا عن جيش خالد فقُتلا ، رحمة الله عليهما . وقُتل أَيضا من المسلمين سلمة بن المِيْلاء الجُهَنى . وقُتل من المشركين ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا . وهذه سبيل العَنْوة فى غير مكة . وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحُنَيْن والطائف يا بنى عبد الرحمن / وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار الأَوس يا بنى عبيد الله .

١٢١ ظ

وكان الذين استثناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أَمَّن الناس عبد العُزَّى بن خَطَل وهو من بنى الأَدْرم بن غالب ، وعبد الله بن سعد بن أَبى سَرْح ، وعكرمة بن أَبى جهل ، والحُوَيْرث ابن نُقَيْذ بن وهب بن عبد بن قُصىّ ، ومِقْيَس بن صُبابة ، وقَيْنتى ابن خطل : فَرْتَنَى وصاحبتها[8] كانتا تغنِّيان ابن خَطَل بهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسارَة مولاة لبعض بنى عبد المطلب .

---

(١) فى صحيح مسلم انه كان على البياذقةاى الرجالة . انظر ابن سيد الناس ٢/١٧٣ .
(٢) سرب : فرق .
(٣) ذو طوى : موضع قرب مكة .
(٤) كداء : جبل بأعلى مكة ، أماكدى بالقصروضم الكاف فجبل بأسفلها .
(٥) فى الاصل : فى غير ماشىء .
(٦) الخندمة : جبل بمكة .
(٧) فى بعض المصادر : حبيش والباء والشين . انظر ابن سيد الناس ٢/١٨٣ .
(٨) كانت تسمى قريبة .

أما ابن خطل فإنه كان أسلم وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم مصدِّقا[1] ، وبعث معه رجلا من المسلمين فعَدا عليه ، فقتله وارتدَّ ولحق بالمشركين بمكة ، فوُجد يوم الفتح متعلقا بأستار الكعبة ، فقتله سعيد بن حُرَيث المخزومى وأبو برْزَة الأسلمى .

وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرْح فكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لحق بمكة مرتدًّا ، فلما كان يوم الفتح اختفى . ثم أتى به عثمان بن عفان النبي صلى الله عليه وسلم وكان أخاه من الرِّضاعة ، فاستأْمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسكت عنه صلى الله عليه وسلم [ساعة][2] ثم أَمَّنه وبايعه. فلما خرج قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأصحابه : هلَّا قام بعضكم فضرب عنقه ؟ فقال رجل من الأنصار : هلَّا أومأْت إلىَّ ؟ فقال عليه السلام : ما كان لنبيٍّ أن يكون له خائنةُ / الأعين . ثم عاش عبد الله بن سعد حتى استعمله عمر ، ثم ولَّاه عثمان مصر . وهو الذى غزا إفريقية وافتتحها أول مرة . وحسُن إسلامه ، ولم يظهر منه بعْدُ فى دينه شيء يُكْرهُ .

١٢٢

وأما عِكْرِمة بن أبي جهْل فَفَرَّ إلى اليمن ، فاتبعته امرأته أُم حكيم بنت الحارث بن هشام فردَّته[3] ، فأَسلم وحسن إسلامه ، وكان من فُضلاءِ الصحابة .

وأما الحويرث بن نُقَيْذ فكان يؤذى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بمكة ، فقتله على بن أبى طالب يوم الفتح .

وإما مِقيَس بن صُبابة فكان قد أتى النبي — عليه السلام — قبل ذلك مسلما ثم عدا على رجل من الأنصار فقتله بعد أن أخذ الدية منه فى قتيل له ، ثم لحق بمكة مرتدا[4] . فقتله يوم الفتح نُميْلَة بن عبد الله اللَّيْثى وهو ابن عمه . وفى سُننه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : لا أُعْفى أحدا قتل بعد أخْذ الدية . هذا من المسلمين ، وأما مقيس بن صبابة فارتدَّ — وقَتَل — بعد أخذ الدية .

---

(١) مصدقا : جامعا للزكاة .

(٢) زيادة من ابن حزم يقتضيها السياق ،وفى ابن هشام : فصمت طويلا .

(٣) فى ابن هشام ٤/٥٣ : أنها أسلمت واستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فخرجت فى طلبه الى اليمن حتى أتت به رسول الله فأسلم ، وعكف على العبادة والجهاد فى سبيل الله حتى مات شهيدا فى حروب الشام قيل فى اليرموك وقيل فى اجنادين .

(٤) انظر قصته فى غزوة بنى المصطلق السالفة ، وكان الانصارى قتل أخاه هشاما خطأ فى نفس الغزوة ، وقيل : بل فى غزوة ذى قرد . قارن بالاستيعاب ص ٦١٢ .

وأما قَيْنتا ابن خَطل فقُتلت إحداهما واستؤمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للأُخرى ، فأَمَّنها ، فعاشت مدة ثم ماتت فى حياة النبى عليه السلام .

وأما سارة فاستُؤمن لها أَيضا ، وأَمَّنها عليه السلام ، وعاشت إلى أن أَوطأَها رجلٌ فرسا بالأَبطح فى زمان عمر فماتت .

١٢٢ ظ واستتر / رجلان من بنى مخزوم عند أُم هانئ بنت أَبى طالب فأَجارتهما وأَمَّنتهما ، فأَمضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَمانها ، وقال : قد أَجرنا منْ أَجرتِ يا أُمَّ هانىء وأَمَّنَّا من أَمَّنتِ ، وكان علىٌّ أَراد قتْلهما ، قيل : إنهما الحارث بن هشام وزهير بن أَبى أُمية أَخو أُم سَلمة ، وأَسلما وكانا من خيار المسلمين ، وقيل : إن أَحدهما جعدة[1] بن هبيرة ، والأَول أَصح .

وطاف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالكعبة ، ودعا عثمان بن طلحة فأَخذ منه مفتاح الكعبة بعد أَن مانعته أُمه ذلك ثم أَسلمته . فدخل النبى الكعبة ومعه أُسامة بن زيد ، وبلال بن رَباح ، وعثمان بن طلحة ، ولا أَحد معه غيرهم . فأَغلق الباب عليه ، وصلَّى داخلها ركعتين . ثم خرج وخرجوا ، وردَّ المفتاح إلى عثمان بن طلحة ، وأَبقى له حِجابة[2] البيت وقال : خذوها خالدة تالدة إلى يوم القيامة ، فهى إلى الآن فى ولد شَيْبَةَ بن عثمان بن طلحة .

وأَمر – عليه السلام – بكسْر الصُّوَر التى داخل الكعبة وحولها وكسْر الأَصنام[3] التى حول الكعبة وبمكة كلها ، وكانت الأَصنام التى فى الكعبة مشدودة بالرصاص وكان يشير إليها بقضيب فى يده ، فكلما أَشار إلى واحد منها خَرَّ لوجهه ، وكان يقول : (جاءَ الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زَهُوقا) . وأَذَّن له بلال على ظهر الكعبة .

١٢٣ و وخطب رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – / ثانى يوم الفتح خطبة مشهورة عند أَهل الأَثر والعلم بالخبر ، فوضع مآثر الجاهلية حاشا سِدانة البيت وسقاية[4] الحاجِّ ، وأَخبر –

(١) هو جعدة بن هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، أمه أم هانىء نفسها ، وسيأتى الحديث عن أبيه .

(٢) الحجابة : سدانة البيت والقيام على خدمته .

(٣) فى ابن سعد أنها كانت ثلاثمائة وستين صنما وكان هبل أعظمها ، وقدبث السرايا والبعوث لكسر الأصنام التى كانت بالقرب من مكة ، منها العزى ومناة وسواع وبوانة وذوالكفين .

(٤) سقاية الحاج كانت فى الجاهلية لبنى هاشم وقد أبقاها الرسول لهم فى الاسلام ودفعها الى عمه العباس .

صلى الله عليه وسلم ـ أن مكة لم يحلّ فيها القتال لأحد قبله ، ولا يحلُّ لأحد بعده ، وإنما حلَّ له القتال فيها ساعة من نهار ، ثم عادت كحُرْمتها بالأمس ، لايُسْفَكُ فيها دم . ومن أحسن ما روى من خطبته مختصرا ما رواه يحيي بن سعيد الأموى وغيره ، عن محمد بن إسحق ، عن يحى ابن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه :

أمر نبي الله ـ صلى الله عليه ـ ربيعة بن أُمية بن خلف ، فوقف تحت صدر راحلة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان رجلا صيِّتا [1] ، فقال : يا ربيعة قُلْ : يا أيها الناس إن نبيَّ الله يقول لكم : أتدرون أيّ بلد هذا ؟ وأى شهر هذا ؟ وأى يوم هذا ؟ فنادى بذلك ، فقال الناس : نعمْ هذا البلد الحرام والشهر الحرام ، فقال : إن الله حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم كحُرْمة بلدكم هذا وكحرمة شهركم هذا وكحرمة يومكم هذا ، ثم قال : اللهم اشْهَدْ . أيها الناس (إنما النَّسِيءُ[2] زيادةٌ فى الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونه عاما ويحرِّمُونه عاما ليُواطئوا عدة ما حرَّم الله) ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض و(إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله) منها أربعة حرم : الثلاثة متوالية ، ورجب مفرد الذى بين جمادى / وشعبان . ألا هل بلَّغت ؟ فيقول الناس : نعم . قال اللهم اشْهَدْ .

١٢٣ ظ

وتوقعت الأنصار أن يبقى النبي ـ عليه السلام ـ بمكة ، فأخبرهم أن المَحْيا محياهم وأن المَمَاتَ مماتهم . ومرَّ ـ عليه السلام ـ بفَضَالة بن عُمير بن الملوِّح الليثى ، وهو عازمٌ على الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما تحدِّث به نفسك ؟ قال : لاشيء كنت أذكر الله عزَّ وَجَلَّ ، فضحك النبي عليه السلام ، وقال : أستغفر الله لك ، ووضع يده ـ عليه السلام ـ علَى صدْرِ فضالة ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما أجد على ظهر الأرض أحبَّ إلىّ منه .

وهرب صَفْوان بن أُمية إلى اليمن ، فاتبعه عمير بن وهب الجُمحِي بتأمين رسول الله ـ

---

(١) صيتا : بعيد الصوت .

(٢) النسيء : التأجيل ويراد به تأجيل بعض الأشهر الحرم وهى المذكورة فيما بعد ، وكانوا ربما اخروها جملة أو اخروا بعضهـا وخاصة شهر المحرم، اذ كان كثيرون يحلونه عاما ويحرمونه عاما . ويقال ان كنانة هى التى كانت تصنع ذلك .

صلى الله عليه وسلم ـ [إياه فرجع] فأكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : انزلْ[1] يا أبا وهب ، فقال : إن هذا يخبرنى عنك أنك تمهلنى شهرين ، قال : بل لك أربعة أشهر . وهرب ابن الزِّبَعْرى[2] الشاعر إلى نَجْران ثم رجع ، فأسلم . وهرب هبيرة بن أبى وهب المخزومى زوج أُم هانئْ بنت أبى طالب إلى اليمن[3] ، فمات هناك كافرا .

ثم بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ السرايا حول مكة يدعو إلى الإسلام ، ولم يأمرهم[4] بقتال . وكان أحد أُمراءِ تلك السرايا : خالد بن الوليد خرج إلى بنى جذِيمة بن عامر بن عبد مناة ابن كنانة ، فقتل منهم وسبا ، وقد كانوا أسلموا ولم يقبل خالد قولهم وإقرارهم بالإسلام ، فودَاهم[5] / رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعث على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ بمال إليهم ، فودى لهم جميع قتلاهم وردَّ إليهم ما أُخذ منهم وقال لهم على : انظروا إن فقدتم عقالا[6] لأَدينَّه ، فبهذا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يديه فقال : اللهم إنى أبرأ إليك من صُنْع خالد .

١٢٤ و

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ خالد بن الوليد إلى العُزَّى وكان بيْتًا[7] بِنَخْلة تعظمه قريش وكنانة وجميع مضر ، وكان سدنته بنو شيبان من بنى سُلَيم حلفاء بنى هاشم ، فهدمه . وكان فتح مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة .

---

(١) وكان لايزال راكبا راحلته وقد ناداه بكنيته تلطفا . وقد أسلم بعد موقعة حنين أى بعد شهر وحسن اسلامه .

(٢) أشعر قريش وكان من أشدهـا ايذاء للرسول بشعره ، وقد مضى بعد اسلامه ينسخ شعره القديم بأشعار كثيرة يمدح بها الرسـول وهديه الكريم .

(٣) وقيل الى نجران .

(٤) فى بعض المصادر : وأمرهم بقتال من قاتل .

(٥) وداهم : دفع دياتهم .

(٦) العقال هنا : البعير .

(٧) بيتا : أى كعبة . نخلة : على الطريق من مكة الى الطائف وبينها وبين مكة مسير ليلة .

غزوة[1] حُنَيْن

فلما بلغ هوازنَ فتحُ مكة جمعهم مالك بن عوْف النَّصْرى من بنى نصر بن معاوية ، فاجتمع إليه قومه : بنو نصْر وبنو جُشَم وبنو سعد بن بكر ، وثقيف، وطائفة من بنى هلال بن عامر . ولم يشهدها من قيس[2] غير هؤلاءِ . وغابتْ عن ذلك عُقَيْل ، وقُشَيْرابنا كعب بن ربيعة بن عامر . وبنو كلاب بن ربيعة بن عامر ، وسائر إخوتهم ، فلم يحضرهم من كعب وقشير وكلاب أحد يُذْكَرُ . وحملت بنو جُشَم مع أنفسهم شيخهم وكبيرهم : دُرَيد بن الصِّمَّة ، وهو يومئذ شيخ كبير لا يُنْتفعُ به فى غير رأيه ، حملوه فى هودج لضعف جسمه . وكان فى ثقيف / سيدان [لهم[3] فى الأَحلاف] أَحدهما قارب بن الأَسود بن مسعود بن مُعَتِّب[4] ، والآخر ذو الخِمار سُبيْع بن الحارث بن مالك . وكانت الرياسة فى جميع العسكر إلى مالك بن عوف النصرى ، فحشَد من ذكرنا ، وساق مع الكفار أموالهم وماشيتهم ونساءَهم وأولادهم ، وزعم أن ذلك لتَحْمى به نفوسهم وتشتد فى القتال عن ذلك شوكتهم .

١٢٤ ظ

ونزلوا بأوطاس[5] ، فقال لهم دُرَيْد بن الصِّمَّة : مالى أَسمع رُغاءَ البعير ونُهاق الحمير وبكاءَ الصغير ويُعار[6] الشاءِ ؟ قالوا : ساق مالك مع الناس أموالهم وعيالهم [قال[7] : أَين مالك ؟ قيل : هذا مالك ودُعى له ، فسأَله : لم فعلت ذلك ؟ فقال مالك :] ليقاتلوا عن أَهليهم وأَموالهم ، فقال دريد : راعى[8] ضَأنٍ والله ، وهل يردُّ المُنْهزِمَ شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسلاحه ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ فى أَهلك ومالك . ثم قال : مافعلت كعب وكلاب ؟ قالوا :

---

(١) انظر فى غزوة حنين ابن هشام ٤/٨٠ والواقدى ٤١٧ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ١٠٨ والبخارى ٥/١٥٣ والطبرى ٣/٧٠ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١١٣ وابن حزم ص ٢٣٦ وابن سيد الناس ٢/١٨٧ وابن كثير ٤/٣٢٢ .

(٢) من قيس : أى من قيس عيلان .

(٣) زيادة من ابن هشام وغيره .

(٤) وراء معتب فى الاصل : من الاحلاف .

(٥) أوطاس : واد فى ديار هوازن .

(٦) يعار الشاء : صوتها .

(٧) زيادة من ابن هشام وغيره .

(٨) يجهله بذلك ويسخر منه .

لم يشهدها منهم أحد ، قال دُرَيْد : غاب الحَدّ(١) والجِدّ ، لوكان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ولوَدِدْت أنكم فعلتم ما فعلت كلاب وكعب ، فمن شهدها [من(٢) بنى عامر ؟] قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذانك الجَذَعان(٣) من عامر لاينفعان ولا يضران ، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم بَيْضة (٤) هوازن إلى نُحور الخيل شيئًا ، ارْفَعْهم إلى ممتنع بلادهم وعُلْيا قومهم ، ثم الْقَ الصُّباة (٥) على مُتون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك / من ورائك ، ١٢٥ و
وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك . فأَبى ذلك مالك وخالفتْ هوازن دريدا واتبعوه ، فقال دُريد : هذا يوم لم أشهده ولم يغب عنى :

يا ليتنى فيها جذَعْ أَخُبُّ فيها وأَضَعْ (٦)

وبعث [إليهم](٧) رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عبد الله بن أَبى حَدْرد الأَسلمى عِشاء ، فأَتى بعد أن عرف مذاهبهم ، وأَخبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما شاهده منهم .

فعزم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على قَصْدهم ، واستعار من صفوان بن أُمية بن خلف الجُمَحِى دروعا ، قيل : مائة درع ، وقيل : أربعمائة . وخرج النبى – عليه السلام – فى اثنى عشر أَلفا من المسلمين ، منهم عشرة آلاف صحبوه من المدينة ، وأَلفان من مسلمة الفتح ، إلى ما انضاف إليه من الأَعراب : من سُلَيْم وبنى كلاب وعبس وذبيان(٨) . واستعمل على مكة (٩) عَتَّاب بن أَسِيد بن أَبى العيص بن أُمية . ونهض – صلَّى الله عليه – فى مقدمته مُزَيْنة ، وفى الميمنة

(١) الحد المضاء فى الامر .
(٢) زيادة من ابن حزم وغيره يقتضيها السياق .
(٣) الجذع : الشاب الحدث غير المجرب .
(٤) بيضة هوازن : أصلهم وجماعتهم .
(٥) الصباة : جمع صابىء وكان الكفار ينعتون المسلمين بأنهم صباة خرجوا على دين آبائهم .
(٦) الخبب والوضع : ضربان من السير . يتمنى لو كان شابا له حركة الشباب واندفاعهم ليظهر بلاءه فى تلك الحرب .
(٧) زيادة من ابن هشام .
(٨) قال ابن سعد : وخرج مع الرسول ناس من المشركين منهم صفوان بن آمية ، ولم يكن قد أسلم بعد .
(٩) فى الاصل : المدينة وهو خطأ من الناسخ .

بنو أسد ، وفى الميسرة بنو سليم وعبس وذبيان . وفى مخرجه هذا رأى جُهَّال الأعراب شجرة خضراء ، وكان لهم فى الجاهلية شجرة معروفة تسمى ذات(١) أنواط. يخرج إليها الكفار يوما معلوما فى السنة يعظمونها ، فقالوا يا رسول الله اجْعَل لنا ذات أنواطٍ / كما لهم ذات أنْواط. ، فقال : ١٢٥
عليه السلام — : الله أكبر ، والذى نفسى بيده كما قال قوم موسى : (اجْعَلْ لنا إلهًا كما لهم آلهةٌ قال إنكم قومٌ تجهلون) لتركبُنَّ سُنَنَ من [كان] (٢) قبلكم حَذْوَ القُذَّة(٣) بالقُذَّة ، حتى إنهم لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه .

ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أتى وادى(٤) حُنَيْن وهو واد من أودية تهامة ، وكانت هوازن قد كمنت فى جَنْبتى الوادى ، وذلك فى غَبَش الصبح ، فحملتْ على المسلمين حملة رجل واحد ، فانهزم جمهور المسلمين ، ولم يَلْوِ أحدٌ على أحد . وثبت مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته على والعباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه جعفر ، وأُسامة بن زيد ، وأيمن بن عُبَيْد وهو أيمن بن أم أيمن قُتل يومئذ بحُنَيْن ، والفضل بن العباس . وقيل فى موضع جعفر بن أبى سفيان قُثَم بن العباس . ولم ينهزم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولا أحد من هؤلاء . وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على بغلته الشهباء واسمها دُلْدل (٥) والعباس آخذٌ بحكَمتها (٦) ، ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : أيها الناس ، إلى أين أيها الناس ؟ ! أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله . وأمر العباس — وكان جهير الصوت — أن ينادى : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب الشجرة ، وبعضهم يرويه : يا أصحاب السَّمُرة . وقد قيل إنه نادى يومئذ : يا معشر المهاجرين ، كما نادى : يا معشر / ١٢٦
الأنصار . فلما سمعوا الصوت أجابوا : لبَّيْك ، لبيك . وكانت الدعوة أولا يا للأنصار ، ثم

---

(١) هى شجرة خضراء كانت تقدسها قريش وغيرها من العرب ، وكانوا يخرجون اليها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما . وانما قالوا للرسول ذلك حين مروا على شجرة نبق خضراء عظيمة .

(٢) زيادة من ابن هشام وغيره .

(٣) القذة : ريش السهم .

(٤) واد متسع كثير الحدور والشعاب .

(٥) يقال ان المقوقس هو الذى أهداها الى الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٦) الحكمة : ما أحاط بحنك الفرس من لجامه .

خُصِّصت بـأُخَرة[١] يا للخزرج . قال ابن شهاب ، وكانوا أصبر عند الحروب . فلما ذهبوا ليرجعوا كان الرجل منهم لا يستطيع أن ينفذ ببعيره لكثرة الأعراب المنهزمين ، فكان يـأخذ دِرْعه فيلبسها ، ويأخذ سيفه ومِجنَّه ، ويقتحم عن بعيره [ويُخلِّي[٢] سبيله] ويكر راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا اجتمع حواليه -صلى الله عليه وسلم - مائة رجل أو نحوهم استقبلوا هوازنَ بالضرب .

واشتدت الحرب وكثر الطعن والجلاد ، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى ركائبه ، فنظر إلى مُجْتَلَدِ[٣] القوم ، فقال : الان حَمِى[٤] الوَطِيس . وضرب على بن أبى طالب عُرْقُوب جمل صاحب الراية أو فرسه فصرعه ، ولحق به رجل من الأنصار ، فاشتركا فى قتله . وأخذ علىٌّ الراية ، وقذَف الله - عزَّ وجَلَّ - فى قلوب هوازن الرُّعْب حين وصلوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ واجههم وواجهوه صاح بهم صيحة ورمى فى وجوههم بالحَصا ، فلم يملكوا أنفسهم ، وفى ذلك يقول الله عزَّ وجلَّ : (ومارميتَ إذ رميت ولكن الله رَمى). [و][٥] روينا من وجوه عن بعض من أسلم من المشركين ممن شهد حُنَيْنًا قال ، وقد سُئل عن يوم حنين : لقينا / المسلمين فما لبثنا أن هزمناهم واتبعناهم حتى وصلنا إلى رجل راكب على بغلة بيضاء ، فلما رآنا زجرنا زجرة وانتهرنا ، وأخذ بكفه حصًا أو ترابا ، فرمانا به ، وقال : شاهت الوجوه شاهت [الوجوه] فلم تبق عين إلا دخلها من ذلك . فما ملكنا أنفسنا أن رجعنا على أعقابنا .

١٢٢ ظ

وما استوفى رجوع المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وأسرى هوازن بين يديه . وثبتتْ أُمٌّ[٦] سليم فى جملة مَنْ ثبت أول الأمر محتزمةً ممسكة بعيرًا لأبى طلحة وفى يدها خنجر . وانهزمت هوازن ، ومُلِك العيال والأموال . واستحرَّ القتل فى بنى مالك من ثقيف فقُتل منهم

---

(١) فى الاصل : الاخرى .
(٢) زيادة من ابن هشام .
(٣) مجتلد القوم : مكان جلادهم وعراكهم .
(٤) الوطيس : التنور . والاستعارة واضحة . وهى من الكلم التى لم يسبق اليها الرسول .
(٥) زيادة للسياق .
(٦) هى أم أنس بن مالك تزوجت بعد أبيه أبا طلحة الانصارى .

خاصةً يومئذ سبعون رجلا منهم رئيساهم : ذو الخِمار وأَخوه [1] عثمان ابنا عبد الله بن ربيعة. ولم يقتل من الأَحلاف إلا رجلان ، لأَن قارب بن الأَسود–وكان سيدهم يومئذ – فرَّ بهم حين اشتدّ أَول القتال. واستحرَّ القتل فى بنى نصر بن معاوية . وهرب مالك بن عوْف النَّصرى فى جماعة من قومه ، ودخل الطائف مع ثقيف. وانحازت طوائف من هوازن إلى أَوْطاس. وأَدرك ربيعة بن رُفَيْع بن أُهبان السُّلمى من بنى سليم دريد بن الصِّمَّة ، فقتله ، وقد قيل إن قاتل دريد هو عبد الله بن قُنَيْع بن أُهبان من [2] بنى سليم ، وقد قيل إن دُرَيْدًا أُسِر يومئذ وأَمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقتله لمشاهدته الحرب وموضع رأيه فيها . ولما انقضى الصدام نادى منادى / سول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ قتل قتيلا عليه بَيِّنة ، فله سلَبُه[3] .

١٢٧ و

وبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَبا عامر الأَشعرى – واسمه عبيد وهو عم أَبى موسى الأَشعرى – فى طائفة من المسلمين منهم أَبو موسى إلى من اجتمع من هوازن بأَوطاس[4] . فشد على أَبى عامر أَحدُ بنى دُريْد بن الصِّمَّة فقتله ، قيل : رماه سلمة بن دريد بن الصِّمَّة بسهم فقتله. وأَخذ أَبو موسى الراية ، وشدَّ على قاتل عمه فقتله . وقيل : بل رمى أَبا عامر رجلان من بنى جُشَم ، وهما : العلاءُ وأَوْفى ابنا الحارث ، أَصاب أَحدهما قلبه والآخر ركبته ، ثم قتلهما أَبوموسى وقيل : بل قتل أَبو عامر تسعة إخوة من المشركين مبارزة ، يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ثم يحمل عليه فيقتله ، ثم حمل عليه عاشرهم فقتله . ثم أَسلم ذلك العاشر بعد ذلك .

---

(١) هكذا فى الاصل ونقله عن ابن عبد البر ابن حزم (انظر ص.٢٤٠) واذا صح ان ذا الخمار هو سبيع بن الحارث بن مالك الذى تقدم الحديث عنه فى صدر هذه الغزوة يكون قد حدث سهو من ابن عبد البر، فعثمان ليس أخاه وانما هوالذى أخذ الراية حين قتل ذو الخمار ، ولم يلبث أن قتل هو الآخر ، وكان لذى الخمار أخ فى هذه المعركة يسمى – كما ذكر ابن هشام – احمر بن الحارث .

(٢) فى ابن هشام : ابن ثعلبة بن ربيعة .

(٣) منذ هذه المعركة أصبح ذلك حكما قائمامستمرا فى الاسلام

(٤) انظر فى هذا البعث صحيح البخارى ٥/ ١٥٥ والطبرى ٧٩/٣ . وأوطاس : واد بديار هوازن .

تسمية من استشهد من المسلمين يوم حنين

واستشهد من المسلمين يوم حنين أربعة رجال : أَيْمَن بن عُبيْد ، وهو أيمن بن أم أيمن أخو أُسامة بن زيد لأُمه . ويزيد بن زَمعة بن الأَسود بن المطلب بن أسد ، جمح به فرسه ، فقُتل . وسُراقة بن الحارث (١) بن عدى من بنى العَجْلان من الأنصار . وأبو عامر الأَشعرى .

وكانت وقعة هوازن (وهى) يوم حُنَيْن فى أول شوال من السنة الثامنة من الهجرة وترك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَسْمَ الغنائم من الأَموال والنساء والذرارى ، فلم يقْسمها حتى أتى الطائف .

(١) ويقال فيه : الحباب .

١٢٧

/ غزوة[1] الطائف

وكان منصرفُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حُنيْن إلى الطائف . لم يرجع إلى مكة ولا عَرَّج على شيء إلا غزو الطائف قبل أن يقسم غنائم حُنيْن وقبل كل شيء . فسلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الجعْرَانة [2] فى طريقه إلى الطائف ثم أخذ على قَرَن [3] . وابتنى فى طريقه ذلك مسجدا وصلَّى فيه ، وأقاد فى ذلك المكان [بدم[4] وهو أول دم أقيد به فى الإسلام] رجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل [فقتله به] . ووجد فى طريقه ذلك حِصْنا لمالك بن عوْف النَّصْرى فهدمه ، ووجد هنالك أُطُمًا قد تمنَّع فيه رجل من ثقيف فى ماله ، فأَمر بهدمه . ولم يشهد غزوة حنين ولا الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة الثقفيان ، كانا قد خرجا يتعلمان صناعة المنجنيق والدبَّابات [5] .

ثم نزل ـ عليه السلام ـ بقرب الطائف بواد يقال له العَقيق ، فتحصَّنتْ ثقيف وحاربهم المسلمون . وحصنُ ثقيف لا حصن مثله فى حصون العرب . فأُصيب من المسلمين رجال بالنَّبْل . فزال النبى ـ عليه السلام ـ من ذلك المنزل إلى موضع المسجد المعروف اليوم . فحاصرهم ـ عليه السلام ـ بضعا وعشرين ليلة ، وقيل : بل بضع عشرة ليلة ، وقيل : عشرين يوما . وكان معه ـ عليه السلام ـ امرأتان من نسائه ، أُم سلمة إحداهما ، فموضع المسجد اليوم بين منزلهما يومئذ . وتولَّى بنيان ذلك المسجد عمرو بن أُمية بن وهب بن معتب الثقفى . وأَمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقطع أَعناب الطائف / إلا قطعة عنب كانت للأَسود بن مسعود أَو لابنه فى ماله ، وكانت تبعد عن الطائف ، وسأَله الكفَّ عنها فكفَّ عنها . ١٢٨

---

(١) انظر فى غزوة الطائف ابن هشام ١٢١/٤ والواقدى ص ٤٢٢ وابن سعد ج٢ ق١ ص١١٤ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢٢/١٢ والبخارى ١٢٢/١٢ وسنن أبى داود ٢٨/٢ والطبرى ٨٢/٣ وابن حزم ص ٢٤٢ وابن سيد الناس ٢٠٠/٢ وابن كثير ٣٤٥/٤ والنويرى ٣٣٥/١٧ .

(٢) الجعرانة : موضع بين مكة والطائف ، وماء .

(٣) قرن : ناحية من نواحى الطائف أو مخلاف من مخاليفه .

(٤) زيادة من ابن هشام .

(٥) الدبابات : آلات حرب كانوا يصنعونها من خشب ويدخل فيها الرجال لينقبوا منها الاسوار المحصنة .

وكان بُجَيْر بن زهير بن أَبي سُلْمى المُزْنى الشاعر بن الشاعر شهد حنينا والطائف ، وكانْ حسن الإسلام .

تسمية من استشهد من المسلمين فى حصار الطائف

واستشهد من المسلمين فى حصار الطائف :

سعيد بن سعيد بن العاصى بن أُمية ، وعُرْفُطة بن جَناب [1] الأَزدى حليف لبنى أُمية ، وعبد الله بن أَبى بكر الصديق أَصابه سهم فاستمر منه مريضا حتى مات منه فى خلافة أَبيه ، وعبد الله [بن] أَبى [2] أُمية بن المغيرة المخزومى أَخو أُم سلمة ، وعبد الله الأَكبر بن عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب ، والسائب بن الحارث بن قيس السهمى ، وأَخوه عبد الله بن الحارث بن قيس السَّهْمى ، وجُلَيْحة بن عبد الله اللَّيْثى من بنى سعد بن ليث ، وثابت بن الجَذَع الأَنصارى من بنى سَلِمة ، والحارث بن سهل بن أَبى صعصعة الأَنصارى من بنى مازن بن النجار ، والمنذر بن عبد الله الأَنصارى من بنى ساعدة . ومن الأَوس رقيم [3] بن ثابت بن ثعلبة .

---

(١) فى ابن هشام : ويقال : حباب .

(٢) زيادة من ابن هشام وغيره .

(٣) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب وغيرهما من المصادر ، وفى الاصل : أرقم .

بـــاب

فى قسمة غنائم[1] حُنَيْن وما جَرَى فيهم

ثم انصرف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى الجِعرانة : موضع قريب من حنين . وكان قد استأْنى [2] بقسمة الغنائم رجاءَ أن يُسْلموا ويرجعوا إليه . فلما قُسمت الغنائم / هنالك أتاه وفد هوازن مسلمين راغبين فى العطف عليهم والإحسان إليهم ، فقال لهم : قد كنت استأْنيت بكم وقد وقعت المقاسم ، وعندى ما ترون [3] فاختاروا : إما ذَرَاريكم ونساءَكم وإما أموالكم ، فاختاروا العِيال والذُّرِّيَّة وقالوا : لا نعْدل بالأَنساب شيئا ، فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا صَلَّيت الظُّهْرَ فتكلموا واطلبوا حتى أكلِّم الناس فى أمركم . فلما صلَّى الظهر تكلموا ، وقالوا : نستشفع برسول الله – صلى الله عليه وسلم – على المسلمين . فقال النبى – عليه السلام – أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب وبنى هاشم فهو لكم ، وقال المهاجرون والأَنصار : أَما ما كان لنا فهو لرسول الله – عليه السلام – وامتنع الأَقرع بن حابس وعُيينَة بن حصن فى قومهما[4] أن يردُّوا عليهم شيئا مما وقع لهم فى سهامهم . وامتنع العباس بن مرداس السُّلَمى وطمع أن يساعده قومه كما ساعد الأَقرع بن حابس وعيينة قومهما فأَبت بنو سُلَيْم وقالوا : بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله – عليه السلام – من ضَنَّ منكم بما فى يديه فإنا نعوِّضه منه .

فردَّ عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نساءَهم وأَبناءَهم وعوَّض من لم تَطب نفسه بترك نصيبه أعواضا رضوا بها . وكان عدد سبى هوازن ستة آلاف إنسان فيهم الشَّيْمَاء أُخت

(١) انظر فى غنائم حنين وعطايا المؤلفة قلوبهم ابن هشام ٤/١٣٠ وابن سعد ج٢ق١ص ١١٠ والطبرى ٣/٨٦ وابن حزم ص ٢٤٥ وابن سيد الناس ٢/١٩٣ وابن كثير ٤/٣٥٢ والنويرى ١٧/٣٣٩ .

(٢) استأنى : انتظر .

(٣) ما ترون : أى ما سأعرضه عليكم .

(٤) قوم الاقرع تميم وقوم عيينة فزارة .

١١ و النبي – عليه السلام – من الرضاعة / وهى بنت الحارث بن عبد العُزّى من بنى سعد بن بكر [بن هوازن] (١) بنت حَليمة السَّعْدية ، فأَكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَعطاها ، ورجعتْ إلى بلادها مسرورة بدينها وبما أَفاءَ الله عليها .

وقَسَم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الأَموال (٢) بين المسلمين . وأَعطى المؤلَّفة قلوبهم وغيرهم من الخُمُس أَو من جملة الغنيمة على مذهب من رأَى أَن ذلك إلى اجتهاد الإمام ، وأَن له أَن يُنْفل (٣) فى البَدْأَة والرَّجعة [حسب] ما رآه بظاهر قول الله تعالى : (قل الأَنفال لله والرسول) يحكم فيها بما أَراه الله . وليس ذلك لغيره صلَّى الله عليه وسلم بظاهر قوله عزَّ وجلَّ : (واعلموا أَنما غنمتم من شيء فأَن لله خمسه) . وللقول فى تلخيص ذلك مواضع غير هذا .

[أعطيات المؤلفة قلوبهم]

ولم يختلف أَهل السِّير وغيرهم أَن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أَعطى المؤلفة قلوبهم من قريش وغيرهم ، ولا ذكر للمولفة قلوبهم فى غير آية (٤) قَسْم الصدقات . قالوا : أَعطى قريشا مائة بعير مائة بعير ، وكذلك أَعطى عيينة بن حصن والأَقرع بن حابس .

قال ابن إسحق : أَعطاهم يتأَلفهم ويتأَلف بهم قومهم وكانوا أَشرافا ، فأَعطى أَبا سفيان ابن حرب مائة بعير ، وأَعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأَعطى حكيم بن حِزام مائة بعير ، وأَعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأَعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأَعطى حُوَيْطب بن عبد / ١١ ظ العُزّى مائة بعير ، وأَعطى صفوان بن أُمية مائة بعير ، وكذلك أَعطى مالك (٥) بن عوف والعلاء ابن جارية [الثقفى (٦) حليف بنى زهرة] . قال : فهولاءِ أَصحاب (٧) المئين .

---

(١) زيادة من المصادر الاخرى للايضاح .
(٢) كانت الأموال – فيما ذكر ابن سعد وغيره – أربعة وعشرين ألف بعير وأربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة .
(٣) ينفل : يعطى من النفل وهو غنيمة الحرب .
(٤) يريد آية التوبة : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) .
(٥) كان قد فر عن الطائف ولحق بالرسول معلنا اسلامه .
(٦) زيادة من ابن هشام .
(٧) ذكر منهم ابن هشام عن ابن اسحق الحارث بن الحارث بن كلدة وهو مذكور فى المهاجرين الى الحبشة ، ولذلك لم يذكره ابن عبد البر لانه لا يدخل فى هؤلاء المؤلفة قلوبهم ، فقد أكرمه الله بالاسلام مبكرا والهجرة الى الحبشة ثم الى المدينة .

وأعطى رجالا من قريش دون المائة ، منهم مَخْرَمة بن نوفل الزُّهْرىّ ، وعمير بن وهب الجُمَحِى ، وهشام بن عمرو العامرى – لا أعرف ما أعطاهم (١) . وأعطى سعيد بن يربوع خمسين بعيرا ، وأعطى عباس بن مرداس السلمى أباعر قليلة ، فتسخَّطها وقال فى ذلك :

كانتْ نِهَابًا تلافيتُها ... بِكَرِّى على المُهْرِ فى الأَجْرَعِ (٢)

وإيقاظىَ القومَ أن يَرْقدوا ... إِذَا هجع الناسُ لم أَهْجَع

فأَصبح نَهْبِى ونَهْبُ العُبيْـــدِ ... بين عينيةَ والأَقْرَع(٣)

وقد كنت فى الحربِ ذا تُدْرَإٍ ... فلم أُعْطَ. شيئا ولم أُمْنَع(٤)

إلا أُفائِلَ أُعْطِيتُها ... عديدَ قوائمها الأَرْبَع (٥)

وما كان حِصْنٌ ولا حابِسٌ ... يفوقان شَيْخِىَ فى المَجْمَعِ (٦)

وما كنت دون امرئ منهما ... ومنْ تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

فقال رسول – الله صلى الله عليه وسلم – اذهبوا فاقطعوا عنى لسانه ؛ فأعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه. وقيل إن عباس بن مرداس أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم – أنت القائل : «فأصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة » فقال أبو بكر الصديق : «بين عيينة والأقرع» . فقال رسول الله / صلَّى الله عليه وسلم : هما واحد . وقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله عَزَّ وجلَّ : (وما علَّمناه الشعر وما ينبغى له) .

١٣٠ و

قال أبو عمر :

لوكان ما أُعطى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المؤلفة قلوبهم من غنائم حُنَيْن من خمْس الخُمُس كما زعم من زعم ذلك أو من الخمس الذى قال فيه صَلَّى الله عليه وسلم : «مالى من غنائمكم

---

(١) أى لا أعرفه مضبوطا .
(٢) نهابا : جمع نهب . الأجرع : المكان السهل .
(٣) العبيد : فرس العباس بن مرداس .
(٤) تدرأ : دفع وشجاعة .
(٥) أفائل : جمع افيل وهو البعير الصغير.
(٦) يريد بقوله : « شيخى » أباه مرداسا .

إلا الخمس ، والخمس مردودٌ عليكم » ما شقّ ذلك – والله أعلم – على الأنصار ، حتى قالوا ماهو محفوظ عنهم . وقد كتبت ذلك فيما بعد . ولكنه – صلى الله عليه وسلم – علم من إيمانهم وكرمهم أنهم سيرضون بفعله ، لأن حرصهم على ظهور الدين من حرصه ، رضى الله عنهم .

تسميه[1] المؤلفة قلوبهم

من بنى أمية : أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وابنه معاوية ، وطليق بن سفيان بن أمية ، وخالد بن أسيد بن [أبى] [2] العِيص بن أمية .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : شيبة بن عثمان بن أبى طلحة ، وأبو السّنابل بن بعْكَك ، وعكرمة بن عامر ابن هاشم [3] .

ومن بنى مخزوم : زهير بن أبى أمية ، والحارث بن هشام ، وأخوه خالد بن هشام ، وهشام[4] بن الوليد بن المغيرة ، وسفيان بن عبد الأسد ، والسائب بن أبى السائب .

ومن بنى عدى بن كعب : مطيع بن الأسود ، وأبو جهم بن حذيفة .

١٣٠ ظ

ومن بنى جُمح : صفوان / بن أمية بن خلف ، وأخوه أحيْحة بن أمية ، وعمير بن وهب بن خلف .

ومن بنى سهم : [عدى[5] بن] قيس بن حذافة .

ومن بنى عامر بن لؤى : حُويْطب بن عبد العُزّى ، وهشام بن عمرو بن ربيعة .

ومن سائر قبائل العرب : من بنى الدِّيل[6] بن بكر بن عبد مناة : نوفل بن معاوية .

ومن بنى قيس ثم من بنى عامر بن صعصعة ثم من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر : علقمة ابن عُلاثة بن عوف بن الأحوص ابن جعفر بن كلاب ، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر ابن كلاب .

---

(١) انظر فى أسماء المؤلفة قلوبهم المحبر لابن حبيب ص ٤٧٣ .
(٢) زيادة من ابن هشام وغيره من المصادر .
(٣) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب وغيرهما وفى الاصل : هشام .
(٤) أخو خالد بن الوليد .
(٥) زيادة من ابن هشام وغيره .
(٦) فى الاصل : الديلى .

ومن بنى عامر بن صعصعة : خالد بن هَوْذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر ، وأخوه حَرْملة بن هوْذة .

ومن بنى نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع .

ومن بنى سُلَيْم بن منصور : عباس بن مرداس .

ومن غطفان ثم من فزارة : عُيَيْنة بن حِصْن .

ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة : الأقرع بن حابس .

وقد ذُكر فى المولفة حكيم بن حِزام والنُّضَيْر[1] بن الحارث بن علقمة بن كلدة أخو النضر ابن الحارث المقتول ببدر صبرا . وذكر آخرون النضير بن الحارث فيمن هاجر إلى أرض الحبشة فإن كان منهم فمحال أن يكون من المولفة قلوبهم . ومن هاجر إلى أرض الحبشة فهو من / المهاجرين الأولين ممن رسخ الإيمان فى قلبه ، وقاتل دونه ، ليس ممن يولَّف عليه .

١٣١

وعند إعطاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما أعطى المولفة قلوبهم ولم يُعْط الأنصار ولا المهاجرين قال ذو الخُوَيْصِرة [التميمى][2] : قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم يا محمد ! فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم : أَجل ، فكيف رأيت ؟ قال : لم أرك عدلْتَ . فغضب النبي عليه السلام ، وقال : ويْحك إن لم يكن العدْلُ منى[3] فعند مَنْ يكون ؟ فقال عمر رضى الله عنه : دعْنى أضربْ عنقه يا رسول الله ، فقال : لا ، دعوه ، سيكون له شيعة[4] يتحمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّمِيَّة .

موقف[5] بعض الأنصار

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال :

لما أعطى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب . ولم يكن

(١) فى ابن هشام : نصير ، وانظر ترجمته فى الاستيعاب ص ٣١٥ .
(٢) زيادة من ابن هشام وغيره .
(٣) فى ابن هشام : عندى .
(٤) هم الخوارج لعهد على اذ كان من زعمائهم .
(٥) انظر في ذلك صحيح البخارى ١٥٧/٥ والطبرى ٩٣/٣ .

فى الأَنصار منها شىء وجد هذا الحى من الأَنصار فى أَنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة (١) ، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله إن هذا الحىَّ من الأَنصار قد وجدوا عليك فى أَنفسهم بما صنعت فى هذا الفَىْء الذى أَصبتَ : قسمتَ فى قومك وأَعطيت قوما من العرب عطايا عِظاما ، ولم يكن فى هذا الحىِّ من الأَنصار منها شىء ، قال : فأَين أَنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ما أَنا إلا من قومى ، قال : فاجمعْ لى قومك / فى هذه الحَظيرة ، قال : فخرج سعد فجمع من الأَنصار فى تلك الحظيرة ، وجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردَّهم . فلما اجتمعوا أَتاه سعد ، فقال : يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأَنصار .

١٣١ ظ

فأَتاهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فحمد الله وأَثنى عليه ثم قال : يا معشر الأَنصار ما قالةٌ بلغتنى [عنكم] (٢) ووجدة(٣) وجدتموها فى أَنفسكم ، أَلم آتكم ضُلَّالا فهداكم الله وعالةً (٤) فأَغناكم الله وأَعداء فأَلَّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى اللهُ ورسولُه المَنٌّ(٥) والفضل . ثم قال : أَلا تجيبوننى يا معشر الأَنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المنٌّ والفَضْل . فقال : أَما والله لو شئتم لقلتم [فَصَدَقْتم] (٦) ولصُدِّقْتُمْ : أَتيتنا مكذَّبا فصدَّقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فواسَيْناك (٧) . أَوجدتم ــ يا معشر الأَنصار ــ فى أَنفسكم فى لُعَاعَة (٨) من الدنيا تأَلَّفْتُ بها قوما ليُسْلموا ووكلتكم إلى إيمانكم ، أَلا ترضون ــ يا معشر الأَنصار ــ أَن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رِحالكم ؟ . والذى نفسُ محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأَنصار ، ولو سلك الناس شِعْبا (٩) وسلكت الأَنصار شِعْبا لسلكت شِعب

---

(١) القالة : القول السيىء .

(٢) زيادة من ابن هشام والطبرى .

(٣) وجدة : موجدة وعتاب ، وفى الاصل : جدة ، وانما الجدة فى المال .

(٤) عالة : جمع عائل وهو الفقير .

(٥) المن : النعمة .

(٦) زيادة من ابن هشام والطبرى .

(٧) واسيناك : من المواساة وهى المشاركة والمساهمة فى المعاش والرزق .

(٨) اللعاعة : بقل أخضر ناعم شبه به متاع الدنيا ، وانه قليل لا يدوم .

(٩) الشعب : الطريق بين جبلين .

الأَنصار . اللهم ارحم الأَنصار وأَبناء الأَنصار وأَبناء أَبْناءِ الأَنصار . قال : فبكى القوم حتى أَخضلوا [1] لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله – صلى الله / عليه وسلم – قسما وحظا . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتَفَرَّقُوا .   ١٣٢ و

ورُوِى أَن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله أَعطيتَ عيينة بن حصن والأَقرع بن حابس ، وتركتَ جُعَيْل بن سُرَاقة الضَّمْرِى ؟ فقال رسول الله : والذى نفسُ محمد بيده لَجُعَيْل بن سراقة خير من طلاع [2] الأَرض مثل الأَقرع وعيينة ولكنى تألَّفتهما لِيُسْلما ووكلتُ جعيلا إلى إسلامه .

وكان هذا القَسْم بالجِعرانة . وروى أَبو الزبير وغيره عن جابر ، قال : بصرتْ عيناى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالجِعْرانة ، وفى ثوب بلال فضَّة ، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقبض ويعطى الناس .

عمرة رسول الله من الجِعْرانة

ثم خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معتمرا من الجِعْرانة إلى مكة [3] ، وأَمر ببقايا الفَيْء فخُمِّس بناحية مَرِّ [4] الظَّهْران . فلما فرغ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من عمرته انصرف إلى المدينة ، واستخلف على مكة عتَّاب بن أَسيد بن أَبى العِيص ، وهو ابن نَيِّفٍ وعشرين سنة .

ودخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة لست [5] بقِين من ذى القعدة . وكانت وقعة الطائف فى ذى القعدة المؤرخ من السنة الثامنة من الهجرة . وكانت غيبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منذ خرج من المدينة إلى مكة فافتتحها وأَوقع / بهوازن وحارب الطائف إلى أَن رجع إلى المدينة شهرين وستة عشر يوما .   ١٣٢ ظ

---

(١) اخضلوا لحاهم : سكبوا عليها دموعهم .
(٢) طلاع الارض : ما يطلع منها كناية عن عدم رسوخهم فى الاسلام .
(٣) كان ذلك ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة مضت من ذى القعدة .
(٤) مر الظهران : على مرحلة كما سلف : من مكة .
(٥) فى بعض الـــروايات : فى أول ذى الحجة .

واستعمل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع النَّصْرى على مَنْ أَسلم من قومه من قبائل قيس . وأَمره بمغاورة [1] ثقيف ، ففعل ، وضيَّق عليهم . وحسُن إسلامه وإسلام المؤلفة قلوبهم حاشا عُيَيْنة بن حِصْن ، فلم يزل مغموزا عليه .

وسائرُ المؤلفة قلوبهم منهم الخَيِّر الفاضل المُجْمَعُ على خيره كالحارث بن هشام ، وحكيم ابن حِزَام ، وعكرمة بن أَبي جهل ، وسهيل بن عمرو . ومنهم دون هؤلاء . وقد فضَّل الله النبيين وسائر عباده المؤمنين بعضهم على بعض ، وهو أَعلم بهم .

ثم انصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتفرَّقوا . وأَقام الحج للناس عتَّاب بن أَسيد فى تلك السنة [2] ، وهو أَول أَمير أَقام الحج فى الإِسلام . وحجَّ المشركون على مشاعرهم . وكان عتَّاب بن أُسيد خَيِّرًا فاضلا ورعًا .

وقدم كعب بن زُهير بن أَبى سُلْمَى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسلما ، وامتدحه ، وقام على رأْسه بقصيدته التى أَولها : بانتْ سُعاد فقلبى اليوم مَتْبولُ [3] . وأَنشدها إلى آخرها ، وذكر فيها المهاجرين فأَثنى عليهم . وكان قبل ذلك حُفِظ له هجاء فى النبى عليه السلام ، فعاب عليه الأَنصار إذ لم يذكرهم ، فغَدا على النبى ـ عليه السلام ـ بقصيدة / يمدح فيها الأَنصار [4] . وقبل النبى ـ عليه السلام ـ إسلامه وسمع شعره وأَثابه [5] .

١٣٣ و

(١) مغاورة ، يقصد الاغارة عليها تلو الاغارة .
(٢) وهى السنة الثامنة للهجرة
(٣) بانت : بعدت ـ متبول : أسقمه الحب وأضناه .
(٤) انظر القصـــيدة فى ديوانه (طبع دار الكتب المصرية) ص ٦ .
(٥) انظر قصة اسلامه وثواب الرسول له فى ابن هشام ٤/١٤٤ .

غزوة [1] تبوك

ثم أقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالمدينة بعد انصرافه من حصار الطائف ذا الحجّة والمحرم وصفرًا وربيعا الأول وربيعا الآخر وجُمَادى الأُولى وجمادى الآخرة . وخرج فى رجب من سنة تسع بالمسلمين إلى غزوة الروم ، وهى آخر غَزاة غزاها – صلى الله عليه وسلم – بنفسه . وكان خروجه إلى غزوته تلك فى حر شديد [وحين[2] طاب] أول الثمر وفى عام جَدْب .

وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يكاد يخرج غازيا إلا ورَّى[3] بغيره إلا غزوة تبوك ، فإنه بيَّنها للناس لبعد المسافة ونفقة المال والشُّقَّة وقوة العدو المقصود إليه . فتأخَّر الجَدُّ بن قيس من بنى سَلِمة ، وكان متَّهما بالنفاق فاستأْذن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى البقاءِ وهو غنىٌّ قوى فأَذن له ، وأَعرض عنه فنزلتْ فيه[4] : (ومنهم من يقول ائْذَنْ لى ولا تَفْتِنِّى أَلا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) . وكان نفر من المنافقين[5] يجتمعون فى بيت سُوَيْلم اليهودى عند جاسوم[6] يثبِّطون الناس عن الغزو . فبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – طلحة بن عبيد الله فى نفر ، وأمرهم أن يحرِّقوا / عليهم البيت ، ففعل ذلك طلحة ، فاقتحم الضحاك بن خليفة ، وكان معهم فى البيت ، جدار الدار ، فوقع ، فانكسرتْ رجله . وفَرَّ ابن أُبَيْرِق وكان معهم .

١٣٣ ظ

وأَنفق ناسٌ من المسلمين واحتسبوا[7] ، وانفق عثمان – رضى الله عنه – نفقة عظيمة جهز بها جماعة من المُعْسرين فى تلك الغزوة . ورُوِىَ أنه حمل فى تلك الغزاة على تسعمائة بعير ومائة فرس وجهَّزهم حتى لم يفقدوا عِقالا ولا شِكالا[8] ، ورُوِىَ أنه أَنفق فيها أَلف دينار .

---

(١) انظر فى غزوة تبوك ابن هشام ١٥٩/٤ والواقدى ٤٢٥ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ١١٨ والبخارى ٢/٦ والطبرى ١٠٠/٣ وابن حزم ص ٢٤٩ وابن سيد الناس ٢١٥/٢ وابن كثير ٢/٥ والنويرى ٢٥٢/١٧ .

(٢) زيادة من ابن هشام وغيره للسياق . أى أن الوقت كان شديد الحرارة وكان الناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم

(٣) ورى : كنى

(٤) فى الأصل : فيهم

(٥) هكذا فى ابن هشام وغيره ، وفى الأصل : المسلمين

(٦) جاسوم : بئر كانت للهيثم بن التيهان بالمدينة .

(٧) احتسبوا : جعلوا ما انفقوه حسبة لله يطلبون به الاجر والثواب .

(٨) هكذا فى ابن حزم ، وفى الأصل : شيئا . وشكال الدابة ماتشد به قوائمها ، وعقال البعير ما يشد به ذراعه مع وظيفه عند بروكه

وفى هذه الغزوة أتى رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ البكَّاءُون وهم سبعة : سالم بن عمير [من بنى[1] عمرو] بن عوف ، وعُلْبة بن زيد أخو بنى حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب من بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن الحُمام من بنى سَلِمة ، وعبد الله بن المغفَّل المُزَنىّ وقيل : بل هو عبد الله بن عمرو المزنى ، وهَرَمىّ بن عبد الله أخو بنى واقف ، وعِرْباض بن سارية الفزارى . فاستحملوا[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجدوا عنده ما يحملهم عليه ، فتولَّوا وأعينهم تفيض من الدّمع حَزَنًا أن لايجدوا ما ينفقون . فَسُمُّوا البَكَّائين . وذكروا أن ابن يامين بن عُميْر[3] النَّضْرى حمل أبا ليلى وعبد الله بن مغفَّل على ناضِحٍ[4] له يعتقبانه[5] ، وزوَّدهما تَمْرًا كثيرا . واعتذر المخلَّفون من الأعراب ، فعذرهم رسول الله عليه السلام .

١٣٤ و / وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضرب عسكره على باب المدينة ، واستعمل عليها محمد بن مسلمة ، وقيل : بل سِباع بن عُرْفُطة ، وقيل : بل خلَّف عليها على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وهو الأثبت : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خلَّف عليا (فى) غزوة تَبُوك ، فقال المنافقون : استثقله ، فذكر ذلك علىّ ـ رضوان الله عليه ـ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى خبر سعد ، فقال : كذبوا ، إنما خلَّفتك لما تركت ورائى ، فارجعْ ، فاخْلُفْنى فى أهلى وأهلك ، فأنت منى بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبىّ بعدى . والآثار بذلك متواترة صِحاح قد ذكرت كثيرا منها فى غير هذا الموضع .

وخرج عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول بعسكره ، فضربه على باب المدينة أيضا ، فكان عسكره ـ فيما زعموا ـ ليس بأقل العسكرين ، وهو يُظهر الغزاة مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فلما نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلَّف عبد الله بن أُبَى بن سلول فيمن تخلَّف من المنافقين وأهل الرَّيْب ، وكانوا نَيِّفًا وثمانين رجلا ، خلَّفهم سوء نياتهم ونفاقهم .

---

(١) زيادة من ابن هشام

(٢) استحملوه : طلبوا منه ما يحملهم عليه من الابل

(٣) هكذا فى الأصل وابن هشام ، وفى بعض المراجع : عمرو

(٤) الناضح : البعير يستقى عليه

(٥) يعتقبانه : يتبادلانه ويتناوبانه

وتخلَّف فى هذه (الغزاة) من صالحى المسلمين ثلاثة [1] رجال ، وهم : كعب بن مالك الشاعر من بنى سَلِمة ، ومُرَارة بن ربيعة - ويقال ابن الربيع - من بنى عمرو بن عوف ، وهلال ابن أُمية الواقفى . فافتقدهم رسول الله - صلى الله / عليه وسلم - بعد يوم أَو يومين ، فقيل له : تخلَّفوا . فعجب من ذلك ، وعزَّ عليه لأَنه كان يعرف إيمانهم وفضلهم .

١٣٤ ظ

ونهض صلى الله عليه وسلم ، فخَطر [2] على حجر ثمود [3] ، فأَمر أَصحابه أن لا يتوضئوا من بئر ثمود ، ولا يَعْجنوا خُبْزًا بمائها ، ولا يستعملوا شيئا منه ، فقيل له : إن قوما عجنوا منه ، فأَمر بالعجين ، فطُرح للإِبل علَفًا . وأَمرهم أَن لا يستعملوا ماءَ بئر الناقة فى كل ما يحتاجون إليه . وأَمر أَصحابه - عليه السلام - بأَن لا يدخلوا بيوت ثمود ، وقال : لا تدخلوا [بيوت] [4] هؤلاءِ المعذَّبين إلا أَن تكونوا باكين [خشية] أَن يصيبكم مثل ما أَصابهم . ونهاهم أَن يخرج أَحدهم منفردا ، فخرج رجلان من بنى ساعدة ، كل واحد منهما منفرد عن صاحبه ، أَحدهما يريد الغائط ، فخُنق ، فأُخبر النبى عليه السلام ، فدعا له ، فشُفى . والاخر خرج فى طلب بعير له فأَخذته الريح ورمته فى جبل طيِّءٍ ، فردَّته طيء بعد ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعطِش الناس فى تلك الغزاة عطشا شديدا ، فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ربَّه ، فأَرسل [5] عليهم سحابة ارتوِوا منها ، وروَوْا [6] بها إبلهم ، وأَخذوا حاجتهم [من الماءِ] .

وأَضلَّ - صلى الله عليه وسلم - ناقته ، وقال منْ فى قلبه نفاق : محمدٌ يدَّعى أَن خبر [7] السماءِ يأْتيه [و] لا يدرى أَين [8] ناقته . فنزل الوحى بما قال هذا القائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم . / فدَعا أَصحابه ، فأَخبرهم بقول القائل ، وأَخبرهم أَن الله - عزَّ وَجَلَّ - قد عرَّفه بموضع ناقته وأَنها فى موضع كذا قد تعلَّق خطامها بشجرة ، فابتدروا المكان الذى وصف عليه

١٣٥ و

---

(١) فى ابن هشام ومصادر أخرى أنهم كانوا اربعة بزيادة أبى خيثمة غير انها تعود فتذكر مسارعته الى الرسول وانتظامه فى سلك الجيش

(٢) خطر : مر وسار

(٣) حجر ثمود : هى المعروفة الآن باسم مدائن صالح

(٤) زيادة من ابن هشام وغيره

(٥) فى الاصل : فأنزل وقد اخترنا رواية ابن هشام .

(٦) فى الأصل ، وردوا بهم وابلهم

(٧) فى الأصل : على ان

(٨) هكذا فى ابن هشام وغيره وفى الأصل : حيث

السلام ، فوجدوها هنالك . وقيل إن قائل ذلك القول زَيْد بن اللُّصَيْت القَيْنُقَاعى وكان منافقا ، وقيل إنه تاب بعد ذلك ، وقيل لم يَتُبْ ، والله أَعلم .

وفى هذه الغَزاة ذكروا أَن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، رأَى أَبا ذَرٍّ يمشى فى ناحية العسكر وحده ، فقال : يرحم الله أَبا ذَرٍّ يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويُبْعَثُ وحده . فكان ، كما قال صلى الله عليه وسلم : مات بالرَّبَذَةِ (١) وحده ، وأُخْرِج بعد أَن كُفِّن إلى الطريق يُلْتَمَسُ منْ يُصلِّى عليه ، فصادف إقبال ابن مسعود من الكوفة فصلَّى عليه . وكان ممن سمع هذا الحديث ، فَحدَّث به يومئذ أيضا .

ونزل القرآن من سورة براءة وسورة الأَحزاب بفضيحة المنافقين الذين كانوا يخذِّلون المسلمين ، وتاب من أُولئك مخشِّن (٢) بن حُمَيِّر ، ودَعَا الله أَن يكفِّرعنه بشهادة يخفى بها مكانه ، فقُتل يوم (٣) اليمامة ولم يُوجَدْ له أَثر .

[بعث (٤) خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر دُوْمَة (٥)]

وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك صاحب دومة ، وقال له : يا خالد إنك ستجده يصيد البقر . فأَتاه خالد ليلا (٦) / وقرب من حصنه ، وأَرسل الله - تعالى - بقر الوحش فأَتتْ تحكُّ حائط القَصْر بقرونها ، فنَشِط أُكَيْدر ليصيدها . وخرج فى الليل ، فأَخذه خالد ، وبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعَفَا عنه النبى عليه السلام ، وردَّه إلى حصنه بعد أَن صالحه على الجِزْية . وصالح يُحنَّة بن رُؤْبة صاحب أَيْلة (٧) على الجزية .

١٣ ظ

(١) الربذة : موضع قرب المدينة

(٢) قال ابن هشام : ويقال مخشى .

(٣) هو أشهر أيام الردة وفيه قتل مسيلمة الكذاب

(٤) انظر فى هذا البعث ابن هشام ٤/١٦٩ وابن سيد الناس ٢/٢٢٠ والنويرى ١٧/٣٥٦

(٥) دومة : هى دومة الجندل ، قرية كانت بشمالى نجد ، وقد مر بنا التعريف بها فى غزوة دومة الجندل .

(٦) قال ابن سعد انه كان فى اربعمائة وعشرين فارسا وانه صالح أكيدر دومة على الفى بعير وثمانمائة شاة وأربعمائة درع وأربعمائة رمح .

(٧) أيلة : كانت ثغرا على خليج العقبة أو بقربه . وجاء فى صلح الرسول له وللاكيدر أنه صالحهما أيضا على تبوك وتيماء بحيث تدفعان الجزية .

[العودة من تبوك]

وأقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بتبوك بضع عشرة ليلة ، ولم يتجاوزها[١] ، ثم انصرف . وكان فى طريقه ماء قليل ، فنهَى أن يسبق أحد إلى الماءِ ، فسبق إليه رجلان ، فاستنفدا مافيه ، فسبَّهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال ما شاءَ الله أن يقول . ثم وضع يده فى الماءِ ودعا الله فيه بالبركة ، فجاشت العين بماءٍ عظيم كفَى الجيش كله . وأخبر – عليه السلام – أن ذلك الموضع سَيُمْلأُ جِنانا ، (فكان كذلك) . وبنى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين تبوك والمدينة مساجد كثيرة نحو ستة عشر مسجدا ، أولها مسجد بناه بتبوك وآخرها بذى خُشُبٍ[٢] .

مسجد الضِّرار

وكان أهل مسجد الضِّرار قد أتوه وهو متجهِّز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذى العَيْلة[٣] والحاجة والليلة المطيرة ، وإنا نحبّ أن تأْتينا فتصلى فيه ، فقال لهم : أنا فى شغل السفر ، وإذا انصرفتُ فسيكون[٤] . فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر فى منصرفه بهدم مسجد الضِّرار : / أمر بذلك مالك بن الدُّخْشم ومعن بن عدى وعاصم ابن عدى أخاه وأمر بإحراقه ، وقال لهم : اخرجوا إلى هذا المسجد الظالِم أهله ، فاهدموه وأحرقوه ، فخرجوا مسرعين . وأخرج مالك بن الدُّخْشم من منزله شعلة نار . ونهضوا فأَحرقوا المسجد وهدموه وكان الذين بنوه : خِذام بن خالد من بنى عُبيْد بن زيد أحد بنى عمرو بن عوف ومن داره أُخْرج مسجد الضِّرار ، ومعتِّب بن قُشَيْر من بنى ضُبَيْعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأَزْعر من بنى ضبيعة[٥] ابن زيد ، وعبَّاد بن حُنَيْف أخو سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر وابناه : مجمِّع وزيد ابنا جارية ، ونَبْتل بن الحارث من بنى ضُبَيْعة ، وبَحْزَج وهو من بنى

١٣٦

(١) فى ابن سعد : ان الرسول أقام على تبوك عشرين ليلة

(٢) ذو خشب : على مرحلة من المدينة .

(٣) العيلة : الفقر ، وفى ابن هشام : العلة

(٤) فسيكون : لم يصرح الرسول بما سيكون ، وكأنه انتوى هدم المسجد منذ سمع به ، لان من اتخذوه أرادوا به ستر غايتهم من التفرقة بين المسلمين

(٥) هكذا فى ابن هشام وغيره ، وفى الاصل : صعصعة

ضُبيْعة ، وبِجاد بن عثمان من بنى ضبيعة [ووديعة(1) بن ثابت] من بنى أمية بن زيد. وثعلبة ابن حاطب مذكور فيهم ، وفيه نظر ، لأنه قد شهد بدرا .

ومات عبد الله ذو البجاد[ين] المُزنى فى غزوة تبوك ، فتولَّى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر وعمر غَسْله ودَفْنه ، ونزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قبره ، وقال : اللهم إنى راضٍ عنه ، فارْضَ عنه .

[حديث[2] كعب بن مالك وصاحبيه المتخلفين]

وأما اختصار حديث كعب بن مالك وصاحبيه اللذين تخلَّفوا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ / فى غزوة تبوك لغير ريبة فى الدين ولا تهمة نفاق إلا ما كان من علم الله فى إظهار حالهم والزيادة فى فضلهم ، رويناه من طرق صحيحة لا أُحصيها كثرة عن ابن شهاب ، وخرَّجه المصنفون وأصحاب المسانيد . ذكره ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن أباه حدَّثه ، قال : سمعت أبى كعبَ بن مالك ، قال ، فذكر الحديث ، وفيه قال كعب ابن مالك :

١٣٩ ظ

فلما بلغنى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد توجه قافلا من تبوك ثاب إلىّ لُبّى وعلمت أنى قد فعلت ما لم يرض الله ورسوله فى تخلُّفى عنه . فقلت أكذبه ، وتذكرت ما يكون الكذب الذى أخرج به من ذلك ، فلم يتَّجه لى . فلما قيل إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أطل[3] قادما زاح[4] عنى الباطل ، وعلمت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق . فلما صبَّح[5] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة نزل بالمسجد ، فصلَّى ركعتين . ثم جلس فجاءَ

---

(1) زيادة من ابن هشام .
(2) انظر فى هذا الحديث ابن هشام ٤/١٧٥ وصحيح البخارى ٣/٦ وسنن ابى داود ١/٢٧٧ وراجع فى أسماء الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك المحبر لابن حبيب ص ٢٨٤ .
(3) أطل : أشرف وقرب .
(4) زاح : ذهب
(5) صبح المدينة : دخلها صباحا .

المتخلفون، فجعلوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فَقبِل منهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله. وجئتُ فسلَّمت عليه فتبسّم تبسُّمَ المغضب، وقال لى: ما خلَّفك؟ ألم أكن ابْتَعْت ظهرك[1]؟ فقلت: والله يا رسول الله لو جلست بين يدى غيرك لرجوت أن أُقيم عنده عذرى لأنى أُعطيتُ جَدلا[2] ولكنى / قد علمتُ أنى إن كَذَبتك اليوم أطلعك الله عليه[3] غدا، ففضحت نفسى. فوالله ماكان لى عذر فى التخلف عنك، وما كنت قط أقوى منى حين تخلفت عنك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما هذا فقد صدَقكم، فقُمْ حتى يقضى الله فيك، فقمت ومعى رجال من قومى: بنى سَلِمة يقولون: ما علمناك أتيتَ قط غير هذا الذنب، أفلا اعتذرت إليه فيسعك ما وسع المتخلفين؟ وكان يكفيك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هممت أن أنصرف إلى رسول الله فأُكذب نفسى ثم قلت: هل لقى مثل هذا أحدٌ غيرى؟ قالوا: [نعم][4] رجلان قالا مثل مقالك، وقيل لهما مثل ماقيل لك، قلت: منْ هما؟ قالوا: مُرَارة بن الربيع العمْرى وهلال بن أُمية الواقفى. فذكروا لى رجلين صالحين فيهما أُسْوة، فَصَمَتُّ حين ذكروهما لى. ونهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن كلامنا أيها الثلاثة خاصة[5]، فاجتنبنا الناسُ وتغيّروا لنا، حتى تنكرتْ لى نفسى والأرض التى أنا فيها. فأَما صاحباى فقعدا فى بيوتهما، وأما أنا فكنت أخرج، فأَشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق لا يكلِّمنى أحد، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُسلِّم عليه ولا أسمعه يرّ علىّ، فأقول: ليت شعرى هل ردَّ فى نفسه. وكنت / أُصلِّى قريبا منه، وأُسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلىَّ، فإذا التفتُّ نحوه أعرض عنى. حتى إذا طال ذلك علىّ من جَفْوة المسلمين مشيتُ حتى تسوَّرْت[6] جدار (حائط) أبى قتادة، وهو ابن عمى وأحبُّ الناس إلىَّ، فسلَّمت عليه، فوالله مازاد[7] علىّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة نشدتك الله

١٣٧

١٣٧

(١) الظهر: الدابة. وفى البخارى: الم تكن قد ابتعت ظهرك.
(٢) جدلا: فصاحة ولسنا وقوة حجة.
(٣) عليه: أى على الكذب
(٤) زيادة من ابن هشام وصحيح البخارى.
(٥) خاصة: أى من المتخلفين.
(٦) تسورت: علوت
(٧) فى صحيح البخارى: مارد.

هل تعلم أنى أحبُّ الله ورسوله ؟ فسكت ، فناشدته ثانية ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناى - فعدت فوثبت [فتسوَّرت][1] الجدار . وخرجت ؛ ثم غدوت إلى السوق فإذا رجل يسأل عنى من نَبط[2] الشام القادمين بالطعام إلى المدينة ، يقول : من يدلُّ على كعب بن مالك ، فجعل الناس يشيرون له إلىَّ ، فجاءنى ، فدفع إلىّ كتابا من ملِك غَسَّان ، فإذا فيه : «أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك اللهُ بدار هَوان ، فالحقْ بنا نُواسِك » . فقلت حين قرأْته : وهذا من البلاءِ أيضا:أن يطمع فىَّ رجل من أهل الشِّرك ، فعمدت إلى تنُّور[3] ، فسجَرْت[4] فيه الكتاب . وأقمت حالى حتى إذا مضت أربعون ليلة إذا رسولُ رسولِ الله أتانى ، فقال لى : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يأْمرك أن تعتزل امرأتك ، فقلت : أُطَلِّقها أم ماذا ؟ قال : [لا][5] بل اعْتزِلْها ولا تَقْربها . وأرسل إلى صاحبىَّ بمثل ذلك ، فقلت لا مرأتى : الحقى بأهلك فكونى / فيهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاضٍ . وجاءت امرأة هلال بن أُمية رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أُمية شيخ كبير ضائع لا خادم له أفتكره أن أخدمه ؟ قال : لا ولكن لا يقربنَّك ، قالت : والله يا رسول الله ما به من حركة إلىّ ، وما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومى هذا حتى تخوَّفت على بصره . وقال لى بعض أهلى : لو استأْذنتَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى خدمة امرأتك فقد أذن لهلال بن أُمية ؟ فقلت : والله لا أفعل ، إنى لا أدرى ما يقول لى وأنا رجل شاب .

١٣ و

قال : فلبثنا فى ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين عن الكلام معنا . فلما صليت [الصبح][6] صبح خمسين ليلة وأنا قد ضاقت علىّ الأرض بما رَحُبَتْ[7] وضاقت علىّ نفسى ، فأنا كذلك إذ سمعت صوت صارخ قد وافى

(١) هكذا فى ابن هشام والبخارى

(٢) واضح ما يدل عليه هذا الخبر من ان أنباط فلسطين والأردن كانوا يسهمون فى التجارة حتى ظهور الاسلام،وكان الفساسنة وغيرهم يتخذونهم جواسيس لهم .

(٣) تنور : موقد نار

(٤) سجرته : أحرقته .

(٥) زيادة من ابن هشام والبخارى للسياق

(٦) زيادة من ابن هشام ، وفى البخارى: فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة

(٧) رحبت : اتسعت

على ظهر سلْع [١] [يقول [٢] بأعلى صوته] : يا كعب بن مالك أَبْشِرْ ، فخررتُ لله ساجدا وعلمت أن قد جاءَ الفرج ، وآذنَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتوبة الله علينا حين صَلّى الفجر ـ فذهب الناس يبشّروننا . وركض رجل إلىّ فرسا وسعى ساعٍ مِنْ أَسْلم حتى وافى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس .

فلما جاءَنى الذى سمعت صوته يبشّرنى نزعت ثوبىّ فكسوتهما إياه ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين / فلبستهما ثم انطلقت أتيمَّم [٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ١٣٨ وتلقانى الناس يبشّروننى بالتوبة ، ويقولون : لِتَهْنِك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالس ، حوله الناس . فقام إلىّ طلحة بن عبيد الله ، فحيّانى وهنّأنى ، ووالله ما قام إلىّ رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة . قال : فلما سلمت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال [لى] [٤] ووجهه يبرق من السرور : أَبْشِرْ بخيرِ يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أمك ، قلت : أَمِنْ عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله . قال : وكان رسول الله إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتى إلى الله أن أَنْخَلِعَ من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَمْسِكْ عليك بعض مالك فهو خير لك ، قلتُ إنى ممسكٌ سهمى الذى بِخَيْبَر . وقلت : يا رسول الله إن الله قد أنجانى بالصدق وإن من توبتى أن لا أُحدِّث إلا صدقا ما بقيت . وكان ما نزل فى شأنى من القرآن قوله تعالى جلّ ذكره : (وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا [٥] حتى إذا ضاقتْ عليهم الأَرضُ بما رحُبَتْ) إلى قوله : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

---

(١) سلع : جبل بالمدينة

(٢) زيادة من ابن هشام

(٣) اتيمم : اقصد .

(٤) زيادة من ابن هشام

(٥) وفى تتمة حديث كعب بن مالك تعليقا على قوله تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) : وليس الذى ذكر الله من تخليفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه ايانا وارجائه أمرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه . انظر ابن هشام ٤/١٨١

إسلام[1] ثقيف

١٢ و / ولما كان فى رمضان سنة تسع من الهجرة منصرفَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من تبوك أتاه وفد ثقيف . وقد كان عُرْوة بن مسعود الثقفى لحق برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حين انصرافه من حِصار الطائف ، فأدركه قبل أن يدخل المدينة ، فأسلم . وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، وكان سيد قومه ثقيف ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنهم قاتلوك . وعرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ امتناعهم[2] ونخوتهم ، فقال : يا رسول الله إنى أحَبُّ إليهم من أبكارهم[3] . ووثق بمكانه منهم فانصرف إليهم ودعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنه قد أسلم . فرموه بالنَّبْل ، فأصابه سَهْم ، فقتله . فزعمت بنو مالك أنه قتله رجل منهم ، فقيل له : ما ترى فى دمك ؟ فقال : كرامةٌ أكرمنى الله بها ، وشهادةٌ ساقها إلىّ ، فليس فىَّ إلا ما فى الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يدخل[4] إليكم . وأوصى أن يدفن معهم . فهو مدفون ـ خارج الطائف ـ مع الشهداء . وذكروا أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : مثله فى قومه مثل صاحب ياسين[5] فى قومه .

ثم إن ثقيفا رأوا أن لا طاقة لهم بماهم فيه من خلاف جميع العرب ومغاورتهم لهم والتضييق عليهم ، فاجتمعوا على أن يرسلوا من أنفسهم رسولا ، كما أرسلوا عروة ، فكلَّموا ١٢ ظ / عَبْد ياليل بن عمرو بن عمير ، وكان فى سِنِّ عروة بن مسعود ، فى ذلك ، فأبَى أن يفعل ، وخشى أن يُصْنع به ما صُنع بعروة بن مسعود ، وقال : لست فاعلا إلا أن ترسلوا معى رجالا . فأجمعوا على أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك فيكونوا ستة . فبعثوا مع عبد ياليل : الحكم بن عمرو بن وهب بن معتِّب ، وشُرَحْبِيل بن غيلان بن سلمة من بنى معتب[6] ، ومن بنى

(١) انظر فى اسلام ثقيف ابن هشام ١٨٢/٤ وابن سعد ج١ق٢ص٥٢ وتاريخ الطبرى ٩٦/٣ وابن حزم ص ٢٥٥ وابن سيد الناس ٢٢٨/٢ وابن كثير ٢٩/٥

(٢) فى ابن هشام : نخوة الامتناع الذى كان منهم

(٣) قال ابن هشام : ويقال من أبصارهم

(٤) فى ابن هشام : قبل أن يرتحل عنكم

(٥) ياسين ، اى سورة ياسين

(٦) هما مثل عبد ياليل من الاحلاف

مالك: عثمان بن أبي العاصي بن بشر بن عبد دُهمان، وأوس بن عوف أخا بنى سالم وقد قيل إنه قاتل عروة، ونُمَيْر بن خَرَشة بن ربيعة.

فخرجوا حتى قدموا المدينة، فأول من رآهم بِقَناة[1] المغيرة[2] بن شعبة، وكان يرعى رِكاب[3] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [فى][4] نوبته، وكانت رِعْيَتُهَا نُوَبًا عليهم، فترك عندهم الرِّكاب، ونهض مسرعا، ليبشِّر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقدومهم، فلقى أبا بكر الصِّدِّيق، فاستخبره عن شأنه، فأخبره بقدوم وفد قومه: ثقيف، للإسلام. فأقسم عليه أبو بكر أن يؤثره بتبشير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بذلك، فأجابه المغيرة إلى ذلك. فكان أبو بكر هو الذى بشر النبىّ – صلى الله عليه وسلم – بذلك.

ثم رجع إليهم المغيرة. ورجع معهم، وأخبرهم كيف يحيُّون رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فلم يفعلوا وحيَّوه بتحية الجاهلية. فضرب لهم – رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قُبَّةً فى ناحية المسجد / وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يختلف بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذى كتب الكتاب لهم، وكان الطعام يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يأكلون حتى يأكل منه خالد بن سعيد. وسألوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل أن يكتب كتابهم أن يترك لهم الطاغية[5] وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله إلا هدمها. وسألوه أن لا يهدموا[6] أوثانهم ولا يكسروها بأيديهم، فأعفاهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من كسرها بأيديهم، وأبى أن يدع لهم وَثَنًا. وقالوا إنما أردنا أن نَسْلَمَ بتركها من سفهائنا ونسائنا، وخِفْنا أن نروِّع قومنا بهدمها حتى ندخلهم الإسلام وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة، فقال لهم: لا خير فى دين لا صلاة فيه.

فلما كتب لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كتابهم أمَّر عليهم عثمان بن أبي العاصى،

١٤٠

(١) قناة: واد بالمدينة.
(٢) ثقفى من أبناء عمومتهم وكان قد اسلم وحسن اسلامه.
(٣) الركاب: الابل والخيل
(٤) زيادة من ابن هشام
(٥) الطاغية والطاغوت: الصنم الكبير وكانوا قد بنوا للات كعبة كبيرة يحجون اليها.
(٦) فى الأصل: يهدم.

وكان أحدثهم سِنًّا ، ورآه أحرصَهم على تعلم القرآن وشرائع الإسلام . وأمره أن يُصَلِّي بهم وأن يَقْدُرهم بأضعفهم ولايطوِّل عليهم (١) . وأمره أن يتخذ مؤذنا لايأْخذ على أذانه أجرا . وبعث معهم أَبا سفيان بن حَرْب والمغيرة بن شُعْبة لهدم الأَوثان والطاغية وغيرها ، فأَقام أبو سفيان فى ماله (٢) بذى الهزم (٣) ، وقال للمغيرة : ادخل أنت على / قومك . فدخل المغيرة ، وشرع (٤) فى هدم الطاغية وهى اللات . وقام (٥) دونه قومُه بنو معتِّب خشية أن يُرْمى كما رمى عروة بن مسعود ، وخرج نساءُ ثقيف يبكين اللات حُسَّرًا (٦) وينُحْن عليها . فهدمها المغيرة وأَخذ مالها وحليها .

١٤ ظ

وقد كان أَبو مُلَيْح بن عروة [بن (٧) مسعود] وقارب بن الأَسود قدما على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل وفد ثقيف حين (٨) قُتل عروة بن مسعود يريدان فراق ثقيف وأَن لايجامعاهم على شىء أَبدا ، فأَسلما . وقال لهما : تولَّيا مَنْ شئتما ، فقالا : نتولَّى الله ورسوله . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخالكما أَبا سفيان بن حرب ، [فقالا (٩) : وخالنا أَبا سفيان بن حرب] .

فلما أَسلم أَهل الطائف ووجَّه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أَبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأَل أَبو مُلَيْح بن عروة بن مسعود [رسولَ الله صلى الله عليه وسلم] أَن يقضى دين [أَبيه] عروة من مال الطاغية . وسأَل قارب بن الأَسود بن مسعود مثل ذلك . والأَسود وعروة أَخوان لأَب وأُم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للمغيرة وأَبى سفيان : اقضِيا دين عروة من مال الطاغية. فقال قارب يا رسول الله [و] دين الأَسود. فقال رسول الله صلى الله عليه

(١) أى لايطول الصلاة
(٢) أى بالطائف
(٣) هكذا فى الاصل وفى ابن هشام : الهدم ، وفى مصادر أخرى : الهرم بالراء .
(٤) هكذا فى ابن هشام وغيره ، وفى الاصل : فى شرع ، وهو تحريف .
(٥) فى الأصل : وآقام
(٦) حسرا : مكشوفات الرءوس .
(٧) زيادة لتوضيح السياق .
(٨) فى الاصل : حتى
(٩) زيادة من ابن هشام وغيره

وسلم : إن الأسود مات مشركا . فقال قارب : يا رسول الله لكن تَصِلُ مسلما ذا قرابة يعنى نفسه إنما الدَّيْنُ علىّ وأنا الذى أُطْلَبُ به . فأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقضاء دين الأسود بن مسعود من مال الطاغية . فقضَى أبو سفيان والمغيرة دَيْن الأسودِ / وعروة ابنى مسعود من مال الطاغية .

١٤١ و

حِجَّة(١) أَبي بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه سنة تسع

وأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبا بكر بالخروج إلى الحج وإقامته للناس ، فخرج أبو بكر لذلك (٢) ، ونزل صدر (٣) سورَة براءَة بعده . فقيل له : يا رسول الله لو بعثتَ بها إلى أَبي بكر يقرؤها على الناس فى الموسم ؟ فقال : إنه لا يؤدِّيها عنى إلا رجلٌ من أَهل بيتى . ثم دعا عليًّا ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءَة ، وأَذِّن بها فى الناس يوم النَّحْر إذا اجتمعوا بمِنًى . وأمره بما ينادى (٤) به فى الموسم – فخرج على ناقة رسول الله –صَلَّى الله عليه وسلم– العَضْباء ، حتى أَدرك أَبا بكر بالطريق ، فقال له أَبو بكر لما رآه : أَميرا (٥) أَو مأْمورا ، قال : بل مأْمورا .

ثم نهضا ، فأَقام أَبو بكر للناس الحَجَّ سنة تسع على منازلهم التى كانوا عليها فى الجاهلية . وقد قيل إن حجة أَبى بكر وقعتْ حينئذ فى ذى القِعْدة على ما كانوا عليه من النسىء فى الجاهلية . وروى معمر ، عن أَبى نُجيْح ، عن مجاهد فى قوله [تعالى] :(إنما النسىء زيادةٌ فى الكفر) قال : كانوا يحجون فى شهر (ذى القِعْدَة) عامين ، ثم حَجُّوا فى ذى الحِجَّة عامين ، ثم حَجُّوا فى المحرَّم عامين ، ثم حجوا فى صفر عامين ، حتى وافتْ حجة أَبى بكر الأَخيرة فى ذى القعدة قبل حجة

---

(١) انظر فى حجة ابى بكر بالناس سنة تسع ابن هشام ١٨٨/٤ وابن سعد ج ٢ق ١ص١٢١ وتاريخ الطبرى ١٢٢/٣ والبخارى ١٦٧/٥ وابن حزم ص ٢٥٨ وابن سيد الناس ٢٣١/٢ وابن كثير ٣٦/٥

(٢) قال ابن سعد انه خرج من المدينة فى ثلاثمائة رجل وبعث معه الرسول بعشرين بدنة وساق ابو بكر خمس بدنات

(٣) وفيه براءة من عهد كل مشرك لم يسلم أن يدخل المسجد الحرام بعد هذا العام التاسع للهجرة وبيان لمدة مضروبة هى أربعة أشهر حتى يرجع كل قوم الى مأمنهم أو بلادهم ، ثم لايقبل منهم بعد ذلك الا الاسلام طوعا أو كرها . وسرعان ما دخل فى دين الله من كان لايزال مشركا. وسيوضح ابن عبد البر ذلك عما قليل

(٤) فى ابن هشام ان عليا كان ينادى فى الناس : لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . وقد كره الرسول ان يحج فى هذا العام ، ولايزال مشركون عراة يشركون المسلمين فى حجهم ، وسيذكر ابن عبد البر ذلك .

(٥) يريد أبو بكر : هل استعمل الرسول عليا أميرا على الحج أو أنه جاء لغرض آخر ، وقد وقفه على ما جاء له من تلاوة صدر سورة براءةعلى الناس فى الحج .

النبي – صلى الله عليه وسلم – . ثم حَجَّ النبي – صلى الله عايه وسلم – من قابل [فى] / ذى الحجة ، فذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» . ١٤١ ظ

قال معمر ، قال الزهرى ، عن سعيد بن المسيب :

لما قفل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من حُنَيْن اعتمر من الجِعْرانة وأَمَّر أبا بكر على تلك الحِجَّة .

وذكر ابن جريج عن مجاهد ، قال :

لما انصرف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من تَبوك أَراد الحج ثم قال : إنه يحضر البيت عراةٌ مشركون يطوفون بالبيت ولا أُحبُّ أن أَحجَّ حتى لايكون ذلك . فأَرسل أبا بكر ثم أَردفه عليا .

قال أبو عمر :

بعث عليا يَنْبِذُ إلى كل ذى عهد عهده ، ويعهد إليهم أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان مع سائر ما أَمره أن ينادى به فى كل موطن من مواطن الحج . فأَقام الحج ذلك العام سنة تسع أَبو بكر . ثم حَج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من قابل حِجته التى لم يحجّ من المدينة غيرها . فوقعت حِجةُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى العام المقبل فى ذى الحِجة ، فقال : «إن الزمان قد استدار – الحديث» . وثبَّت الحجَّ فى ذى الحجة إلى يوم القيامة . فلما كان يوم النَّحْر فى حجة أَبى بكر قام علىٌّ فأَذَّن فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فقال : أَيها الناس إنه لا يدخل الجنة كافر . رُوِىَ فى حديثه هذا : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يحجٌّ بعد هذا العام مشرك ولا يطوف / بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله عهد فهو إلى مدَّته . وأَجَّل الناس أَربعة أَشهر من يوم أُذِّن فيهم ليرجع كل قوم إلى مأْمنهم وبلادهم ثم لا عَهْد لمشرك ولا ذِمَّةَ لأَحد كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يحج بعد ذلك العام مشركٌ ولم يطف بالبيت عُرْيان . ١٤٢ و

حدثنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال ؛ حدثنا أحمد بن زهير ابن حرب ، قال : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدثنا عباد بن العوام ، قال : حدثنا سفيان ابن حُصَيْن ، قال : حدثنى أبو بشر ، عن مجاهد :

أن أبا بكر حجَّ فى ذى القعدة .

قال[1] : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدثنا عباد بن عباد[2] ، قال : قال سفيان بن حُصَين[3] (قال) وأخبرنى إياس بن معاوية ، عن عكرمة بن خالد المخزومى :

أن أبا بكر حَجَّ فى ذى القِعْدة ، فلما كان العام المقبل حجَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذى الحجة ، فخطب الناس . وذكر الحديث .

حدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا بكر بن حماد ، وحدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا مسدَّد ، قال : حدثنا إسماعيل بن عُلْبة ، قال : حدثنا أيوب ، عن محمد ، عن أبى بكرة . أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطب فى حِجته ، فقال : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات / والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حُرُمٌ : ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مفرد الذى بين جمادى وشعبان » .

١٤٢ ظ

(١) لعله ابن حرب فى سند الحديث السالف .

(٢) هكذا فى الأصل ، ولعله العوام كما فى السند السابق

(٣) فى الأصل ، حسين ولعله تحريف

بـــاب

وفود[1] العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

من بلادها للدخول فى الإسلام

وذلك فى سنة تسع وسنة عشر . وحجته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سنة عشر :

لما فتح الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على رسوله ـ عليه السلام ـ مكة ، وأظهره (٢) يوم حُنَيْن ، وانصرف من تَبوك ، وأَسلمتْ ثَقيف ، أَقبلت إليه وفود العرب من كل وجه يدخلون فى دين الله أفواجا . وأكثرهم كان ينتظر ما يكون من قريش لأنهم كانوا أئمةَ الناس من أَجل البيت والحَرم وأنهم صريحُ ولدِ إسماعيل ـ صلى الله عليه وسلم ـ . فلما فتح الله مكة عليه أهلَّ الناس إليه . وكل من قدم عليه (قدم) راغبا فى الإسلام إلا عامر بن الطُّفَيْل وأَرْبَد بن قيس فى وفد بنى عامر ، وإلا مُسَيْلمة فى وفد بنى حَنيفة . فأَما عامر بن الطُّفَيْل بن مالك بن جعفر بن كلاب وأربد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جعفر بن كلاب فإنهما قد ما عليه فى وفد بنى عامر بن صعْصعة وقد أَضمر [عامر (٣) بن الطفيل] الفَتْك برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والغَدْر به . وأربد بن قيس هو أخو لبيد لأُمه ، [و] كان عامر بن الطُّفَيْل قد قال له : إنى شاغله عنك بالكلام ، فإذا فعلتُ ذلك فَاعْلُه بالسيف (٤) . ثم جعل يسأَله سؤال الأَحمق ورسولُ الله ـ صلى الله / عليه وسلم ـ يقول : لا أَجيبك فى شىء مما سأَلت عنه حتى تؤمن بالله ورسوله . وأَنزل الله على أَرْبد البَهْت والرُّعْبَ فلم يرفع يدا . فلما يئس منه عامر قال : يا محمد والله لأَملأَنَّها عليك خيْلا ورجالا . فلما ولَّيا قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اللهمّ اكْفِنِى عامر بن الطُّفَيْل وأَرْبَدَ بن قيس .

١٤٣ و

(١) انظر فى تلك الوفود ابن هشام ٢٠٥/٤ وما بعدها وابن سعد جاق٢ص٣٨ ومابعدها والطبرى ١١٥/٣ وما بعدها وابن حزم ص٢٥٩ وابن سيد الناس ٢٣٢/٢ وما بعدها وابن كثير ٤٠/٥ وما بعدها والجزء الثامن عشر من نهاية الارب .

(٢) أظهره : نصره .

(٣) زيادة من ابن هشام يقتضيها السياق

(٤) اعله بالسيف : اقتله به

وقال عامر لأَرْبد : ما منعك أن تفعل ما تعاقدنا عليه ، والله لا أخافك بعدها ، وما كنت أخاف غيرك . وخرجا جميعا فى وفدهم راجعين إلى بلادهم ، فلما كانا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطُّفَيْل الطاعون فى عنقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سَلول ، فجعل يقول : أغُدَّةً [1] كَغُدّة البَكْر [2] أو غُدَّة البعير ، ومَوْتًا فى بيت سلولية [3] . ووصل أربد إلى بلده ، فقال له قومه : ما وراءك ؟ قال : والله لقد دعانى إلى عبادة شئ لو أنه عندى اليوم لرميته بالنَّبْل حتى أقتله . فلم يلبث بعد قوله هذا إلا يوما أو يومين ، وأنزل الله عليه صاعقة ، وكان على جمل قد ركبه فى حاجة ، فأحرقه الله – عزّ وجَلّ – هو وجَمله بالصاعقة .

وقدم عليه – صلى الله عليه وسلم – وفد بنى حَنيفة ، فيهم مسيلمة بن حبيب يُكْنَى أبا هرون ، وقيل بل هو مسيلمة بن ثُمامة يكنى أبا ثُمَامة . واختُلف فى دخوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرُوى أنه دخل مع قومه على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم يسترونه بالثياب / فكلَّمه [وسأله] [4] فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لو سألتنى هذا العَسِيب [5] – لعسيب كان معه من سَعَف النخل – ما أعطيتكه . وقد رُوِى أن بنى حنيفَة لما نزلوا بالمدينة خلّفوا مسيلمة فى رِحالهم وأنهم أسلموا وذكروا مكان مسيلمة ، وقالوا إنا قد خلفنا صاحبنا فى رِحالنا يحفظها لنا . فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم – بما سألوه ، وأمر له بمثل ما أمر لقومه ، وقال : أما إنه ليس بشرِّكم مكانا أى لِحفْظه ضَيْعة أصحابه . ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدَّ عدو الله مُسَيْلمة وادَّعى النبوة ، وقال : قد أشركنى الله فى أمره . واتبعه أكثر قومه ، وجعل لهم أسْجاعا يُضاهى [6] بها القرآن ، وأحلَّ لهم الخَمْر ، وأسقط عنهم الصلاة فمن سجعه قوله : « لقد أنعم الله على الحُبْلَى أخرج منها نَسَمَةً تسعى من بين صِفاق [7] وحَشَى »

١٤٣ ظ

---

(١) الغدة : داء يصيب الابل فتموت منه شبيه بالذبحة .
(٢) البكر : الفتى من الابل
(٣) يأسف انه لا يموت مقتولا فى ميادين الحروب وأنه يموت غريبا عن دياره .
(٤) زيادة من ابن هشام يقتضيها السياق
(٥) العسيب : جريدة النخل
(٦) يضاهى : يحاكى
(٧) الصفاق : مارق من البطن

ومثل هذا من سجعه ، لعنه الله . واتبعته بنو حنيفة إلا ثمامة بن أُثال الحنفى فإنه بقى على الإيمان بالله ورسوله ولم يرتدّ مع قومه .

وقدم (عليه) ــ صلى الله عليه وسلم وفد بنى تميم ، منهم عُطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدَس الدَّارِمىّ ، وقيس بن عاصم المِنْقَرِىّ ، وعمرو بن الأَهتم من بنى مِنْقر بن عبيد أيضا ، والزِّبْرِقان ابن بدر من بنى بَهْدلة ، ونُعَيم [١] بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، والحُتات بن / يزيد [٢] المجاشِعِى وهو الذى آخى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بينه وبين معاوية ، وقد ذكرنا خبره فى بابه من كتاب الصحابة [٣] . وهؤلاء وجوه وفد تميم ، وقدم معهم الأَقرع بن حابس الدَّارمى وعُيَيْنة بن حِصْن الفَزارى ، وقد كانا قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأَسلما ، وشهدا معه فتح مكة وحُنَيْنًا وحِصار الطائف ، ثم جاءَا مع وفد تميم . ونادوه من وراءِ الحُجُرات ، وخبرهم فى السِّيَرِ والتفسير[٤] . وأَسلموا ولم يظهر منهم بعد الإسلام إلا الخير والصلاح إلا أن عُيَيْنة كان أَعرابيا جافيا جِلْفا مجنونا أَحمق مطاعا فى قومه .

وقدم عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ضِمام بن ثعلبة وافد قومه بنى سعد بن بكر ، وأَسلم وحسن إسلامه ، ورجع إلى قومه ، فأَسلموا .

وقدم عليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ الجارود بن عمرو ، وقيل : ابن بشر ، العَبْدِىّ فى طائفة من قومه عبد القيس . وكان الجارود نَصْرانيا فأَسلم ومَنْ معه ، وسأَلوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أَن يَحْملهم [٥] ، فقال : والله ما عندى ما أَحملكم عليه . فقالوا إنَّا نَمُرُّ فنجد من ضوالِّ الإِبل فى طريقنا فنأْخذها ؟فقال لهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ضالة المؤمن حَرَقُ النار . وحَسُنَ إسلام عبد القيس . وكان الجارود فاضلا صليبا [٦] فى ذات الله . ولما ارتدَّت لعرب وارتد من ارتد من عبد قَيْس قام فى رهطه ، فأَعلن بالإِسلام / ودعا إليه ، وتبرَّأَ

١٤٤ و

١٤٤ ظ

(١) هكذا اسمه فى ابن هشام وغيره ، وفى الأصل :يزيد بن نعيم ، وهو خطأ من الناسخ

(٢) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب ، وفى الأصل : زيد

(٣) انظر الاستيعاب ص ١٥٣

(٤) والتفسير : أى كتب التفسير فيما علقت به على آى سورة الحجرات التى نزلت فيهم

(٥) ان يحملهم : أى ابلا يحملهم عليها لطول الشقة بين يثرب ومنازلهم على خليج العرب

(٦) صليبا : صلبا

ممن ارتدَّ من قومه ، وثبت هو ورهطه على الإسلام ، وقد كان قدم الأَشَجّ(١) العَصَرِىّ من عبد القيس فى وفد منهم قبل فتح مكة فأَسلموا . وقد كان رسول‌الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث العلاءَ بن الحَضْرَمِىّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن(٢) ساوَى العَبْدىّ ، فأَسلم وحسن إسلامه ، ثم هلك بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل رِدَّة أَهل البَحْرين ، والعلاءُ عنده أَمير لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على البحرين .

وقدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَفْدُ طيِّءٍ ، فيهم زَيْد الخَيْل وهو سيدهم ، فعَرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليهم الإسلام ، فأَسلموا . ورُوى أَن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ما وُصِفَ لى رجل من العرب إلا وجدته دون ماوُصف إلا زيد الخيل فإن وَصْفه لم يبلغ(٣) كل ما فيه . وسماه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زيد الخير .

وقدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدى بن حاتم الطائى فى قومه من طيئ ، وكان نصرانيا ، فمضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأَدخله [إلى بيته](٤) وتناول وسادة من أَدم(٥) حَشْوها لِيفٌ ، فطرحها له ، وقال له : اجْلِسْ عليها ، فقال : بل أَنت فاجْلِسْ عليها يا رسول الله فجلس رسول الله فى الأَرض وأَجلسه على الوسادة ، ثم لم يزل يكلمه ويعرض عليه ما فى دينه النصرانية بما أَحدثوه فيه من الشرك ، ويعرض عليه الإسلام / ويخبره أَنه دين سيبلغ مابلغ الليل والنهار وأَنه لايبقى عربى إلا دخل فيه طوعا أَو كرها ، فقبل عَدِىٌّ الإسلام ، وأَسلم وحَسُن إسلامه ، وتبعه قومه فأَسلموا وحَسُنَ إسلامهم .

١٤٥ و

وقدم عليه فَرْوة بن مُسَيْك الغُطَيفى ، وعِداده فى مراد ، مفارقا لملوك كِنْدة ومباعدًا لهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَسلم وحَسُن إسلامه . وأَمَّرَه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قومه(٦) . ولم يرتدّ فروة حين ارتدت العرب .

---

(١) الأشج العصرى : كان من سادة قومه عبد القيس واسمه المنذر بن عائذ .
(٢) المنذر بن ساوى : كان أمير البحرين حينئذ .
(٣) هكذا فى ابن هشام وغيره ، وفى الاصل : ولم يبلغ كل وصف به .
(٤) زيادة من ابن هشام وغيره .
(٥) ادم : جلد .
(٦) فى ابن هشام ٢٢٩/٤ : واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة .

وقدم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الأَشعث بن قيس فى وفد كِنْدة ، قال ابن شهاب فى ثمانين رجلا من كندة ، فأَسلم وأَسلموا ، وقالوا : يا رسول الله نحن بنو آكل[1] المُرار وأَنت من بنى[2] آكل المرار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، نحن من بنى النَّضْر بن كِنانة لا نقفو[3] أمنا / ولا نَنْتَفى من أَبينا . وتبسّم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من قولهم ، وقال لهم : ائتوا العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث فناسبوهما بهذا النسب ، وذلك أَن العباس وربيعة كانا تاجرين يضربان فى البلاد ، فكان إذا نزلا بقوم قالا : نحن بنو آكل المرار يتعزّزان بذلك . فكان الأَشعث يقول : والله لا أَسمع أَحدا يقول : إن قريشا بنو آكل المُرار إلا ضربته ثمانين . وآكل المُرار هو الحارث بن عمر وبن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث ابن معاوية بن كندىّ ، ويقال كندة . قال ابن هشام : والأَشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء .

145

وقدم على رسول – الله صلى الله عليه وسلم – صُرَد بن عبد الله الأَزديِ – فأَسلم وحَسُنَ إسلامه – فى وفد من الأَزْد . وأَمَّره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على من أَسلم من قومه ، وأَمره أَن يجاهد – حين[4] أَسلم – من يليه من أَهل الشرك من قبائل اليمن .

وقدم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كتابُ ملوك حمير ، مَقْدَمَه من تَبوك ، بدخولهم فى الإِسلام ، وإسلامِ هَمْدان ومَعافر وذى رُعَيْن ، فكتب لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كتابا محفوظا عند الرواة[5] . وبعث إليه زُرْعة ذو يزن بن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامه وإسلام قومه ومفارقتهم الشِّرْك ، فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أَيضا[6] .

---

(١) من ملوك امارة كندة فى شمالى الجزيرة ، وسيذكر ابن عبد البر اسمه ، وفيه خلاف ، والأرجح أنه حجر جد الحارث بن عمرو الذى سيذكره ، ويقال انه لقب بآكل المرار لأكله فى احدى غزواته مع جيشه شجرا يقال له المرار

(٢) يقول النسابون ان احدى جدات الرسول كانت من كندة وهى أم كلاب بن مرة ، والى ذلك يشير الاشعث ، وقيل بل هى جدة كلاب .

(٣) نقفو : نتبع ، أى فى النسب .

(٤) فى ابن هشام وبعض المصادر : بمن .

(٥) انظر فى ابن هشام ٤/٢٣٥ .

(٦) أى نفس الكتاب السالف .

١٤٦ و وبعث / فَرْوة بن عمرو بن النافرة الجُذامى ثم النُّفاثى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسولا بإسلامه وأَهْدَى له بَغْلَةً بيضاءَ . وكان فروة عاملا للروم على مَنْ يليهم من العرب بأَرض الشام ، فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أَخذوه فحبسوه فمات فى حبسهم وقد كان قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هُدْنة الحُدَيْبِيَة قبل خَيْبر رفاعةُ بن زيد الجذامى ثم الضُّبَيْبِي من بنى الضُّبَيْب ، فأَهدى له غلاما وأَسلم وحَسُن إسلامه .

وقال أَبو إسحق السُّبَيْعى وغيره : كانت هَمْدان قد قدم وفدهم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مُنْصَرفه من تبوك ، فآمنوا وأَسلموا ، وكتب[1] لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر ابن هشام خبرهم[2] ورَجزهم وشعرهم وما كتب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهم ، وذكر أَنهم قدموا فى الحِبرَات [3] والعمائم العَدَنيَّة . وفرح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقدومهم وإسلامهم .

وبعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خالد بن الوليد فى ربيع الآخر أَو جمادى الأُولى سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بِنَجْران يدعوهم إلى الإسلام ، فأَسلموا ودخلوا فيما دعاهم خالد إليه من الإسلام . فأَقام عندهم خالد يعلِّمهم كتاب الله وشريعة الإسلام . وكتب إلى رسول ١٤٦ ظ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما فتح الله عليه من أَهل نَجْران ومن / انضاف إليهم ، فأَجابه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن كتابه ، وأَمره بالقدوم عليه ، فقدم ومعه وفد بنى الحارث ابن كعب . فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث معهم عمرو بن حَزْم يُفَقِّههم فى الدين ويعلمهم السنة ، ومعالم الإسلام ، ويأْخذ منهم صَدقاتهم . وكتب له بذلك كتابا فيه[4] الصدقات والدِّيات وكثير من سنن الإسلام . ورجع وفد بنى الحارث بن كعب إلى قومهم فى بقية شوال أَو صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أَن رجعوا إلى قومهم إلا أَربعة أَشهر ، حتى توفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر ابن هشام ٤/٢٤٥
(٢) انظر ابن هشام ٤/٢٤٣ وما بعدها
(٣) الحبرات : برود يمنية حريرية
(٤) انظر هذا الكتاب فى ابن هشام ٤/٢٤١

[حِجَّةُ[1] الوَدَاع]

قال ابن إسحق :

فلما دخل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذو القعدة من سنة عشر تجهَّز للحج ، وأَمر الناس بالجهاز [له] [2] وخرج لخمس ليال بقين من ذى القعدة فيما حدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أَبيه [القاسم[3] بن محمد] عن عائشة :

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أَبا دُجانة السَّاعدى ، وقيل سِباع بن عُرْفُطة الغِفارى .

قال أَبوعمر [4] :

ما كان فى كتابنا هذا عن ابن إسحق فروايتنا فيه عن عبد الوارث بن سفيان ، عن قاسم ابن أَصبغ ، عن محمد بن عبد السلام الخشنى ، عن محمد بن البرق ، عن ابن هشام ، عن زياد البكَّائى ، عن محمد بن إسحق . وقراءَة منى أَيضا على عبد الله بن محمد بن يوسف ، عن ابن مفرّج ، عن ابن الأَعرابى ، عن العطاردى ، عن يونس بن بكير ، عن ابن / إسحق . 47 وقراءَة منى أَيضا على عبد الوارث بن سفيان ، عن قاسم [بن] أَصبغ ، عن عبيد بن عبد الواحد البزَّار ، عن [أَحمد بن][5] محمد بن أَيوب ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحق . وما كان فيه عن موسى بن عقبة فقرأْته على عبد الوارث بن سفيان وأَحمد بن محمد بن أَحمد ، عن قاسم ، عن مطرف بن عبد الرحمن بن قيس ، عن يعقوب [عن] ابن فُلَيْح ، عن موسى بن عقبة .

---

(1) انظر فى حجة الوداع ابن هشام ٢٤٨/٤ والواقدى ٤٣٢ وابن سعد ج٢ق١ص١٢٤ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٧٠/٨ والطبرى ١٤٨/٣ وابن حزم ص ٢٦٠ وابن سيد الناس ٢٧٢/٢ وابن كثير ١٠٩/٥ والنويرى ٣٧١/١٧

(2) زيادة من ابن هشام نقلا عن ابن اسحق

(3) زيادة من ابن هشام

(4) هذه الفقرة مقحمة على حجة الوداع ، وكأن ابن عبدالبر احس انه انهى حديثه عن المغازى ورأى أن يذكر طرق روايته لها عن ابن اسحــق وموسى بن عقبة ، وكتاباهما فى المغازى أساس ما بأيدى الناس منها . وهو يصرح هنا بأنه اعتمد على كتاب المغازى للواقدى ، وانه نقل اطرافا من كتاب ابن أبى خيثمة احمد بن زهير بن حرب فى السيرة والمغازى .

(5) زيادة من مقدمة كتاب الاستيعاب واسانيد روايته التى استقصاها فيه .

ولى فى ذلك روايات وأسانيد مذكورة فى صدر كتاب[١] الصحابة . وفى الفهرسة[٢] روايتنا لكتاب الواقدى وغيره تركنا ذلك ههنا خشية الإطالة بذكره . وفى كتاب أبى بكر بن أبى خيثمة – روايتى له عن عبد الوارث عن قاسم عنه – من ذلك أطراف ، والله المحمود على عونه وفضله كثيرا كما هو أهله .

قال الفقيه أبو عمر رضى الله عنه :

قال جماعة من أهل العلم بالسِّير والأثر أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يحج فى الإسلام إلا ثلاث حِجّات : اثنتين[٣] بمكة ، وواحدة – بعد فرض الحج عليه – من المدينة .

[حديث[٤] جابر فى حِجَّة الوداع]

وأحسنُ حديثٍ فى الحج وأتمُّهُ حديث جابر ، حدّثناه أحمد بن سعيد بن بشر وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن ، قالا : حدثنا محمد بن عبد الله بن أبى دُلَيْم ، قال : حدثنا محمد بن وضّاح ، قال : حدثنا محمد بن مسعود ، قال : حدثنا يحيي بن سعيد القَطَّان عن جعفر / ١ ظ ابن محمد ، قال : حدثنى أبى ، قال : أتينا جابر بن عبد الله ، وهو فى بنى سَلِمة ، فسألناه عن حِجَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدَّثنا :

أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مكث بالمدينة تسع سنين ، ثم أَذَّن[٥] فى الناس أن رسول الله حاجٌّ العامَ ، فنزل بالمدينة بَشَرٌ كثير ، كلهم يلتمس أن يَأْتمَّ برسول الله ويفعل

---

(١) انظر الاستيعاب ص٩ وما بعدها

(٢) الفهرسة أو المشيخة سجل كان يروى فيه علماء الاندلس وغيرهم رواياتهم الكتب عن شيوخهم ، مفيضين فى اسانيدها .

(٣) فى الأصل : اثنتان

(٤) ساق ابن عبد البر هذا الحديث بروايتين ، وثانيتهما تطابق رواية مسلم (انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٨/١٧٠) وكذلك رواية سنن أبى دواد فى ١/١٨٩ . وقد تكلم العلماء على مافيه من الفقه واكثروا وأفرد بعضهم له مصنفا خاصا ساق فيه ما تضمن من مسائل الشريعة .

(٥) أذن فى الناس : أعلمهم بذلك وأشاعة فيهم

ما يفعل . فخرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لخمس بقين من ذى القعدة وخرجنا معه ، حتى أتى ذا الحُلَيْفَة[(١)] . ونَفِسَتْ[(٢)] أسماءُ بنت عُمَيْس بمحمد بن أبى بكر ، فأرسلتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اغتسلى واسْتَثْفِرى[(٣)] بثوب ، ثم أهِلِّى[(٤)] . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا استوتْ به ناقته على البَيْداءِ أهلَّ بالتوحيد : لبَّيْكَ اللهم لبَّيْك ، لبَّيْك لاشريك لك لبَّيْك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك ، لاشريك لك . قال : ولبَّى الناس ، والناس يزيدون : ذا المعارج ونحوه من الكلام ، ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يسمع ولا يقول لهم شيئا . فنظرتُ مَدَّ [(٥)] بصرى بين يدى رسول الله ، من راكبٍ وماش ، ومن خلفه مثل ذلك ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن شماله مثل ذلك . قال جابر : ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بين أظهرنا ينزل عليه القرآن ، وهو يعلم تأويله ، وما عمل به من شىء عملنا . فخرجنا لاننوى إلا الحج حتى أتينا الكعبة [(٦)] ، فاستلم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الحجرَ الأسود ، ثم رَمَلَ [(٧)] ثلاثا / ومشى أربعا . حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلَّى خلفه ركعتين وقرأ : (واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مُصَلًّى) . قال جعفر : قال أبى : فقرأ فيهما [(٨)] بالتوحيد : (قل هو الله أحد) و (قل يا أيها الكافرون) . ثم استلم الحجر [الأسود] ثم خرج إلى الصَّفا فقال : نبدأُ بما بدأ الله به وقرأ : (إن الصَّفا والمروة من شعائر الله) . وَرَقِىَ على الصفا حتى

٤٨

---

(١) ذو الحليفة : ميقات أهل المدينة على بعد ستة أميال منها ، وفيه يحرمون بالحج أو العمرة أو بهما معا . واختلف العلماء هل قرن الرسول فى اهلاله (احرامه) الحج بالعمرة ، أو أهل بالحج وحده أو بالعمرة وحدها ثم جمع اليهـا الحج فى مكة ، والارجح انه قرنهما معا .

(٢) نفست : من النفاس ، اذ ولدت ابنها محمدا

(٣) استثفرى : احتجزى أثر النفاس والدم بقطعة من ثوب .

(٤) أهلى : أحرمى ، والاهلال : رفع الصوت بالتلبية .

(٥) مد بصرى : منتهى بصرى .

(٦) فى ذلك مايدل على أنه ينبغى للحاج ان يدخل مكة ويطوف طواف القدوم قبل الوقوف بعرفات .

(٧) رمل : هرول . ثلاثا : أى ثلاث مرات والهرولة والمشى جميعا من الحجر الأسـود الى الحجر بسكون الجيم أو الركن اليمـانى وهـو طواف القدوم ، وهو سبعة أشواط . وهو تحية البيت الحرام .

(٨) فيهما : أى فى الركعتين بأم القرآن ثم بالسورتين القصـيرتين التاليتين ، فى كل ركعة سورة .

إذا نظر إلى البيت كبَّر ثم قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير ، لا إله إلا الله [وحده] أنجز وعده ، وصدق عَبْده ، وغلب ـ أوقال هزم ـ الأَحزابَ وحده [ثم دعا][1] ثم رجع إلى هذا الكلام ، ثم دعا [2] ، ثم رجع إلى هذا الكلام . ثم نزل حتى إذا انصبَّت قدماه فى الوادى سعى[3] حتى صَعِدَ مشْيًا حتى أَتى المروةَ فرقى عليها . حتى إذا نظر إلى البيت قال عليها كما قال على الصفا . فلما كان السابع [4] بالمروة قال : يا أَيها الناس إنى لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لم أَسُق الْهَدْى [5] وجعلتُها عُمْرَةً ، فمن لم يكن معه هَدْىٌ فليحِلَّ ولْيَجْعَلْها عمرةً ، فحلَّ [6] الناس كلهم . وقال سُراقة بن جُعْشُم ، وهو فى أَسفل المروة : يا رسول الله أَلعامنا هذا أَم للأَبد ؟ فشبك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أَصابعه ، ثم قال : للأَبد بل لأَبد [الأَبد] ، ثلاث مرات ، وقال : دخلت العمرة / فى الحج إلى يوم القيامة . وقدم على رضى الله عنه من اليمن وقدم معه بهَدْيٍ ، وساق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معه هَدْيًا من المدينة ، فإذا فاطمة قد حَلَّتْ ولبستْ ثيابا صابغة واكتحلت ، فأَنكر ذلك عليها ، قالت : أَمرنى أَبى . قال علىٌّ بالكوفة[7] ، لم يذكره جابر : فانطلقت محرِّشا[8] أَستفتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الذى ذكرت فاطمة . قال : قلت إن فاطمة لبست ثيابا صابغة واكتحلت ، وقالت : أَمرنى أَبى ، قال : صدقتْ ، صدقتْ ، أَنا أَمرتها . قال جابر : فقال لعلى بِمَ أَهللتَ ؟ قال : قلت : اللهم إنى أُهِلُّ بما أَهَلَّ به رسولك ، قال عليه السلام : فإن معى [9] الهدى فلا تَحِلَّ بحال . وكان جماعة الهدى الذى أَتى به رسول الله ـ صلى الله

---

(١) زيادة من ابن سيد الناس وغيره يدل عليها المقام وقوله رجع هذا الكلام .
(٢) فى الأصل : عاد وهو تحريف من الناسخ
(٣) سعى : أى رمل وهرول • وهو السعى بين الصفا والمروة ، وهو ايضا سبعة أشواط .
(٤) السابع : أى السعى السابع .
(٥) الهدى : ما يقدمه الحاج من الأضاحى للذبح يوم النحر
(٦) واضح أن الرسول بعد الطواف والسعى فى اليوم الرابع من ذى الحجة أمر كل من لا هدى معه بأن يحل فلا يحرم عليه شيء ، وان يبقى كذلك الى يوم التروية ، يوم منى ، وهو اليوم الثامن من ذى الحجة فيهل حينئذ بالحج • وكل ذلك تخفيف على المسلمين •
(٧) أى حين خرج اليها بعد توليه الخلافة
(٨) محرشا : من التحريش وهو الاغراء بين القوم
(٩) يريد الرسول انه أشركه فى هديه فلا يجوز له ان يحل

عليه وسلم ـ من المدينة والذى أتى به علىٌّ مائةً . فنَحر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده ثلاثا وستين ، وأعطى عليا فنحر ما غَبر[1] ، وأشركه فى هَدْيه . ثم أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كل بَدَنة[2] ببَضْعة[3] فجُعلت فى قِدْر ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد نَحَرْت ههُنا ، ومِنًى كلها مَنْحَرٌ ، ووقف بِعَرَفة وقال : وقفتُ ههنا ، وعرفة كلها موقف . ثم أتى المُزْدَلِفةَ فقال : وقفت ههنا . ومزدلفة كلها موقف .

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنى محمد بن بكر ، قال : حدثنا سليمان بن الأشعث أبو داود ، قال : حدثنا / عبد الله بن محمد النُّفَيْلى وعثمان بن أبى شيبة وهشام بن عمار وسليمان بن عبد الرحمن ، وربما زاد بعضهم على بعض الكلمة ، قالوا : حدثنا حاتم بن إسماعيل : [و][4] حدثنا سعيد بن نصر ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا محمد بن وضاح ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، قال : حدثنا حاتم بن إسماعيل . وحدثنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا محمد بن سعيد الأصفهانى وهرون بن معروف ، قالا[5] : حدثنا حاتم بن إسماعيل . وبعضهم يزيد على بعض الكلمة والكلمتين والمعنى واحد . قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه ، قال :

١٤٩

دخلنا على جابر بن عبد الله ، وهو يومئذ قد ذهب بصره ، فسأل عن القوم حتى انتهى إلىّ ، فقلت : أنا محمد بن على بن حسين بن على ، وأنا يومئذ غلام شاب ، فرحَّب وسهّل[6] ، ودعا لى . فقالوا : جئنا نسألك فقال لى : سَلْ عما شئت يا ابن أخى ، فقلت : أخبرنى عن حِجّة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فعَقد تسعا ثم قال :

إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكث تسع سنين لم يَحُجّ ، ثم أَذّن فى الناس فى العاشرة أن رسول الله ـ صلى الله / عليه وسلم ـ حاجٌّ ، فقدم المدينة بَشَرٌ كثير كلهم

١٤٩ ظ

(١) غبر : بقى .
(٢) البدنة : الناقة المهداة للبيت للنحر
(٣) بضعة : قطعة من اللحم .
(٤) ساقطة من الاصل .
(٥) فى الاصل : قال .
(٦) أي قال : أهلا وسهلا ومرحبا .

يلتمس[١] أن يأْتمّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل بمثل عمله ، فخرجنا معه ، حتى أتينا ذا الحُلَيْفة ، فولدت أسماءُ بنت عُمَيْس محمد بن أبي بكر ، فأَرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصنع ؟ قال : اغتسلى واستَثْفِرى بثوب وَأَحْرِمِى . وصَلَّى رسول الله ، صلَّى الله عليه وسلم ، فى المسجد ، ثم ركب القَصْواءَ[٢] ، حتى إذا استوتْ به ناقته على البَيْداءِ نظرت إلى مَدِّ بصرى بين[٣] يديه من راكبٍ وماشٍ ، وعن يمينه[٤] ويساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ، ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بين أَظْهُرِنا وعليه ينزل القرآن وهو يعلم[٥] تأْويله ، فما عمل به من شىء عملناه[٦] . فأَهلَّ بالتوحيد[٧] : لبَّيْك اللهم لَبَّيْك ، لاشريك لك لَبَّيْك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . وأَهلَّ الناس بهذا الذى يهلُّون[به[٨]] فلم يردّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، [عليهم[٩]] شيئا منه ، ولزم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تلبيته . قال جابر : لسنا ننوى إلا الحجَّ ، لسنا نعرف العمرة ، حتى إذا أتينا البيت[١٠] معه استلم[١١] الركن فرَمَل ثلاثا ومشى أربعا ، ثم تقدم[١٢] إلى مقام إبراهيم ، فقرأ : (واتَّخِذُوا من مقام إبراهيم مُصَلًّى) فجعل المقام بينه وبين البيت . قال جعفر : فكان أبي يقول / – ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم – إنه كان يقرأ فى الركعتين[١٣] : (قل هو الله أحد) و (قل يا أيها الكافرون) . ثم رجع إلى الركن فاستلمه . ثم خرج من الباب

١٠ و

(١) فى الأصل : يلتمسون
(٢) القصواء : ناقته التى هاجر عليها فى بعض الروايات
(٣) هكذا فى مسلم وفى الأصل : من بين يديه
(٤) فى مسلم : وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك
(٥) فى مسلم : يعرف
(٦) فى مسلم : عملنا به
(٧) بالتوحيد : أى بالعبارات التالية
(٨) زيادة من مسلم
(٩) زيادة من مسلم
(١٠) البيت : الكعبة
(١١) استلم الركن مسح بيده عليه ، والمراد بالركن : الركن الذى به الحجر الأسود ، وربما أريد به الركن اليمانى الذى اليه منتهى الطواف
(١٢) فى مسلم : نفذ
(١٣) أى اللتين صلاهما بجوار المقام

إلى الصَّفا ، فلما دَنَا من الصَّفا قرأ : (إن الصَّفا والمَرْوَةَ من شعائر الله) نبدأُ بما بدأ الله به ؛ فَبَدَأَ بالصَّفا فَرَقِيَ عليه حتى رأى البيت ، فاستقبل القبلة ، ووحَّد الله وكبَّره ، وقال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عَبْده وهزم الأَحزابَ وحده . ثم دعا بين ذلك ، وقال مثل هذا ثلاث مرات . ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبَّتْ قدماه رَمَل فى بطن الوادى ، حتى إذا صَعِدَتا مشى حتى أتى المروة . ففعل على المروة كما فعل على الصَّفا ، حتى إذا كان فى آخر طواف على المروة قال : لو أنى استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لم أَسُقِ الهدى ولجعلتها عُمْرة ، فمن كان [منكم[1]] ليس معه هدى فليحلَّ[2] وليجْعلها عمرة ، فحلَّ الناس كلهم إلا النبي عليه السلام ومن كان معه هدى . فقال سراقة بن جُعْشُم : يا رسول الله أَلعامنا هذا أم للأَبد ؟ فشبَّك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بين أصابعه[3] ثم قال : دخلت / العُمْرة فى الحج ، مرتين ، لا بل لأَبد الأَبد[4] . قال : وقدم علىٌّ من اليمن بِبُدنٍ إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فوجد فاطمة ممن حَلَّ ، ولبست ثيابا صَبِيغًا ، واكتحلتْ . فأَنكر ذلك عليها ، فقالت : أبى أمرنى بهذا . فكان علىٌّ يقول بالعراق : فذهبت إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، محرِّشًا على فاطمَة ، للذى صنعت ، مستفتيا لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكرتْ عنه ، وأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها ، فقال : صدقتْ صدقتْ . ثم قال : ماذا قلتَ حين فَرَضْتَ[5] الحج ، قال : قلت : اللهم إنى أُهلُّ بما أَهلَّ به رسولك ، قال : فإن معى الهدْىَ فلا تَحِلَّ . قال : فكان جماعة الهَدْى الذى قدم به على من اليمن والذى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من المدينة مائة . قال : فحلَّ الناس كلهم وقَصَّروا إلا النبى عليه السلام ومن كان معه هَدْىٌ . فلما كان يوم التَّرْوِيَة[6] توجهوا إلى مِنًى ، فأَهلُّوا بالحج . وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلَّى بها[7]

١٥٠

(١) زيادة من مسلم

(٢) حل من احرامه يحل بكسر الحاء ، واحل : خرج .

(٣) فى مسلم : فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة فى الاخرى .

(٤) فى مسلم : بل لأبد أبد

(٥) فرضت الحج : نويت القيام بفريضته

(٦) هو اليوم الثامن من ذى الحجة ، وفيه يحرم من كان بمكة ، وواضح أنه احرم به من كانوا أحلوا

(٧) هكذا فى مسلم ، وفى الأصل : بنا

الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح[1] . ثم مكث قليلا ، حتى طلعت الشمس . وأمر بِقُبَّةٍ من شَعَرٍ تُضْرَبُ له بِنَمِرَةَ[2] . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم – ولا تشكُّ قريش إلا أنه واقف عند المَشْعر[3] الحرام ، كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية ، فأَجاز[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم / حتى أَتى عرفة ، فوجد القُبَّة قد ضُرِبَتْ له بِنَمِرَةَ ، فنزل بها ، حتى إذا زاغتِ[5] الشمسُ أمر بالقَصْوَاءِ ، فرُحِلَتْ[6] له . فأَتى بطن الوادى ، فخطب الناس[7] فقال : إن دماءَكم وأَموالكم حرام عليكم كحُرْمة يومكم هذا فى شهركم هذا [فى بلدكم[8] هذا] الا كلُّ شيءٍ من أَمر الجاهلية موضوع[9] تحت قدميّ ، ودِماءُ الجاهلية موضوعة ، وإن أَول دمٍ أَضعه من دمائنا دم ربيعة[10] بن الحارث – كان مُسْتَرْضَعًا فى بنى سَعْدٍ فقتلته هُذَيْل – ورِبا الجاهلية موضوع ، وأَولَ رِبًا أَضع [رِبَانا][11] ربا عباس بن عبد المطلب ، فإِنه موضوع كله . واتقوا الله فى النساءِ ، فإِنكم أَخذتموهن بـأَمانة[12] الله ، واسْتَحْلَلْتمْ فروجهنَّ بكلمة الله ، ولكم عليهنَّ أَن لا يُوطِئْنَ فرُشَكم أَحدا تكرهونه ، فإِن فَعَلْنَ بكم [ذلك][13] فاضربوهن ضربا غير مبرِّح[14] ، ولهن عليكم رزقهن وكسْوتهنَّ بالمعروف . وقد تركت فيكم مالن تَضِلُّوا بعده أَبدا إن اعتصمتم به : كتابَ الله . وأَنتم مسئولون[15] عنى فما أَنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أَنك

(١) فى مسلم : والفجر
(٢) نمرة : موضع بجنب عرفات .
(٣) المشعر الحرام : جبل بالمزدلفة
(٤) فأجاز : أى جاوز المزدلفة ولم يقف بها بل توجه الى عرفات
(٥) زاغت : زالت
(٦) رحلت له : وضع عليها رحلها استعدادا لركوبه .
(٧) أى على راحلته
(٨) زيادة من مسلم
(٩) هكذا فى مسلم ، وفى الأصل : موضع . وموضوع : ساقط .
(١٠) فى مسلم : دم ابن ربيعة بن الحارث
(١١) زيادة من مسلم .
(١٢) فى مسلم : بأمان الله .
(١٣) زيادة من مسلم .
(١٤) غير مبرح : ليس بشديد ولا شاق ، من البرح وهو المشقة ، وهو الضرب الذى لا يجرح ولا يكسر عظما .
(١٥) في مسلم : تسألون .

قد بلَّغتَ وأدَّيتَ ونصحتَ . فقال بإصبعه السَّبَّابة يرفعها إلى السماءِ ويشير [١] إلى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات . ثم أَذَّنَ [٢] ، ثم / أَقام فصلَّى الظهر ، ثم أَقام فصلَّى العصر ، ولم يُصَلِّ بينهما شيئا . ثم ركب حتى أَتى الموقف ، فجعل بَطْن ناقته إلى الصَّخَرَات [٣] ، وجعل حَبْلَ [٤] المُشاة بين يديه ، واستقبل القبلة [٥] ، فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصُّفْرة قليلا حين [٦] غاب القُرْص . وأَردف أُسامة بن زيد خلفه . ودَفَع وقد شَنَق القصواء [٧] ، حتى إن رأْسها ليُصيب مَوْرِك [٨] رَحْلِهِ ، [و] [٩] يقول بيده اليمنى : أَيها النَّاسُ السكينةَ ، السكينةَ ، كلما أَتى حَبْلا من الحبال أَرخى لها قليلا حتى تصعد ، حتى أَتى المزدلفة [١٠] ، فصلَّى بها المغرب والعشاءَ بأَذان واحد وإقامتين ولم يُسَبِّحْ بينهما شيئا . ثم اضطجع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر ، وصَلَّى الفجر حين تبيَّن له الصبح [١١] .. بأَذان وإقامة . ثم ركب القصواءَ حتى أَتى المَشْعَرَ الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعا الله وكبَّره وهلَّله ووحَّده . ولم يزل واقفا [١٢] ، حتى أَسْفَرَ [١٣] جِدا . فدفع قبل أَن تطلع الشمس ، وأَردف الفضل بن عَبَّاس ، وكان رجلا أَبيض حسن الشعر وَسِيمًا فلما / دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّت [به] [١٤] الظُّعُن يَجْرِين ، فطفق الفضل ينظر إليهن ،

١٥١ ظ

١٥٢ و

---

(١) فى مسلم : وينكتها أى يقلبها ويرددها الى الناس مشيرا اليهم .
(٢) آذن : أى أذن بلال
(٣) الصخرات : هى صخرات مفترشات فى أسفل جبل الرحمة بوسط أرض عرفات .
(٤) الحبل : التل من الرمل · وحبل المشاة : أى مجتمعهم .
(٥) هكذا فى مسلم ، وفى الأصل : المدينة.
(٦) فى مسلم : حتى .
(٧) شنق الناقة : كفها بزمامهـا . وفى مسلم : وقد شنق للقصواء زمامها .
(٨) مورك الرحل : الموضع الذى يثنى الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل اذا مل من الركوب .
(٩) زيادة من مسلم .
(١٠) أى فى الليلة العاشرة من ذى الحجة.
(١١) هو صبح يوم النحر ويوم الاضحى ويوم العيد ويوم الحج الاكبر .
(١٢) أى على راحلته .
(١٣) أى الصبح .
(١٤) زيادة من مسلم .

فوضع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يده على وجه الفَضْل [1] [فحوَّل[2] الفَضْلُ وجهه إلى الشِّق الآخر ينظر ، فحوَّل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يده من الشق الآخر على وجه الفضل] يصرف وجهه من الشق الآخر . حتى أَتى مُحَسِّرًا [3] ، فحرَّك [4] قليلا . ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج إلى ما يلى[5] الجَمْرة الكبرى ، حتى أَتى الجمرة التى عند الشجرة [6] ، فرماها بسبع حَصَيات ، يكبِّر مع كل حَصَاةٍ منها ـ حَصًا مثل حصَا الخَذْف[7] ـ رماها[8] من بطن الوادى . ثم انصرف إلى المَنْحَرِ ، فَنَحَرَ ثلاثا وستين بيده ، ثم أَعطى عليا ، فنحر ما غَبَر ، وأَشركه فى هَدْيه . ثم أَمر من كل بَدَنةٍ ببَضْعةٍ ، فجُعلتْ فى قِدْرٍ ، فطُبِخَتْ ، فأَكلا من لَحْمِهَا وشَرِبا من مَرَقِها . ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيت فأَفاض[9] ، وصَلَّى بمكة الظهر . وأَتى بنى عبد المطلب وهم يسقون على زَمْزم ، فقال : انْزِعوا[10] يا بنى عبد المطلب ، فلولا أَن يغلبكم الناس على سِقايتكم[11] لنزعت معكم . وناولوه دَلْوًا فشرب منه صلى الله عليه وسلم .

---

(1) فى هذا الحديث حث واضح على غض البصر عن الاجنبيات دفعا للفتنة .

(2) زيادة من مسلم ، سقطت من الأصل أو بعبارة أدق من الناسخ .

(3) فى مسلم : حتى أتى بطن محسر ، وهو واد بالمزدلفة وقيل : موضع بينها وبين منى .

(4) اى ناقته

(5) فى مسلم : تخرج على الجمرة الكبرى .

(6) هكذا فى مسلم ، وفى الاصل المسجد ، والجمرة التى عند الشجرة هى نفس الجمرة الكبرى ، وهى جمرة العقبة .

(7) الحذف : الرمى بأطراف الأصابع اى انه حصى صغير نحو حبة الباقلاء

(8) فى الاصل : أماما . وقد رماها بعد طلوع الشمس كما هو واضح من السياق .

(9) فى مسلم : فأفاض الى البيت : أى طاف طواف الافاضة ، وهو أحد أركان الحج .

(10) انزعوا : استقوا بالدلاء وانزعوها بالرشاء

(11) يريد عليه السلام : أنه لولا خوفه أن يعتقد الناس أن ذلك من مناسك الحج فيزدحموا عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن سقاية الحاج لاستقيت معكم ، لما فى ذلك من كثرة الفضيلة .

باب

ذكر وفاة[1] النبي / صلَّى الله عليه وسلم

١٥٢ ظ

رَوَى وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن ابن أبي رُزَين ، عن ابن عباس ، قال :

لما نزلتْ : (إذا جاءَ نَصْر الله والفتح ـ السورة[2] كلها) علم النبي ـ عليه السلام ـ أنه قد نُعِيَتْ إليه نفسه .

وسأل عمر ابن عباس عن هذه السورة ، فقال : يقول له : اعلم أنك ستموت عند ذلك ، فقال عمر : لله دَرُّك يا بنَ عباسٍ ، إعجابًا بقوله . وقد كان سأل عنها غيره من كبار الصحابة فلم يقولوا ذلك .

ثم لما دنتْ وفاته أخذه وجعه فى بيت مَيْمونة ، فخرج إلى أهل أُحُد ، فصلَّى عليهم صلاته على الميت[3] .

وكان أول ما يشكو فى علته الصُّداع ، فيقول : وارأساه . ثم لما اشتد به وجعه استأْذن أزواجه أَن يمرَّض فى بيت عائشة ، فأَذنَّ له فى ذلك . فمُرِّض فى بيت عائشة إلى أن مات فيه صلى الله عليه وسلم . وكان يقول فى مرضه ذلك لعائشة : مازلت أَجد أَلم الطعام الذى أكلته بِخَيْبر[4] ، ما زالت تلك الأَكلة تعاودنى ، فهذا أَوان قطعتْ أَبْهَرِى[5] . وأُغْمى عليه ، فظنوا

---

(١) انظر فى وفاة النبى ابن هشام ٢٩١/٤ ، ٢٩٨ وما بعدها وابن سعد ج٢ق٢ص١٠ وما بعدها والبخارى ٩/٦ والطبرى ١٨٣/٣ وابن حزم ص ٢٦٢ وابن سيد الناس ٣٣٥/٢ وابن كثير ٢٢٣/٥

(٢) وهى آخر سور القرآن نزولا على الرسول ، وفى بعض الأحاديث أنه قال لجبريل حين نزل عليه بها ، نعيت الى نفسى فاجابه : وللآخرة خير لك من الاولى .

(٣) كأنما كانت هذه الصلاة بعد سبع سنين من موتهم وداعا للاموات والاحياء معا .

(٤) يشير الى الشاة المشوية التى أطعمتها اياه امرأة سلام بن مشكم على نحو ما مر بنا فى فى غير هذا الموضع

(٥) الأبهر : عرق مستبطن بالصلب يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه . وكان بعض الصحابة مثل ابن مسعود يرون انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مات شهيدا .

١٥٣ و أن به ذات الجَنْب فلَدُّوه (١) . وكان / العباس الذى أشار بذلك ، فلما أَفاق أَنكر ذلك عليهم ، وأَمر بالقِصاص فى ذلك منهم ـ واستثنى العباس برأْيه ـ فلُدَّ كل من حضر فى البيت إلا العباس (٢) .

وأَوصاهم فى مرضه بثلاث : أَن يُجيزوا الوفد بنحو مما كان يجيزهم به(٣) وأَن لا يتركوا فى جزيرة العرب دينين ، [قال] : أَخرِجوا منها المشركين ، والله الله [فى] الصلاة ، وما ملكت أَيمانكم فأَحْسِنوا إليهم . وقال : لعن الله اليهود اتخذوا قبور أَنبيائهم مساجد .

وقال لهم : هلمُّوا أَكتبْ لكم كتابا لاتضلوا بعده أَبدا . فاختلفوا وتنازعوا واختصموا ، فقال : قوموا عنى ، فإنه لاينبغى عندى تنازع . وكان عمر القائل حينئذ : قد غلب عليه وجعه ، وربما صَحَّ(٤) ، وعندكم القرآن . فكان ابن عباس يقول : إن الرزيَّة كل الرزية ما حال بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين أَن يكتب ذلك الكتاب ، لاختلافهم ولَغَطهم (٥) .

وسارَّ فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فى مرضه ذلك ، فقال لها : إن جبريل كان يعرض علىَّ

١٥٣ ظ القرآنَ كل عام مرةً وإنه عرضه علىَّ العام مرتين ، وما أَظن إلا أَنى ميت / من مرضى هذا ، فبكت ، فقال لها : ما يسرُّك أَنك سيدة نساء أَهل الجنة ما عدا مريم بنت عمران ، فضحكت .

وكان يقول فى صحته : ما يموت نبي حتى يُخَيَّر ويرى مقعده (٦) . روتْه عائشة . قالتْ : فلما اشتد مرضه جعل يقول : مع الرَّفيق الأَعلى ، مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أُولئك رفيقا .

---

(١) لدوه : من اللد وهو وضع الدواء فى شقى الفم . وفى ابن سعد ق٢ج٢ص ٣١ أنهم لدوه بالعود الهندى وبشىء من ورس وقطرات زيت .

(٢) ذكر السهيلى فى الروض الأنف ٢/٣٦٩ان ظاهر كلام ابن اسحق أن العباس كان حاضر الرسول ، ولده مع ولده . يقول : وفى الصحيحين أن رسول الله قال : لايبقين أحد بالبيت الا لد ، الا عمى العباس فانه لم يشهدكم . يقول السهيلى : وهذه أصح من رواية ابن اسحق

(٣) ان يجيزوا : أن يعطوا من الجائزة ، وهى العطية .

(٤) صح : زال عنه المرض .

(٥) قال ابن حزم فى جوامع السيرة ص٢٦٤ : لاشك فى أنه لو كان هذا الكتاب من واجبات الدين ولوازم الشريعة لم يثنه عنه كلام عمر ولا غيره . واستظهر ابن حزم أن يكون الكتاب الذى أراد الرسول كتابته هو استخلافه لابى بكر لقوله لعائشة : لقد هممت أن أبعث الى أبيك وأخيك فأكتب كتابا وأعهد عهدا لئلا يتمنى متمن أو يقول قائل ، ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر .

(٦) أى يخير بين الحياة والموت ويرى مقعده من الجنة .

وقال حين عجز عن الخروج إلى المسجد : مُرُوا أَبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالناس . وخرج يوما من أَيام مرضه إلى المسجد تخطُّ رجلاه فى الأَرض ، يحمله رجلان أَحدهما علىّ والآخر العباس ، وقيل الفضل بن عباس .

وقال فى مرضه : هَرِيقوا [١] علىَّ من سبع قِرَبٍ لم تُحْلَلُ أَوْكيتهن [٢] لعلِّى أَعهد إلى الناس ، فأُجْلِس فى مِخْضَبٍ [٣] لحَفْصة ، ثم صُبَّ عليه من تلك القِرب ، حتى طفق يشير بيده أَنْ حَسْبُكم . ثم خَرج إلى الناس فصلَّى بهم . وقد أَوضحنا معانى صلاته فى مرضه بالناس مع أَبى بكر [٤] ومكان المقدَّم منهما وما يصحُّ فى ذلك عندنا فى كتاب التمهيد ، وبالله توفيقنا .

١٥٤ وأَصبح الناس يوما يسأَلون عليا والعباس عن / حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد اشتدت به الحال ، فقال على : أَصبحَ بخير ، فقال العباس : ما الذى تقول ؟ والله لقد رأَيت فى وجهه من الموت ما لم أَزل أَعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، ثم قال له : يا علىّ اذهبْ بنا نسأَله فيمن يكون هذا الأَمر بعده . فكره علىٌّ ذلك ، فلم يسأَلاه . واشتد به المرض ، فجعل يقول : لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات . الرفيق الأَعلى ، فلم يزل يقولها حتى مات .

ومات صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين بلا اختلاف ، قيل : فى وقت دخوله المدينة فى هجرته حين اشتدَّ الضُّحَى فى صَدْر [٥] ربيع الأَول سنة إحدى عشرة لتَمام عشر سنين من الهجرة . ودُفن يوم الثلاثاءِ ، وقيل : بل دُفن ليلة الأَربعاءِ . ولم يحضر غَسْله ولا تكفينه إلا أَهل بيته ، غسله على ، وكان الفضل بن عباس يصبُّ عليه الماءَ ، والعباس يعينهم . وحضرهم شُقْران مولاه . وقد ذكرنا فى صدر كتاب الصحابة سؤاله فى هذا المعنى .

ولم يصدِّق عمر بموته ، وأَنكر على مَنْ قال : مات ، وخرج إلى المسجد ، فخطب ، وقال فى خطبته : إن المنافقين يقولون إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ توفِّى ، والله مامات رسول

---

(١) هريقوا : أريقوا وصبوا .

(٢) الاوكية : جمع وكاء وهو رباط القربة .

(٣) المخضب : اناء كبير أو اجانة تغسل فيها الثياب .

(٤) معروف أن الرسول عليه السلام صلىوراء أبى بكر فى تلك الايام صلاة تامة، وانه خرج يوما فصلى بجانبه ، فتحول أبو بكر مأموما يسمعالناس تكبيره .

(٥) قيل انه توفى صلى الله عليه وسلم فىأول يوم من ربيع الأول وقيل فى اليوم الثانى منه ، وقيل بل فى الثانى عشر ، وهو الأرجح .

١٥٤ ظ الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه / ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم ، والله ليرجعنَّ رسول الله . كما رجع موسى ، فليقطعنَّ أيدى رجال وأرجلهم ، زعموا أن رسول الله مات[١] .

وأتى أبو بكر بيتَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فكُشف له عن وجهه صلَّى الله عليه وسلم ، فقبَّله ، وأيقن بموته . ثم خرج فوجد عمر يقول تلك المقالة ، فقال له : اجْلِسْ ، فأَبى عمر ، فقال له : اجلسْ ، فأَبى . فتنحَّى عنه ، وقام خطيبا ، فانصرف الناس إليه وتركوا عمر . فقال أبو بكر :

أما بعد فمن كان يَعْبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حَيٌّ لايموت ثم تَلَا : (وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرُّسُل أَفَئِنْ مات أَو قُتِل انقلبتم على أَعقابكم – الآية) . قال عمر : فلما سمعتها من أَبى بكر عرفت ما وقعتُ فيه ، وكأَنى لم أَسمعها قَبْلُ .

ثم اجتمع المهاجرون والأَنصار فى سَقيفة بنى ساعدة ، فبايعوا أَبا بكر رضى الله عنه . ثم بايعوه بيعة أُخرى من الغَدِ على مَلَإٍ منهم ورِضًا ، فكشف الله به الكُرْبة من أَهل الردة ، وقام به[٢] الدين . والحمد لله رب العالمين .

كمل كتاب الدرر

بحمد الله وعونه

وحسن توفيقه

---

(١) انظر فى عدم تصديق عمر بوفاة الرسول وخطبة ابى بكر فى الناس وبيعة السقيفة صحيح البخارى ٥/٦ وما بعدها

(٢) كتب مقابل النسخة بازاء هذه العبارة : بلغ مقابلة .

الفهارس

١ ـ فهرس رجال السند *

* أدخلنا فى هذا الفرس كل صاحب قول أسنده اليه ابن عبد البر ، وان لم يذكر رجاله الذين روى عنهم ، وكذلك أدخلنا فيه مراجعه كابن اسحاق والواقدى وموسى بن عقبة .

٢ ـ فهرس الاعلام

« ت »

« ث »

« ج »

« ح »

« ش »

« ص »

« ض »

« ط »

« غ »

« ف »

« ن »

« هـ »

« و »

« ى »

٣ ـ فهرس القبائل والطوائف والامم

((غ))

((ف))

((ق))

« ل »

« م »

٤ ـ فهرس البلدان والمواضع ونحوها

٥ ــ فهرس الغزوات والبعوث *

(*) يراجع كذلك فهرس الاماكن .

٦ – فهرس الآيات القرآنية *

(سورة البقرة)

رقم الصفحة

(سورة آل عمران)

(سورة النساء)

(سورة المائدة)

(سورة الأنفال)

(*) اتبعنا فى هذا الفهرس ترتيب سور القرآن الكريم ، وجعلنا الرقم بين القوسين للآية فى السورة المذكورة ، والرقم الأخير هو رقم الصفحة التى وردت فيها الآية .

رقم الصفحة

(سورة التوبة)

(سورة الحجر)

(سورة الاسراء)

(سورة الفرقان)

(سورة يس)

(سورة غافر)

(سورة الأحقاف)

(سورة الفتح)

٧ ـ فهرس الاحاديث النبويه *

(*) الرقم بين القوسين بعد الحديث هو رقم الصفحة التى ورد فيها .

٨ ـ فهرس الشعر

صدر البيت	قافيته	بحره	عدد الأبيات	القائل	الصفحة
قد	مرحبُ	رجز	٤	مرحب اليهودى	٢١٢، ٢١٣
نصر	بضرابِ	كامل	٣	على بن أبى طالب	١٦٨
بنى	نجدِ	وافر	٤	حسان بن ثابت	١٧٢، ١٧٣
قد	عامِرُ	رجز	٢	عامر بن سفيان	٢١٣
أنا	حيدرَ	رجز	٣	على بن أبى طالب	٢١٣
ولست	مصرعى	طويل	٢	خبيب بن عدى	١٦٩
ياليتنى	جذعْ	رجز	٢	دريد بن الصمة	٢٣٨
كانت	الأجرعِ	متقارب	٧	العباس بن مرداس	٢٤٧
يا راكبا	موفقُ	كامل	٧	قُتَيْلة بنت الحارث	١١٥
سالو	الحكمِ	بسيط	١	ــــــــ	١٢٠
ولسنا	الدِّما	طويل	١	خالد بن الأعلم	١٢٠
إذا	باليمن	وافر	١	الشماخ	١٨٣

٩ ـ فهرس الموضوعات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة


مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر
شركة الاعلانات الشرقية